هكذا عرفت الشيعة

توضيحات وردود

الكاتب والصحافي إدريس الحسيني



دار النخيل العربي للطباعة والنشر

هكذا عرفت الشيعة!.

_ توضيحات وردود _


بسم الله الرحمن الرحيم

الكاتب والصحافي إدريس الحسيني

هكذا عرفت الشيعة

ـ توضيحات وردود ـ

دار النخيل العربي للطباعة والنشر
لبنان / بيروت



التنضيد والإخراج:

نور الدين موسى

الطبعة الأولى

١٤١٨ هـ ـ ١٩٩٧م

دار النخيل العربي للطباعة والنشر

بيروت ـ الحمرا

ص. ب ٦٤٩٧ / ١١٣

الإهداء

إلى شغاف قلبي، ونور بصري، سيدتي الزهراء (ع) المظلومة، صاحبة بيت الأحزان...

إلى سيدتي وحبيبتي، زينب الطاهرة، أم سبايا كربلاء...

إلى الخيارى من أمتي الذين سلكوا طريق البحث عن الحقيقة في الدياجير الحالكة...

إلى كل من سما، روحاً، وعقلاً.. فوق كل أقنومية خادعة، وخرق بالسؤال سحر الوثن الرميم...

إلى كل محب لهذه السلالة الطيبة المباركة، عدل القرآن وسفينة النجاة.. أرسل كلمتي..

وكلمتي، هي مخاض فكر، محذور، أسير!

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾

نحمدك ربنا على ما نحن عليه من وفير نعمائك. وعلى ما أغنيتنا به من فضل جودك وعظيم كرمك. لا إله غيرك ولا معبود سواك.

اللهم إنّا نسألك النجاة بمحمد المختار وآله الطاهرين الأخيار..

فنجنا ياسيدي مما نحذر ونخاف. واجعل كيد أعدائنا في نحورهم، ووفقنا لما فيه خير الأمة..

يارحيم، ياحنان ويامنان.. باسمك الذي تعبد به الأنام.

المقدمة

من صميم الإخلاص والحرص على هذه الأمة المترامية الأطراف، أوجه رسالتي هذه إلى كل مسلم ورع يحترم عقله.. ملتمساً منهم العودة إلى الصواب.. أوْ، لا أقلّ إلى طاولة المفاوضات العقائدية.. من دون حدة ولا تعصب.. ليؤمن من يؤمن وهو على بينة وليضل من يضل (عن إرادة واختيار).

ففي الوقت الذي بدأت أصوات الوحدة ترتفع في دنيا المسلمين.. ووصل العقل المسلم إلى رشده في نبذ كل شقاق وشتات وفتن.. ليتوحد على كلمة الإسلام في مشتركاته التي تعتبر أصولاً في الدين الإسلامي. برزت أصوات، صنعتها البداوة، وصقلتها بمُدى التوهب لتقف ــ بصلافة ــ ضد المشروع الذي لم تستوعبه (بذهنها المتعصب)، وطال بوقها في التشكيك بنوايا القيمين عليه.

ولسنا هنا ممن يعمم جهالة البعض على باقي رجالات المذهب الآخر. ففي كل مذهب، هناك عناصر تشده إلى الخلف، وتحركه باتجاه الانغلاق.. غير أن العقول الصغيرة التي أسرفت في ظلمها وطغيانها، لا تزال تتحرك في دائرتها المظلمة، منشغلة بالقيل والقال في مجالات تكبرها سناً وعمراً، وتائهة في لجج السباب للآخرين، والبجاحة ببطولات سخيفة في ميادين التعفن العصبي والتلوث الناصبي.

كان بودنا الرد المفصل على كل من سطر الأسفار بكل الأراجيف التي تخدش في مذهب وكرامة الإمامية.. بطرق لا تليق بعامة المسلمين، بالأحرى علمائهم. يسبون ويشتمون ويتعرضون للأعراض... كما لو أنهم يخوضون بدراً أو أحداً.

وكنا دائماً نعتقد أن المسلمين، مهما اختلفت طرائقهم، لا يكذبون، وربما حملنا جهالاتهم على الاشتباه، وربما حملناها على سبعين محمل وإن كانوا لا يحملون أفكارنا إلا على محمل واحد.. فإننا بذلك سنحافظ على آدابنا الإسلامية وموضوعية النقد. وليكن ما يكون عليه هذا الطرف أو ذاك فكل إناء ينضح بما فيه.

غير أن الواقع الذي انتهيت اليه، يعاكسني ذلك الاعتقاد، فكثير منهم كان تحامله فيه تساهل مع الأكاذيب التي تحاك ضد الإمامية. حتى وإنهم ليعلمون أنها محض أراجيف، منسوبة إلى تلك الطائفة ظلماً وعدواناً.

لقد كتب كثير منهم في الاتجاه نفسه، والمعطيات نفسها، وتكاثرت كتبهم التي هي إحياء مكرور لتراث النصب والتحامل على طائفة طالما استضعفوها ولفقوا حولها أجود الأكاذيب.

ويستنتج من حركتهم هذه، أنهم على جانب كبير من الجهل بالتاريخ الإسلامي وبمذهب الإمامية، ذلك الجهل الناتج عن سرعتهم في إصدار الأحكام، وفي نواياهم القبيحة في قراءة التراث الإمامي، قراءة تهدف إلى تجميع عناصر لخلق صورة ملفقه من أجل التعريض بهم لا استيعاب أفكارهم. وهذا المنهج يختلف اختلافاً جذرياً، عمن تواضع للحقيقة، واتقى الله في البحث عنها. ومن دون أن نُزكّيَ أنفسنا على أحد يجدر بنا القول: أننا نحن الذين اطلعنا على هذه المدرسة، اطلاعاً كبيراً، وتربعنا أمام علمائها لنستمع اليهم، جنباً إلى جنب مع أبناء الطائفة ونهلنا من علومهم، لم نشعر بتلك الخلفيات التي ذكرها رواد اتجاه التفريق. لقد اطلعنا على تراث الجماعة والتزمنا مبادئه فترة ليست بالقصيرة، واستنشقنا الكيمياء السني، استنشاقاً حسناً، وبتنا نعلم خفايا المذهبين.

فلسنا في حاجة إلى أمثال «الجبهان» ولا إلى «إحسان ظهير» ليعرفنا بحقيقة

مذهبهم، وينبهنا إلى مخاطر الدعوة الإمامية. ونحن نجزم جزماً قاطعاً أنهم لا يفقهون غير التلفيق، ولا يحسنون غير النصب والشتائم.

لقد قرأت ما فاضت به الكتب الوهابية من تهم رخيصة جمعوها من سوق النخاسة الطائفية. وأرسلوها عفو الخاطر، ظلماً وعدواناً، ولكن درجة التلفيق وحجم التزوير بلغا حداً لم أقدر فيه على الرد، إحساساً مني بدناءة الأسلوب، ويقيناً مني بأن المسيرة المارطونية لذلك التوجه قد تفقدني الوقت لمهام أكثر خدمة للإسلام والإنسانية. إنها صناعتهم الوحيدة، فأنّى نسير معهم؟.

تعتبر نجد، أرض البداوة والقحالة العقلية، ولذلك كانت مهيأة لاحتضان أخشن عقيدة دمرت المسلمين وبعثت فيهم الفرقة والشتات. وتعتبر اليوم خمّاً، يفرخ جيوشاً من فاقدي العقول، كلهم يتنافس على جنة ابن عبدالوهاب الذي لا يدخلها في خيالهم، إلا الوهابيون. وتلك الجنة، لا ينالونها إلا بتكفير المسلمين، ونبذ كل الأطراف، والإبقاء على تراتيل محمد بن عبدالوهاب، وفتاوي ابن تيمية.

لقد اختزل التيار الوهابي إسلامنا العظيم في مجموعة صغيرة من كتب التراث ومشايخه، وكأن إسلامنا إلى تلك الدرجة من الفقر، لكي يحجم عن مئات ومئات العلماء والمشايخ وألوف الألوف من الأسفار التي تناولت جوانب مختلفة من العلم الإسلامي.

ولقد ظل الوهابيون يحاربون ولا يفكرون، يشتمون ولا يعقلون، حتى إذا أحسوا بأن رمال نجد بدأت تتحرك من تحت أرجلهم، راحوا إلى تمثل الجدل الذي كانوا يرفضون، وبات منهم من يزعم لنفسه الرد على الإمامية، بعقلانية مطرزة بالشتم والوقيعة، وكيف يستطيعون ذلك، وقد أودع الإمامية عبر التاريخ غياهب السجون وزُج بهم في أغوار المناف، فقط حتى لا يقولوا الكلمة التي تخرس الأفواه وتزكم أنوف الظالمين.

تمتص الكثبان الرملية بأرض نجد، عقول أهلها وعقول من طرق بابها. وبتنا نرى ذلك، في كثير من علماء العامة الذين جاؤوا من بلاد أخرى طلباً للجوء أو للبترودولار السعودي. فيتحولون إلى منابر لعقيدة محمد بن عبدالوهاب. رأينا ذلك من

د. تقي الهلالي المغربي وأبو بكر الجزائري، وسعيد حوى الحموي. وأمثالهم، الذين امتصت عقولهم تلك الرمال، وبعد أن امتلأت جيوبهم بالمال المنهوب.

ومما يدمي القلوب.. أن تقي الهلالي عندما انتدبته المؤسسة النجدية إلى زرع الفتن في المغرب، والتشكيك في عقيدة المغاربة، اعتبره المغاربة رجل فتنة. ولكم زجرته السلطة، واعتبره الجمهور المغربي يومها مسيحيّاً، وكانوا يرجمون أتباعه من المغفلين بالحجارة.

وكان ذلك كافياً لفضح طوية هذا الاتجاه الهدام، فهو حتى في أرض سنية، حاول تكفير الناس ونعتهم بالشرك. وكانت فتاوي التكفير والتشريك تبدأ عندهم من قمة الهرم إلى أسفله، ومن الدولة إلى الجمهور. إنه نبي جديد، نسي أن المغرب بلد إسلامي مالكي، فيه من المؤسسات الدينية ما يغنيه عن التصحر الفقهي للمؤسسة الوهابية. وأذكر أن من فقهاء المغاربة القدامى من تطرق إلى المد الوهابي بقوة. لقد انخدع البعض بتلك الأفكار، ومنهم مهدي الحجوي وهو من علماء المغرب، حيث واجه بعنف تقاليد المغاربة في احترام الرسول(ص) وأهل بيته(ع)، ذكر في كتابه «صفاء المورد في عدم القيام عند سماع المولد»[*] قوله:

«إنه قد احتفل كثير من الناس بفاس في هذه السنة المباركة، سنة ١٣٣٧هـ، بالمولد النبوي على صاحبه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، ونعمت البدعة لو سلمت من بعض ما يستنكر ولم يكن هناك فخر ولا مباهاة، بحيث لم يحرم الفقير ويطعم الغني. فالتعلق بالمصطفى عليه السلام وإظهار محبته وتعظيمه هو من حسن الإيمان ومن أحسن الأعمال»... ثم يقول:

«ومن الأمور التي تستنكر أنهم، عند سرد المولد الشريف والوصول لذكر وضع أمه له ينهض جميع من حضر وقوفاً على الأقدام ويبقى الكل على تلك الحالة مدة ليست بقصيرة. أكثر من مدة الصلاة على الجنازة بكثير، والقارىء يقرأ المولد وهم يصلون على النبي».

---

[*] ـ مخطوط في الخزانة العامة / الرباط.

«وقد وجب علي أن أتكلم على حكم هذا القيام شرعاً فنقول: حكم القيام هو الكراهة، أما طول القيام على هيئة صلاة الجنازة فيمكن أن يقال فيه بالمنع، ولنا على ذلك أدلة».

ويكفي هنا كتاب ابن المواز: «حجة المنذرين على تنطع المنكرين»(*) وفيه ردّ على ذلك، وهو من المعاصرين للحجوي. وأذكر كلمة له أوردها على سبيل التنكيت في أمر القيام. «والخط المستقيم أشرف».. واستدل على ذلك ببعض المرويات التي تعظم الرسول(ص) وأهل بيته(ع). وابن المواز هو من هو في النبوغ الفقهي في أرض المغرب ومن أساطين المذهب المالكي.

لقد خامرني شعور بخطورة ما تروج له الوهابية اليوم. لا أقول بأن الكتاب الوهابي قد يحاصر أو يمنع أية فرصة للمد الشيعي. فتاريخ من القمع والدماء لم يتمكن من حجب هذا الصوت ولا منعه من امتداده. وإنما أخاف أن يسود الجهل، وتطغى الأمية الثقافية على جماهير المسلمين، من جراء ما ينشر فيها من هراء لاحس فيه لمنطق، ولا يسمع للعقلانية فيه أيّ ركز. لقد طغت هذه الكتابات وشوهت سمعتها قبل تشويه التشيع. وإنني لأعلم ما يدور في كواليس بعض الحركات التي دخلت في اللعبة الوهابية وربطت خيوطها بالأصابع النجدية. وقد رأيت بأم عيني برامج حركية، فيها تشويه للحقائق، وزجّ بالعقول في هذا التشنيع، وذلك من خلال اعتبار الشيعة والخوارج عوائق وعقبات ضد الدعوة، وجعلهم أفضل مراجع لفهم الشيعة، بمجموعة كتابات تشهيرية تتجلى فيها الأمية بالمذهب وبالتاريخ معاً.

وكان الذي أثار انتباهي في هذا الموضوع، ما تقدم عليه سنوياً، بعض الأقلام المأجورة التي لم تعد تجد لها من صناعة، غير التشهير بالشيعة، كما لو أن الشيعة قوم فطروا على الشر، ولا يحسنون غير المكر. يقولون مثلاً:

* إذا رأيت شيعياً فقل اللهم إني أجعلك في نحره، وأعوذ بك من شره، وإذا

(*) - مخطوط، الخزانة العامة/ الرباط.

دخلت حياً شيعياً، فقل اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث.

* ثلاثة يقومون بوظيفة الشيطان في المجتمع الإسلامي (محترف السياسة والشيعي ومحترف التدين).

* إن لعنة التشيع هي أصل كل بلاء أصاب الإسلام.

* إن (طائفة الشيعة الإمامية) ياسادتي يتدينون بدين لا يمت إلى الإسلام إلا بصلة واهية هي أشبه ما تكون بخيط العنكبوت، لا بل إنه دين يقف مع الإسلام.

هذا كلام «إبراهيم سليمان الجبهان»[1].

أما رجل الحديث الباكستاني، عميل العصابة النجدية في أرض الأطهار ــ باكستان ــ فيقول مثلاً:

ــ « والشيعة ربيبة اليهود، في بلاد الإسلام»[2].

ويقول: « في العالم الإسلامي اليوم حركات باطنية رهيبة: كالرافضة، والنصيرية والدرزية والبهائية والإسماعيلية، وتقوم هذه الحركات بتنظيم نفسها على أساس انتمائها الطائفي، ويتوارى قادتها خلف شعارات حديثة براقة كالقومية، والديمقراطية، والإسلام، والاشتراكية».

وفي كتاب جديد لناصر بن عبدا لله بن علي القفاري:

«وقد شهدت الوقائع والأحداث أن التشيع كان مأوى لكل من يريد الكيد للإسلام وأهله»[3].

وهي مئات بل ألوف العبارات التي تمتزج بسوء الأدب، وتقوم على مزاج حاد، همّه السب والقدح، وكأنهم عوضوا حوار العقل بالسباب، بعد أن انقطعت بهم الأسباب، وانسدت في وجوههم الأبواب، في مناظرة كبار الشيعة في مؤتمرات

---

[1] - راجع، «تبديد الظلام»، للجبهان، إدارة البحوث العلمية والإفتاء.. ط٣ ــ ١٩٨٨م.

[2] - راجع كتاب «الشيعة والسنة»، لإحسان إلهي ظهير.

[3] كتاب «أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية» د. ناصر بن عبدا لله بن علي القفاري ج١ ط١ ١٩٩٣م.

مفتوحة يشهدها العالم.

وإننا لا تنقصنا العبارة الأدبية، للرد بالمثل على قلة من المشعوذين الذين تبخـرت عقولهم بفعل التصحر. ولا ينقصنا في هذا المجال سوى تلك الوقاحة التي تمتاز بها تلك القرائح الباعثة على القرحة!

فهل التشيع على تلك الدرجة من الخطورة والإبهام والغموض؟ وهل ثمة إنسان على وجه الأرض، فطره الله على الشر المطلق.

لو كانت هجمة الوهابيين على اليهود، بمثل ما هي عليه مع الشيعة لألقتهم في البحر، ولحررت العالم الإسلامي من كل تلوث استعماري، ومن كل ماسونية عالمية، ولكنهم لا يعقلون!

لقد نشأ التشيع وترعرع في بيت النبوة، وفي أهل بيت هم أهل بيت نبي الإسلام. وعاشوا معاً، شيعة وأهل بيت، أعنف حالة. ظلوا محاصرين ومصادرين لا لشيء إلا لتصديهم المبكر لكل تحريفية تسللت إلى الإسلام، وإلى كل سلطة حاربت دين الله في الأرض.

ولو كانوا ذات نشأة يهودية، لكان معناه أن بيت النبوة كان أول متآمر على الإسلام!

الشيعة قوم عاشوا المظلومية في مختلف أطوار التاريخ. لم يفرض عليهم العنف إلا العنف الذي مارسه في حقهم وأعداء الأديان وأعدء الإنسانية. ليس من طبيعة الشيعي أن يهدم أو يدمر. إن هدفه أن يعيش كريماً وإنساناً، وهو لم يكن سوى جزء من التركيبة التاريخية للإسلام، وجزء من التجربة الإسلامية. وإن نفيه أو محاصرته، هو أسلوب إرهابي وتعسفي، أتصور أن الزمان تجاوزه، وأن عصر الحريات والديمقراطيات قادم رغم أنوف النجديين.

والذين أنعم الله عليهم بملكة البحث التاريخي يدركون أن الشيعة لم يكونوا منزوين في مؤامرات سياسية كما يريد بعضهم قوله، بل كان أغلبهم نوابغ العلوم الإسلامية، وهم الذين طوروا المدنية الإسلامية، وجعلوها بحيث تنافس كبرى الحضارات الإنسانية.

وعلى هذا الأساس، أنا لست هنا بصدد التفصيل في هـذه الأمـور علـى طريقـة بعضهم في الرد على منهب كبير في صفحـات، ولكـن أنـا أرشـد الألبـاب إلى قـراءة كتب التراجم الكبرى كفهرست ابن النديـم، ووفيـات ابـن خلكـان. ولـيراجع أعيـان الشيعة، وأمثالها، ليدرك مدى ذلك النبوغ الذي لا تحتفل به مدرسة ابن عبدالوهـاب، لأن طموحها لم ولن يكون حضارياً!

وهؤلاء الشيعة، هم الذين أسسوا دولة الإسلام بالمغرب عـن طريـق الأدارسـة، بعد أن قدم الأمويون نموذجاً بائساً عن الفتح الإسلامي.

وقد ظلت عقيدة المغاربة في ولائهم لأهـل البيـت(ع) مستمرة رغـم محـاولات الوهابية. إن المغربي بطبيعته اليوم لا يفهم الإسلام بدون ولاء للبيت العلـوي الهـاشمي. ومن ذلك النبع انطلق ليقوم بدور كبير في العالم الإسلامي، وهـو مديـن لإسـلام أهـل البيت أكثر من دينه بإسلام بني أمية وأحفادهم.

لقد كان الشيعة دائماً أورع الناس، وأتقاهم، وأعلمهم، وأحرصهم على سعادة الأمة، ونموذجهم في الورع والعدل هم أشخاص أهل البيت(ع) مـن رسـول الله(ص) وعلي(ع) فباقي الأئمة، في الوقت الذي كان نموذج النواصب في معاوية الطليق ويزيد الزاني شارب الخمور! حتى قال ابن تيمية: «إن دولة بني أمية كـان انقراضهـا بسـبب هذا الجعد المعطل». ويعني بالجعد هنا، الجعد بن درهم.. وكأن شيخ الإسلام لم ينتبه إلا إلى تلك الفتن الكلامية الفلسفية، و لم يلتفت إلى مئات الحـالات المخالفـة للإسـلام من قبل الأمويين.

وكأن الجعد بـن درهـم أشـد فتنـة وخطـورة على دولـة بـني أميـة مـن قتلهـم المسلمين، وإدمانهم على الفواحش ما ظهر منهـا ومـا بطـن. إنهـم مـن أولئـك الذيـن يقرأون الحوادث التاريخية بعيون حولاء. وإنا لله وإنا إليه راجعون.

لنأخذ مثال «الجبهان» صاحب كتاب «تبديد الظلام وتنبيه النيـام»، والـذي لم يكتف بمجادلة الفكر الشيعي، بل ملأ كتابه بكثير من الأكاذيب، و لم ينته عند مناقشة المذهب الإمامي، بل صنف أبواباً عبثية لا تليق بمن دخل مصاف أهل الخبرة من المحللين والدارسين، كبابه الـذي جعله تحت عنوان «تعريفات ساخرة» أو «حول العلاقة والتشابه بين الشيعي والشيوعي»، أبواب إن كانت تدل فإنما تدل على انحطاط الأسلوب، ومهانة النفس. فإذا كان المنطق كافياً لزعزعة مذهب مـا، فلماذا السباب ولماذا تلويث النفوس بأسلوب السوقة؟ وقد صدق رسول الإنسانية محمد(ص) عندما قال عن صفات المنافق... «وإذا خاصم فجر».

هذا الرجل ظن بجهالة أنه قد حقق فتحاً مبيناً، في عالم الاحتجاج، وأنه قد أرهق العقل الشيعي بمنطقه الذي لاراد له. وكان ذلك في حقيقة الأمر حلماً يحاول صاحبه من خلاله إعطاء نفسه حجماً كبيراً، لا ستمالة الجيوب الوهابية إليه، من أجل احتكاره لسوق الدجل الذي تموّله البترودولار. يقول: «كان صدور الطبعة الأولى من كتاب «تبديد الظلام وتنبيه النيام» ضربة قاصمة أصابت الشيطان في صميمه، وأفقدت عملاءه رشدهم، ونزلت على جيوش الظلام، نزول الصواعق المحرقة، وتركتهم يتعاوون كما تتعاوى الكلاب الضارية، لاسيما بعد أن علموا أن انتشار هذا الكتاب الفريد من نوعه، الجريء في أسلوبه، القوي في حجته الواضح في محجته، بادرة خطرة تنذرهم بأسوأ المصائر، وتأتي على بنيانهم من القواعد، ويكفي دليلاً على ذلك أن كثيراً من مثقفيهم، قد اقتنعوا بعد قراءتهم هذا الكتاب قراءة إمعان وتدبر، من فساد بدعة التشيع، وتزعزعت ثقتهم في صحة معتقداتهم التي ورثوها من أئمة الزيغ والضلال، وقد كان من ردود الفعل التي بدرت من دجاليهم إصدار فتوى (بلعن كل من يشتري هذا الكتاب، أو يبيعه، أو يقرؤه، ولوحوا بصكوك الحرمان واللعنة الدائمة على من تحدثه نفسه بمخالفة هذه الفتوى أو تجاهلها»[1].

---

(١) ـ راجع كتاب «تبديد الظلام وتنبيه النيام».

فانظروا كيف شط به المقام، ليأتي بهـا عريضـة، ويلبـس فيهـا علـى الجمهـور، يدعي أنه قد كتب ما يزعــزع ثقـة الشيعة بمعتقداتهـم، ويدّعـى زوراً وكذبـاً أن مـن المثقفين الشيعة من اقتنع بذلك، و لم يذكر نموذجاً لذلك. ولست هنـا في حاجـة لكـي أبرهـن للجبهـان، علـى حجـم المثقفـين السـنة الذيـن اقتنعـوا بفسـاد بدعـة الوهابيـة، والكاتب واحد منهم. ولكن أريد فقط أن أذكّره بأن كتابه أتى كردّ فعـل علـى تلـك الجحافل الكبيرة من العامة التي دخلت أفواجا في مدرسـة الإمامـة. وقـد سبق ـــ هـو نفسه ـ أن تحدث عن تلك الظاهرة، قائلاً: (أما الصنف الثاني فقـد وقعـت حوادثهـم في لبنان ومصـر، ومـا حـدث في مصـر لم يكـن إلاّ مـن بركـات السـفارة الإسـرائيلية الموجودة في القاهرة والمسماة «بدار التقريب بين المذاهب الإسلامية» فلا نـامت أعـين الزعماء).

وهو الذي أدرك حجة الإمامية حتى راح يوصي الناس بقوله:

(وإنني أوصي كل من ساقته المصادفات إلى مناقشة أحد من أفراد هــذه الطائفـة أن لا يقبل الدخول معه في أي مناقشة إلاّ بعد أن يحدد القواعد التي يتفق الطرفان على صحتها، فإذا قبل الشيعي أن يكون القرآن الكريم، الذي بأيدي المسلمين الآن، واحداً من القواعد المتفق على صحتهـا، فقـد خسـر المعركـة ولـن يسـتطيع المقاومـة، لأن في القرآن وحده مايكفي للرد عليهم وإسقاط شبهاتهم).

كلام الجبهان يدل على عدم ثقة في النفس، وهل يعتقد أن الإمامي يمكنه إقنـاع العامي من دون قرآن كريم؟! ويدعي زوراً وكذبـاً، أن هنـاك مـن أصـدر فتـوى بمنع قراءة الكتاب، من علماء الشيعة، خوفاً على أبناء طائفتهم مــن تلـك الحجـة الدامغـة، فياليت الجبهان يعقل ولو لمرة واحدة. إن كتابك ياجبهان، فتشت عنه في كل مكـان، فوجدته أخيراً في إحدى مكاتب الشيعة، كباقي كتب الجوقة الناصبيــة، الشـيء الـذي يدل على قمة التدحيل الذي تمارسـه تلـك الفئـة تحـاملاً علـى الحـق وتجـاوزاً لـلآداب

الإسلامية، ولو شئت أن تقف على الابتذال في قمة هرمه، فاسمع للشيخ الجبهان المحترم يقول:

(أقول هذه الشهادة القيمة نسوقها لنصفع بها عمـلاء الماسـونية الذيـن خلقهـم الله بشراً فأبوا إلا أن يكونوا بقراً، وسنوالي بإذن الله صفعهم وركلهم، ونشر مخازيهم وفضائحهم حتى يفتح الله بيننا وهو خير الفاتحين)[1].

إن الجبهان يلتمس الفتح المبين في الصّفع والركل، وليس بالحجة الدامغة، وتلك هي الهستيريا الخطابية التي لا يستطيعون سترها. فهم مخبوؤون وراء ألسنتهم.

واستطراداً في هذا المجال، أغتنم الفرصة للتعرض إلى مثال، سعيد حوى صاحب رسـالة (الخميـني تطـرف في العقـائد، تطـرف في المواقـف)، مثـال عـن سلسـلة مـن السماسرة الذين يبيعون أسماءهم في تجارة بائرة. هذا الشيخ الذي كنا مغفلين يوم كنـا نظن فيه خيراً، وهو الذي طال بوقه بالدعوة إلى الجهاد، وإلى جند الله ثقافة وأخلاقاً، وذلك قبل أن نعرف خلفية هذا الرجل الذي كان يلعب دور العطار في سوق الحركـة الإسـلامية، والـذي شـك في شـأنه أقـرب المقربـين إليـه. وطـوى كشـحاً عـن ثقافتـه الجهادية، ليرشح نفسه إلى دور الهزيمة، متطلعاً بذلك إلى جمع ثقافته من الخزينة النفطية المدرارة. كانت رسالته على شاكلة من نقـل عنهـم تلـك الأفكـار علـى نحـو مكـرور وممل، يعبث بالكثير من المفردات الفقهية والأصولية، وحتى بات يطلق الإجمـاع علـى مالا إجماع عليه، ووظف كل المعلومات التشهيرية المبنية إما علـى الأميـة السياسـية أو على الحقد الأموي المزروع في بعض النفوس الشامية.

حتى إذا كان من بعض قواعد الأصول «التسـامح في أدلـة السـنن» فـإن أمثـال هؤلاء يؤمنون بالقاعدة التحاملية: «التسامح في أدلة الدجـل». ومـن هنـا نـدرك روح الحقد والجهل والتزييف.. عندما يقول في رسالته، بأن هذه الدول الثـلاث ــ إيـران،

---

[1] - المصدر السابق.

وسوريا وليبيا ـ لهم علاقات مع إسرائيل. وهم بؤر ضد مصالح العرب والمسلمين. والمقام لا يتسع هنا لنلقن صاحب «تربيتنا الروحية» أبجدية الوعي السياسي، إذ أنه إذا ثبت أن هذه الدول ـ فعلاً ـ هي على علاقة مع العدو الإسرائيلي، فمعناه أن أرض نجد هي رائدة المواجهة.

فإذا وجدت في رسالة مثل هذه الشطحات، فذلك كافٍ لفهم اللعبة كلها، ولا داعي للرد المفصل على ما ذكره في رسالته تلك، إذ سوف نرد على من هم أعرق منه في ذلك الميدان، فحداثة عهده بهذه الصناعة لا توجب علينا الالتفات إلى أقواله.

إن ما تقوله وما تكتبه الوهابية حول الشيعة الإمامية هو بلا شك هين جداً فيما لو قسناه بسلوك هذه الجماعة في أرض الحجاز، ونأسف جداً على هذه المنطقة التي تسربت إليها هذه الجماعة التي لا تتقي الله في تكفير باقي المسلمين، فمنذ أن وجد التيار الوهابي في هذه البلاد، والشيعة الإمامية الذين يشكلون ربع السكان يعانون الأمرّين، وكان أن بلغت هجماتهم حتى جنوب العراق، حيث أجروا بكربلاء دماء الأبرياء من النساء والشيوخ والأطفال العزل، بعد أن دمّروا كل المنطقة وقتلوا ونهبوا أهلها.

في الوثيقة البريطانية (٦٢٨٩/٩/٤٤) في ١٩٢٠/٦/١١ جاء قولهم:

«من الثابت أن حركة الإخوان الوهابية حين ظهرت لأول مرة في شوارع الهفوف عاصمة الإحساء اعتدى أفرادها وجلدوا كل امرأة وجلدوها في الشارع، وأطلقوا النار على العديد من المواطنين الشيعة وأردوهم قتلى، وقد قامت الوهابية بهدم جميع المقدسات الإسلامية، كمقبرة البقيع في المدينة المنورة حيث دفن الكثير من أهل البيت والصحابة الكرام، بالإضافة إلى هدم بيت الرسول(ص) وبني هاشم والخندق الذي حفره المسلمون في غزوة الأحزاب».

لا نريد هنا الإطالة في هذا الموضوع، إذ يكفي أن يستشعر الحجيج ذلك يوم الحج، حين يواجه عصابة نجد تلاحق المسلمين من الكعبة حتى حرم الرسول الأكرم (ص) بالضرب طوراً، والشتم طوراً آخر.

وقد أصدر علماؤهم ومشايخهم فتاوى، يكفرون فيها الشيعة ويذكرون استحقاقهم للقتل، كما في فتوى رقم ١٦٦١ عن كل من ابن باز وعبد الرزاق عفيفي وعبدالله بن غديان وعبدالله قعود، وكما في فتوى ابن جبرين بتاريخ ١٤١٢/٣/٢٢هـ.

ومن هنا، كانت العصابة الوهابية أخطر على المسلمين من أي جهة أخرى، لأنها تشكل عقبة كأداء أمام أي مشروع للوحدة الإسلامية، فهي تعتقد أنها هي الفرقة الناجية، وهي صاحبة الامتياز في جنة العزيز الجبار.

وتراهم يزبدون ويرعدون عند سماعهم بأي محاولة من قبل أبناء الأمة في التوحد، سواء أكانوا سنة أم شيعة. فإذا كانوا سنة حمل ذلك على الغفلة والجهل بحقيقة الشيعة، واذا كان الشيعة وراء المشروع حمل على التقية والمكر وعلى أسوأ محمل.

ولاحظوا معي كلامهم حول هذا الموضوع، وكيف يكرسون الفرقة ويزيدون في تأجيج الحالة الطائفية.

يدعي الجبهان، بأن دعوة الشيعة إلى وحدة المسلمين، إنما هي محاولة جديدة لهدم الإسلام. يقول: «ولا يخفى على ذوي البصر النافذ ما تنطوي عليه هذه المحاولة، من خبث ودهاء، إذ أن كل من لديه أدنى إلمام بالأسس التي قام عليها دين هذه الطائفة لا يسعه إلاّ أن يقف مشدوهاً من شدة العجب أمام هذه الخدعة المفضوحة».

وقبلها يفسر لنا الجبهان معنى الخدعة بقوله:

«لقد أملت عليهم مصالحهم الشخصية والمصير المحتوم لكل مفاهيمهم «اللاإنسانية» أن يقوموا بمحاولة جديدة، وأن يخترعوا بدعة منكرة قوامها الدعوة إلى وحدة إسلامية مزيفة، وتقريب بين المذاهب الإسلامية»[1].

ويقول أيضاً: «وكان أول ما حملني على كتابة هذه الرسائل كلمة ألقاها سماحة الشيخ محمود شلتوت، شيخ الجامع الأزهر، من محطة صوت العرب، قال في مستهلها (أن المذاهب الإسلامية الخمسة واحدة جوهراً، واحدة مصدراً، واحدة مورداً، وإنه يجوز التعبد بالفقه الشيعي) إلى آخر ما جادت به قريحته المشلولة، وكانت هذه الكلمة بمثابة ناقوس الخطر، فقد نبهتني إلى أن (وراء الأكمة ما وراءها)»[2].

ثم ينتهي بالقول: «ومن ثم قررت أن أنسج أكفاني، وأن أواجه الواقع بكل جرأة وصراحة، ولن يضيرني بعد ذلك أن أجد نفسي وحيداً في الميدان، فأنا على يقين بأن الله سبحانه وتعالى، لن يخلف وعده للعاملين في سبيله، وإذا قدر لي أن أموت فإنني لن أموت إلا بعد أن أحفر بيدي قبور الظلم والظالمين»[3].

ويالها من سذاجة، وياله من نزول وهبوط، أإلى هذا المستوى بلغ الحقد على وحدة المسلمين؟.. وهل الجبهان لا يرى إلاّ أن يموت وينسج أكفانه في معركة ضد وحدة المسلمين. لا حول ولا قوة إلا با لله.

وهناك من هو أشد حقداً وأقسى قلباً على وحدة المسلمين، أعني إحسان إلهي ظهير، إذ يقول في مقدمة كتابه «الشيعة والسنة»: «وبعد فإنه أشاع في هذا الزمان كلمة الاتحاد والوحدة كثير من دعاة الشقاق والفرقة، وكثر استعمالها حتى كاد ينخدع به السذج من المسلمين الذين لا يعرفون ما وراءها من كيد ودس ودهاء»[4].

---

(1) - المصدر السابق.

(2) - المصدر السابق.

(3) - المصدر السابق.

(4) - الشيعة والسنة، إحسان إلهي ظهير..

والسذج من المسلمين والقاصرون عن المعرفة في رأي إحسان إلهي ظهير هم أمثال: الشيخ الباقوري، والشيخ شلتوت، والشيخ الغزالي، وعشرات من علماء السنة الكبار الذين لم تتمكن منهم البداوة الوهابية، وأبوا إلا الاعتصام بحبل الوحدة الإسلامية.

يقول إحسان ظهير: «فبعداً للوحدة التي تقام على حساب الإسلام، وسحقاً للاتحاد الذي يبنى على الطعن في محمد وأصحابه وأزواجه»[1].

ويقول أيضاً: (ولن يحصل الاتفاق والوحدة دون توبتكم عن العقائد اليهودية والوثنية المجوسية)[2].

وكأن إحسان ظهير، يظن أن أولئك العلماء الكبار من السنة، عندما أعلنوا الوحدة، كانوا يقيمونها على الطعن في محمد النبي(ص) وأصحابه و... وكأن ظهير هو أتقاهم لله عندما قال ماقال.

أي حالة هي التي عليها اليوم أمتنا، عندما توجد فيها نماذج لاتبرح قشور الدين ولاتفقه الا السطوح؟!.

وحتى لايطول بنا المقام هنا، وحتى لانضطر إلى تعرية الخلفية الاستعمارية للتوجه التفريقي الوهابي، منذ أن رعت الحكومة البريطانية محمد بن عبدالوهاب، واستخدمت جيوشه في استكمال بجزرتها على عموم منطقة الجزيرة العربية، وحتى لانقع في اجترار ما شاع من علاقة بين محمد بن عبدالوهاب والمصالح البريطانية بالمنطقة، فحتى لانتورط في مثل هذه الموضوعات، أرى من الأولى، التطرق إلى بعض الشبهات التي طالما تكررت في كتبهم، ينقلها بعضهم عن بعض، ليسودوا بها صفحاتهم، خدمة للدّجل وحؤولا ضد لمّ الشعث.

وأقتصر هنا على مجموعة موضوعات، مراعين التلخيص والتبسيط.

٢٠/٣/١٩٩٥م/ دمشق

---

[1] المصدر السابق.

[2] - المصدر السابق.

الباب الأول:

الفصل الأول

مدخل

صحاحنا وصحاحهم

مدخل

هناك أمور كثيرة تساهل فيها النقاد، وحملوا أصحابها على شتى المحامل، ذلك عندما يتعلق الأمر بالاشتباه في نقل الموضوعات المتعلقة بقضية من قضايا الاحتجاج والنقد. ومن ذلك المنطلق، كنا نتصور بأن شيوخ الوهابية لايكذبون، فلا أقل هم صادقون بفطرتهم، وإن كانوا على جانب من الفظاظة.

غير أن الواقع يختلف تماماً عما كنا نتصوره، فكتبهم تزخر بما يندى له الجبين، من كذب وزور وبهتان عظيم. وهم على ذلك الأساس، يكثرون من اتهام الشيعة بالبهتان وتزوير الحقائق، وكأنهم يمارسون حالة من التعويض لما هم عليه من حال.

ومن الأمثلة على ذلك ادعاء الجبهان في تبديد ظلامه بقوله:

(نحن نسمي الشيعة روافض، لأنهم رفضوا الإسلام جملة وتفصيلاً)[1].

ولو أنني كنت مكان الجبهان، لقلت رفضوا بعضه، أما أنه يورد عبارته بالعموم والإجمال، فهذا قبيح أن يصدر من شيخ يدعي العلم والإحاطة بالأمور. فاذا تبين لعامة المسلمين، أن الشيعة يصلون الخمسة، ويصومون رمضان، ويحجون إلى مكة، ويؤتون الزكاة، ويتورعون عن أكل الخمس الذي جعله الله حقاً له ولنبيه ولذي القربى. وكل

---

(١) - تبديد الظلام الجبهان ص٣٢٧.

ذلك وهم مؤمنون با لله رباً واحداً وبمحمد نبياً ورسولاً، وأنهم أكثر التزاماً من الوهابية، فأين يكون آنذاك كلام (الجبهان) من أنهم رفضوا الإسلام جملة وتفصيلاً؟!.

ومن أكاذيبه التي تلقنها بجهالة الغرير المعاند قوله، «إن الشيعة يزعمون أن ا لله أمر جبرائيل بأن يبلغ رسالة الإسلام إلى علي، فخالف أمر ا لله وأبلغها إلى محمد(ص)، ولتغطية هذه الزندقات أنشأوا دار التقريب في القاهرة»[1] وماذا عسانا أن نقول إزاء مثل هذه الاختراعات التي لا دليل لهم عليها؟! وإننا هنا لنتحدى بكل شرف وصدق.. أي وهابي مغرض يلوك هذه العبارة، أن يضع على هامشها مصدراً من مصادر الشيعة المعتبرة، ويكفي أن يكذب مثل هذه الافتراءات بعض من أهل السنة والجماعة، ممن نهلوا منها إلى حد الثمالة، يقول الشيخ محمد الغزالي في مؤلفه «دفاع عن العقيدة والشريعة»[2] :

«ومن هؤلاء الأفاكين من روّج أن الشيعة أتباع علي، وأن السنيين أتباع محمد، وأن الشيعة يرون علياً أحق بالرسالة لولا أنها أخطأته إلى غيره، وهذا لغو قبيح وتزوير شائن».

الواقع أن الذين يرغبون في تقسيم الأمة طوائف متعددة، لما لم يجدوا لهذا التقسيم سبباً معقولاً، لجأوا إلى افتعال أسباب الفرقة، فاتسع لهم ميدان الكذب حين ضاق أمامهم ميدان الصدق.. وليس أمام الجبهان وأمثاله إلا أن يتقوا ا لله أمام هذه الشهادات التي يوردها أناس من أهل السنة مردوا على تحدي الحقيقة.. يقول محمد جلال كشك في كتابه الكبير «السعوديون والحل الإسلامي»:

---

(1) - نفس المصدر السابق ص٣٢٣.

(2) دفاع عن العقيدة والشريعة ص٣٤٤ - ٣٤٥، الطبعة الرابعة سنة ١٩٧٥م.

«ولا أظن أن شيعياً من الشيعة الجعفرية أو الإمامية يخالف الشيخ في حرف مما قاله ـ يقصد الشيخ محمد بن عبدالوهاب ـ ولا هم يندرجون في دائرة تعريفه، فهم لا ينسبون ألوهية لسيدنا علي، ولا يتهمون جبرائيل بالخطأ»[1].

ولو طأطأ الجبهان رأسه للحق ـ ولو مرة واحدة ـ ودخل في عالم الشيعة لأدرك أن احترام هؤلاء للنبي محمد(ص) مما لم يره الوهابيون، ولأدرك أن قيمة هؤلاء نابعة من مقام النبي محمد(ص)، وهم من لازمت حياتهم الصلاة على النبي(ص) في كل حركة يتحركونها، وفي كل حالة من حالاتهم. إن الفرق بيننا وبين أمثال «الجبهان»، هو أنه تعصب لفرقته و لم يخالط الفرق الأخرى، لذلك استسهل مثل هذه الخزعبلات والترهات الواهية.. بينما نحن الذي رأينا وعايشنا هؤلاء الشيعة بمختلف جنسياتهم، عراقيين كانوا أم بحارنة، هنوداً كانوا أم إيرانيين، أفغاناً أم باكستانيين بمختلف مستوياتهم، لم نعثر على هذه الادعاءات، وليس فيهم من لا يسخر من هذه الترهات.

إن التزوير من شأن الكثير من الوهابية، إذ من الصعب على العامي أن يقلدهم لولا ما مردوا عليه من الكذب والافتراء، فهذا صاحب «البينات في الرد على أباطيل المراجعات» محمود الزعبي يقول في الجزء الأول، بخصوص قول صاحب المراجعات: «ذكر ابن خلكان في أحوال مالك من وفيات الأعيان أن مالكاً بقي في بطن أمه ثلاث سنوات» يقول معلقاً: «وأما إن كانت الثانية (يقصد إرادة الغمز بالإمام مالك) وهي التشنيع على أهل السنة ـ فانه ليس في وفيات الأعيان في ترجمة مالك ما ادعى المؤلف، بل فيه وقال ابن السمعاني في كتاب الأنساب في ترجمة الأصبعي. إنه ولد في سنة ثلاث أو أربع وتسعين، وا لله أعلم بالصواب».

---

[1] - السعوديون والحل الإسلامي، جلال كشك ص٩٣ ط٤.

وتلك هي لعمري الطامة الكبرى، أهي النذالة في تحريف الحقائق وتكذيب المؤمنين الباحثين في بطون المصنفات، أم هو الجهل بكتبهم المعتمدة؟

فهل هذا ابتلاء من الله أن كان قد ابتلانا بأجهل خلقه؟ فإذاك نقول حمداً لك يارب.

وأنت عزيزي القارىء.. اذهب إلى المجلد الرابع من وفيات الأعيان. دار صادر بيروت، تحقيق الدكتور إحسان عباس، وابحث عن حرف الميم (٥٥٠)، وابدأ بالإمام مالك تجده يقول في الصفحة ١٣٧ في السطر الثامن.

يقول ابن خلكان: وكانت ولادته ـ أي مالك ـ في سنة خمس وتسعين للهجرة، وحمل به ثلاث سنين، وتوفي في شهر ربيع الأول سنة تسع وسبعين ومائة.

والعبارة التي أوردها صاحب البينات وياها من بينات، موجودة في الوفيات، ولكنها جاءت متأخرة عن العبارة الأولى، فهي في السطر الثالث عشر.. فكيف لا يرى العبارة الأولى، ويقفز إلى الثانية؟ وإن تسرعه في اتهام صاحب المراجعات بالتزوير، ناتج عن سوء ظن. أو عن حالة إسقاط لما هي عليه حالتهم في تزوير الحقائق والكذب على المؤمنين.

على هذا المنوال نسجت دعاياتهم، وحبك تحاملهم، فياليت العامة منهم يدركون أن مشايخهم الذين نصبوا أنفسهم أبواقاً لصوت الفقر الفقهي والعقيدي، لا يتورعون عن التزوير.. وأنهم ـ شأنهم شأن عوامهم ـ يعتمدون الشائعات من دون تحقيق، بعد أن ينمقوها ببلاغة المسحورين، وكأنهم يرون في خطاباتهم الخشنة، وحركاتهم الجافة القاحلة، استحقاقاً لتغيير العالم. هؤلاء الذين نقلهم محمد بن عبدالوهاب من الوثنية إلى الوهابية مباشرة، من حفاء إلى حفاء. ولعلهم في وثنيتهم كانوا أكثر إنسانية مما هم عليه الآن. وصدق تعالى حين قال: «الأعراب أشد كفراً ونفاقاً».

صحاحنا وصحاحهم

يتحدث غفير من الجاهلين بحقيقة المذاهب واختلافها، عن شيء ما إسمه الصحيح، ويعتبرون بعض مصادرهم صحيحة بحيث لا مبرر للرد عليها، ولا مجال لمناقشة مدى صحة محتوياتها. وقد جرت العادة عند أهل السنة والجماعة أن يعلنوا عن صحة مصادرهم، إعلانا بلغ مع البعض إلى أعلى مستوى من التصديق.

وهكذا بتنا نسمع أن صحيح البخاري في اعتقادهم، هو أصح كتاب بعد كتاب الله. حتى ولو كان مؤلفه فقيها عادياً من بين مئات الفقهاء الكبار، وحتى ولو كان من المحدثين من سبقه ونبغ في تلك الصناعة.

وعندما كان اعتقادهم كذلك، حسبوا أن الطرف الشيعي له من تلك المصنفات ما يجعله يعتقد بصحتها أو بصحة بعض منها، سواء بسواء.

ولهذا كثيراً ما نجدهم في مواقع البجاحة بما قد اطلعوا عليه في بطون تلك المصنفات، إذ يوردونها وكأنها بمثابة صحاحهم كما يعتقدون، ملزمين بها الطرف الشيعي كما لو أنه ملزم بها على ماقد تحمله من محتويات تخالف حقيقة القرآن.

ومن هنا سوف أقدم بعض الأمثلة من أقوالهم، تمهيداً لمعالجتها.

يقول د. ناصر بن عبدا لله بن علي القفاري في كتابه أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية:

«جاء في الكافي ـ أصح كتاب عندهم في الرواية»[1].

ويقول إحسان إلهي ظهير:

«هذه ومثل هذه الروايات كثيرة في أوثق كتاب من كتب القوم»[2].

ويورد الجبهان كلاماً لمحب الدين الخطيب، في تبديد ظلامه:

«إن طائفة كبيرة من أحاديث بخاريهم الذي يسمونه (الكافي)»[3].

وهكذا كل كتبهم.. لاتكاد تخلو من هذا التقرير الخاطىء، الذي كثيراً ما أساءوا فهمه، فأسقطوا عليه فهمهم وموقفهم من مصنفاتهم.

ولكي نزيل هذا اللبس، لابد من التوقف عند النقاط الآتية:

ليس ثمة من يعتقد بمطلق صحة هذه الروايات، والناظر فيما قاله كبار مصنفي الفقه والرواية الشيعية، يجد في سياق ذلك الكلام خلافاً لهذا الاعتقاد، إذ لابد من التمييز بين أن يكون الراوي ثقة أو يكون راوياً لبعض الموضوعات، إذ أن الاشتباه حاصل عند العامة، فليست الثقة شرطاً كافياً لصحة الرواية، إذ هناك من الثقات من قد يتوهم.

يقول الإمام علي(ع) في النهج:

«إن في أيدي الناس حقاً وباطلاً وصدقاً وكذباً وناسخاً ومنسوخاً وعاماً وخاصاً ومحكماً ومتشابهاً وحفظاً ووهماً»[4].

ثم قال: «(.....) ورجل سمع من رسول الله شيئاً لم يحفظه على وجهه فوهم فيه ولم يتعمد كذباً فهو في يديه ويرويه ويعمل به ويقول أنا سمعته من رسول الله(ص) فلو علم المسلمون أنّه وهم فيه لم يقبلوه منه، ولو علم هو أنه كذلك لرفضه»[5].

---

[1] - أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية ج٢ ص٤٢٧.

[2] - الشيعة والقرآن / إحسان ظهير ص٣٤.

[3] - تبديد الظلام الجبهان ص٢٢.

[4] - نهج البلاغة ص٤٦٦.

[5] - نفس المصدر ص٤٦٧.

ومحل الشاهد هنا، أن الحديث لا يكسب قدسيته المطلقة من قبل المحدث الشيعي، إذ هنالك معيارية لذلك ـ سوى الجرح والتعديل ـ وهي معيارية العرض على القرآن الكريم ما وافقه فهو صحيح، وما خالفه فليضرب به عرض الحائط كما هو المشهور.

ومن هنا، رأينا كيف تصرف بعض المحدثين في كتب الحديث الكبرى عند الشيعة، حيث تصرفوا فيهاوحذفوا ما ثبت أنه فاقد للصحة، و لم يثر ذلك ضجة في النفوس، لأن الحالة التي هم عليها، لاتشبه حالة العامة مع صحيح البخاري مثلاً. إن المشكلة ليست في مدى رجحان مصنفات هذه الفرقة أو تلك بالموضوعات، ولكن العيب هو في عدم الاعتراف بذلك الواقع. ومن هنا، فإن ما يدعيه البعض أن الشيعة يسلمون مطلقاً بكل ماجاء في الكافي أو غيره من الكتب الأربعة ليس إلا إسقاطاً لا دليل عليه. ولا أدل على ذلك مما قام به الشيخ محمد باقر البهبودي، الذي قام بتصحيح الكافي، وجاءت طبعته تحت عنوان: (صحيح الكافي) من سلسلة صحاح الأحاديث عند الشيعة الإمامية.

يقول الشيخ البهبودي في مقدمة الكتاب:

«ومن الأسف أننا نجد النموذج من هذه الأحاديث التي يفطرنا يوم صومنا ويصومنا يوم فطرنا، في روايات الشيعة أكثر منها في روايات أهل السنة. روى شطراً منها أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني[1] في كتابه الكافي».

ثم يقول: وها أنا الآن أقدم إليكم صحيح الكافي سنداً ومتناً على تلك الشريطة يتلوه عن قريب صحيح الفقيه (فقيه من يحضره الفقيه)..

«ومن بعده صحيح التهذيب والاستبصار وسنة المسكان».

---

[1] - مقدمة صحيح الكافي.

ودعنا نرى ما يقول الكليني نفسه في مقدمة كتاب الكافي: «فاعلم ياأخي أرشدك الله أنّه لا يسع أحداً تمييز شيء ممّا اختلف الرواية فيه عن العلماء(ع) برأيه إلاّ على ما أطلقه العالم بقوله: اعرضوها على كتاب الله فما وافق كتاب الله عزوجل فخذوه، وما خالف كتاب الله فردّوه»[1].

وكأن صاحب الكافي يريد أن يقول، أنه جمع الأحاديث، بما فيها المتقابل والمختلف، وقد جعل أبواباً خاصة بالنوادر، وعلى القارىء الباحث أن يصححها بعرضها على القرآن، أو كما قال في نهاية السياق، عرضها على الإجماع، ولم يدّع أنها كلها صحيحة وملزمة.

وإذا رجعنا إلى تهذيب الأحكام للشيخ الطوسي، نراه يقول:

«ذاكرني بعض الأصدقاء أيده الله ممن أوجب حقه علينا، بأحاديث أصحابنا أيدهم الله ورحم السلف منهم، وما وقع فيها من الاختلاف والتباين والمنافاة والتضاد حتى لا يكاد يتفق خبر إلا وبإزائه ما يضاده، ولا يسلم حديث إلا وفي مقابله ما ينافيه».

وفي الاستبصار، يقول شيخ الطائفة:

«وأنت إذا فكرت في هذه الجملة وجدت الأخبار كلها لا تخلو من قسم من هذه الأقسام، ووجدت أيضاً ما عملنا عليه في هذا الكتاب، وفي غيره من كتبنا في الفتاوى في الحلال والحرام لا يخلو من واحد من هذه الأقسام، ولم يشر في أول كل باب إلى ذكر ما رجحنا به الأخبار التي قد عملنا عليها»[2].

---

[1] - الكافي ج١ ص٨.

[2] - الاستبصار / الطوسي ج١ ص٥.

هذا باختصار، ما قاله أصحاب الكتب الأربعة المعتمدة لدى الشيعة، وهي ما يسميه العامة صحاح الشيعة. بل كل ما في الأمر أنهم تحدثوا عن وثاقة رواتهم، وعن إتقان التصنيف. و لم يرد من يدعي أنها ملزمة من أولها إلى آخرها. ولا من يدعي أنها أصح الكتب بعد القرآن. وبخصوص «الكافي» الذي حسب بعض العامة أنه بمقام بخاريهم عندنا.. فإن الكلام لم يجر عند علمائنا حول محتوى رواياته كلها، بل كان الكلام يدور حول وثاقة الرجل ومكانته عندهم.

يقول الشيخ حسين بن عبد الشهيد الحارثي الهمداني (رحمه الله): «محمد بن يعقوب شيخ عصره في وقته موجه العلماء النبلاء، كان أوثق الناس في الحديث وأنقدهم له، وأعرفهم به».

وقال المولى خليل القزويني: «اعترف المؤالف والمخالف بفضله قال أصحابنا كان أوثق الناس في الحديث وأغورهم في العلوم».

ويقول المجلسي: «والحق أنه لم يكن مثله في ما رأيناه في علمائنا».

أما الشيخ الطوسي قبلهم يقول في فهرسته ورجاله: «محمد بن يعقوب ثقة جليل القدر، عالم عارف بالأخبار».

وقال ابن طاووس: «الشيخ المتفق على ثقته وأمانته، أبلغ في ما يرويه، وأصدق في الدراية»(١).

ويجدر بنا أن نشير إلى أن عملية تصحيح الأخبار الواردة في الكافي من قبل علماء الشيعة قديماً، كانت قوية جداً، لقد ضعف المجلسي صاحب بحار الأنوار في شرحه للكافي «مرآة العقول» كثيراً من أخبار الكافي كما صحح بعضها. يقول السيد مرتضى العسكري: «وقد ذكر المحدثون لمدرسة أهل البيت أن فيها خمسة وثمانين وأربعمائة وتسعة آلاف حديث ضعيف من مجموع (١٦١٢١ حديث)»(٢).

---

(١)- علي آكبر الغفاري في مقدمة الكافي ص٦٧.

(٢)- معالم المدرستين ج٣ ص٢٨٢.

معنى هذا أن أغلبيته قابلة للمراجعة.

وقد ذكر السيد الخوئي كلاماً وافياً حول هذا الموضوع تحت عنوان (روايات الكتب الأربعة ليست قطعية الصدور)(١). والشاهد من ذلك، أن هؤلاء كانوا أكثر ورعاً و صدقاً، وتواضعاً لما دفعهم الاحتياط والأمانة إلى الاعتراف بواقع الرواية. وكان يسيراً على أولئك المصنفين أن يدعوا صحتها فتقتدي بهم العامة، كما هو الشأن بالنسبة لصحيح البخاري وغيره. ولكنهم كانوا قد أبانوا عن صدق نية وأعربوا عن طهر سريرة.

وفي مقابل هذه الحالة، نجد حالة أخرى تشكلها الثقة الزائدة في النفس عند الطرف المقابل، عندما يعتقد بكل بساطة، أن عندهم ما هو أصح كتاب بعد كتاب الله، بل إن أهل الصحاح أنفسهم، لهم حالات مع مصنفاتهم، لا يبلغها ملك مقرب، ولا نبي مرسل.

وقد يكون من الخطورة بمكان أن يسلم الإنسان بصحة كل ماجاء في تلك المصنفات، فيلزم نفسه حتى بما هو أشد مخالفة لكتاب الله، واللبيب من يتأمل تلك المفارقة العجيبة.

إن الحديث في مفهومه الشيعي، هو امتداد للقرآن، من حيث كونه شرحاً له، على نحو بيان مشكل، أو تخصيص عام أو تقييد مطلق، فالمعيارية الأساس في كل ذلك هي إرجاع الحديث إلى أصله وعرضه على القرآن. و لم يكن الحديث يوماً يشكل إطاراً مستقلاً ومنفصلاً عن القرآن، بحيث يصعب طرحه مع مناقضته له.

في هذا الصدد، لابد من الإشارة إلى الطرف المقابل، أي العامة ومعالجة ظاهرة «الأصحية» في التصنيف عندهم.

يعتقد السنة بأصحية كتبهم خلافاً للشيعة. يقول الفضل بن روزبهان: «وليس أخبار الصحاح الستة مثل أخبار الروافض، فقد وقع إجماع الأئمة على صحتها»(٢).

---

(١)- معجم رجال الحديث / الخوئي ج١ ص٢٢.

(٢)- إحقاق الحق ج٢ ص٢٣٥.

وجرياً على نفس الأسلوب الذي اتبعناه آنفاً بخصوص الكتب الأربعة لدى الشيعة، نرى أن نقسم المطلب إلى قسمين: ماذا قال أهل الصحاح عن أنفسهم ومصنفاتهم؟ وماذا قال العلماء وأتباعهم عنهم؟

١ ـ ماذا قالوا عن أنفسهم؟!

يقول البخاري: «صنفت كتابي لست عشرة سنة، خرجته من ستمائة ألف حديث وجعلته حجة فيما بيني وبين الله تعالى»(١).

ويقول مسلم: «صنفت كتابي هذا، من ثلاثمائة ألف حديث مسموع، ولو اجتمع أهل الحديث، وكتبوا فيه مائتي سنة، فمدارهم على هذا المسند»(٢).

ويتحدث الترمذي عن صحيحه قائلاً:

«صنفت هذا الكتاب فعرضته على علماء الحجاز والعراق وخراسان فرضوا به، ومن كان في بيته هذا الكتاب فكأنما في بيته نبي يتكلم»(٣).

وللأمانة تجدر الإشارة إلى أن مكانة الكتب الأربعة غير الصحيحين، لم تصل إلى ذلك المقام عند العامة إلا بسبب الاعتبار الزائد، فمصنفوها لم يكونوا يبالغون في إطلاق صحتها، كأبي داوود الذي يقول:

«ذكرت في السنن الصحيح وما يقاربه، فإن كان فيه وهن شديد بينته»(٤).

٢ ـ ما قيل عنهم.

إذا بلغ الأمر بالعامة أن تقول عن مصنفات أقل درجة من الإتقان بالنسبة للصحيحين بما يشد العقول بها ويلزمها. كقولهم في سنن أبي داوود: «كتاب الله

---

(١) مقدمة فتح الباري.

(٢)- مقدمة شرح النوري.

(٣)- تذكرة الحفاظ ١٨٨/٢ تهذيب ٣٨٩/٩.

(٤)- مقدمة كمال يوسف الحوت، سنن أبي داوود ج١ ص١٤دار الجنان/ بيروت/ ١٩٨٨م.

أصل الإيمان، وسنن أبي داود عهد الإسلام»(١).

وقول الحافظ زكريا الساجي: «كتاب الله أصل، وكتاب أبي داود عهد الإسلام»(٢).

فإذا بلغ بهم الأمر تلك المنزلة، فماذا يا ترى بالنسبة للصحيحين؟!

يقول النووي في التقريب(٣):

«أول مصنف في الصحيح المجرد: صحيح البخاري، ثم صحيح مسلم، وهما أصح الكتب بعد القرآن، والبخاري أصحهما، وأكثرهما فوائد، وقيل: مسلم أصح، والصواب الأول».

وقد غالى أهل السنة في البخاري حتى جعلوا له كرامات.

ويذكر القاسمي: «هو عدل القرآنأي البخاريـ وأنه إذا قرئ(٤) في بيت أيام الطاعون حفظ أهله منه، وأن من ختمه على أي نية حصل ما نواه، وأنه ما قرئ في شدة إلا فرجت، ولا ركب به في مركب فغرقت».

وذكر الفربري(٥).

«رأيت النبي(ص) في النوم، فقال لي: أين تريد؟ فقلت: أريد محمد بن إسماعيل البخاري، فقال: إقرأه السلام».

ويذكر النووي في مقدمة شرح صحيح مسلم(٦):

«اتفق العلماء رحمهم الله على أن أصح الكتب بعد القرآن العزيز الصحيحان، البخاري ومسلم، تلقتهما الأمة بالقبول».

---

(١) - تذكرة الحفاظ ج٢ ص٥٩٣.

(٢) - مقدمة كمال يوسف الحوت سنن أبي داوددار الجنان/ بيروت ج١ ص١٥.

(٣) - التقريب للنووي ص٣.

(٤) - قواعد التحديث ص٢٥٠.

(٥) - تاريخ بغداد ج٢ ص١٠.

(٦) - شرح صحيح مسلم ص١٥.

وقال ابن حجر الهيثمي: «روى الشيخان، البخاري، ومسلم في صحيحيهما اللذين هما أصح الكتب بعد القرآن بإجماع من يعتد به»(١).

وغالى بعضهم، فرأى أن يستأجر رجالاً يقرأون الأحاديث النبوية في كتاب الإمام البخاري استجلاباً للبركات السماوية(٢).

تلك هي باختصار أقوالهم في الصحيحين. ولا أدل على اعتقاد العامة بذلك عندما يقدم أحد كائناً من كان على ادعاء تصحيح بعض أحاديث البخاري أو مسلم.

وقد تكتشف من هنا الفرق العجيب بين نوعين من التعاطي مع مصنفات الحديث، فالشيعة رغم معرفتهم بأعلمية الكليني وإحاطته بعلوم أخرى، فهم لا يدعون ذلك، حتى ولو أتى من أهل عقيدة محمد بن عبدالوهاب وأوردوا مثالاً لرؤيا الكليني للإمام المهدي(ع) وقول الأخير: «الكافي كاف لشيعتنا»(٣) . فإنه لا الكليني يدعي مُطلق ثبوت تلك الأخبار عن المعصوم، ولا أحد من العلماء ادعى ذلك، ولا أحد يحكم بتواتر خبر الرؤيا. وقد أثبتوا هم أيضاً أكثر من رؤيا، كتلك التي ذكرنا آنفاً.

ومن هنا يكون من السهل عدم إلزام النفس بأي رواية من روايات الكافي، إذا ما تبين للعلماء المحققين أنها مخالفة لروح الإسلام، ولا يكون الأمر منافياً لثقة الكليني، إذ هذا الأخير كان يروي أيضاً عن بعض الضعاف، هو وغيره من أصحاب المصنفات.

وإذا أضفنا أيضاً، أن الاجتهاد في العالم الشيعي لا يزال مفتوحاً، لم توصد أبوابه كما هو الحال عند العامة، فإن تلافي مثل تلك المرويات الضعيفة أمر ممكن. أما فيما يرتبط بواقع الصحيحين فالأمر يختلف، فالصحاح كتبت وقد جف المداد ورفع القلم

---

(١) - الصواعق المحرقة ص٥.

(٢) - راجع دائرة معارف القرن العشرين ج٣ ص٤٨٢.

(٣) راجع دائرة معارف القرن العشرين ج٣ ص٤٨٢.

وغلقت الأبواب أمام الاجتهاد، فلا مانع للعامة من الاستسلام إلى كل أخباره حتى تلك التي تخالف ألف باء الفقاهة الدينية.

وعلى هذا الأساس، تكون الأحاديث الشاذة في الكافي لها ما يخرجها أو يجيز تأويلها، بينما لا تخريج ولا مخرج من الحديث الشاذ إذا دخل في قفص الصحاح، فتلتزم به الأمة وهي على علم وعلى إحساس بمخالفته وشذوذه عن الإسلام.

ومما يدل على كلامنا، أن الشيعة ذهبت مذهباً في الحديث، حيث صنفت الرواية إلى أربعة أصناف:

أ ـ **الصحيح**: وهو ما اتصل سنده إلى المعصوم بنقل الإمامي العدل، عن مثله في جميع الطبقات.

ب ـ **الحسن**: وهو ما اتصل سنده إلى المعصوم بإمامي ممدوح من غير نصّ على عدالته، مع تحقق ذلك في جميع الطبقات..

ج ـ **الموثّق ويقال له**: القوي أيضاً وهو ما دخل في طريقه من نص الأصحاب على توثيقه مع فساد عقيدته بأن كان من إحدى الفرق الإسلامية المخالفة للإمامية وإن كان من الشيعة.

د ـ **الضعيف**: وهو ما لا يجتمع فيه شروط أحد الثلاثة المتقدمة بأن يشتمل طريقه على مجروح بالفسق ونحوه أو مجهول الحال أو ما دون ذلك كالوضاع[1].

وعليه، فإن عدم اقتصار الكليني على الصحيح منها، دليل على إمكانية تصنيفها على ذلك الضوء، يقول السيد مرتضى العسكري:

«ومن نتائج التصنيف الأخير للحديث واعتمادهم المطلق عليه، أنهم وزنوا أحاديث الكافي بالجملة عليه وقالوا: أن الكافي يشتمل على تسعة وتسعين ومائة حديث وستة عشر ألف حديث، منها: «٥٠٧٢ حديث صحيح، ١٤٤ حديث

---

(١)- راجع الشهيد الثاني/ الدراية ص١٩ـ٢٤ الباب الأول، في أقسام الحديث.

حسن، ١١١٨ حديث موثق، ٣٠٢ حديث قوي، ٩٤٨٥ حديث ضعيف، ١٦١٢١ المجموع»(١).

إذن لا مجال لاعتبار الكليني بخارياً ولا الكافي صحيحاً مطلقاً، وتنتفي بذلك أسطورة: هذا ما عثرنا عليه في أصح كتبهم، فيبقى القرآن هو المعيار الأخير وبذلك يرفع الحرج على المسلمين.

لِنأت بعد ذلك إلى الصحيحين، ونذكر بعضاً من تلك الروايات التي تناقض روح الإسلام، ومع ذلك اكتسبت قدسيتها لا لشيء إلا لأنها رويت عن البخاري أو مسلم. وقبلها نعطي نظرة مجملة عن شخصيتي البخاري ومسلم وما يمكن أن يقال حول طريقتهما في الإخبار.

يؤخذ على البخاري عدم الأضبطية في الحديث والتصنيف. ذكر الذهبي عن أبي عمرو حمدان قال:

«سألت ابن عقدة: أيهما أحفظ البخاري أو مسلم؟ فقال: كان محمد (يعني البخاري) عالماً، ومسلم عالماً، فأكدت عليه مراراً، فقال:

يقع لمحمد الغلط في أهل الشام، وذلك لأنه أخذ كتبهم ونظر فيها، فربما ذكر الرجل بكنيته ويذكره في موضع آخر باسمه يظنه اثنين، وأمّا مسلم فقلّما يوجد غلط في العلل، لأنه كتب المسانيد، ولم يكتب المقاطيع ولا المراسيل»(٢).

وقال ابن حجر العسقلاني: من نوادر ما وقع في البخاري، أنه يخرج الحديث تاماً بإسناد واحد بلفظين»(٣).

وكان البخاري، لا يكتب الحديث عند سماعه.. بل يحتفظ به لفترات طويلة ثم يدونه.. ذكر حيدر بن أبي جعفر والي بخارى: قال لي محمد بن إسماعيل يوماً:

---

(١) - معالم المدرستين ص٢٧٣ ج٣/ أضواء على السنة/ أبورية ص٣٠٦ ط٥ مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.

(٢) - فتح الباري نقلاً عن الأضواء ص٣٠.

(٣) - من هدي الساري/ نفس المصدر.

«رب حديث سمعته بالبصرة كتبته بالشام، ورب حديث سمعته بالشام كتبته بمصر! فقلت له: ياأبا عبدا لله بتمامه؟ فسكت».

ويزكي هذه الشهادة قول محمد بن الأزهر السجستاني: «كنت في مجلس سليمان بن حرب والبخاري معنا يسمع ولا يكتب، فقيل لبعضهم». ماله لا يكتب؟ فقال يرجع إلى بخارى ويكتب من حفظه(١).

ولعل ذلك ما جعل البخاري يخلط في التبويب ولا يضبط الموضوعات. إذ تجد عنده مثلاً في كتاب المرضى والطب باباً اسمه باب قوموا عني وفي كتاب الجهاد جعل باب صفة الحور العين وكذلك في كتاب(٢)، المحاربين من أهل الكفر والردة باب اسمه باب رجم الحبلى.

لقد اعتقد الكثير من أهل السنةممن صعب عليهم مخالفة المعقول بعدم حجية البخاري ومسلم، بصورة مطلقة بناء على ما يظهر من البخاري ومسلم. خصوصاً وأنهم كانوا يرون طريقتهما في التدليس أحياناً. وفي الرواية عن المطعونين.

يقول الذهبي، بترجمة عبدا لله بن صالح المصري: «روى عنه البخاري في الصحيح ولكن يدلسه، فيقول: حدثني عبدا لله ولا ينسبه»(٣).

وقال ابن حجر ، عن ابن بندة أنه قال في حق مسلم:

«كان يقول فيما لم يسمعه من مشايخه: قال لنا فلان، وهو تدليس(٤) . أما في النقل عن المدلسين، يقول ابن الصلاح:

«احتج البخاري بجماعة سبق من غيره الجرح لهم كعكرمة مولى ابن عباس وكإسماعيل بن أبي أويس وعاصم بن علي، وعمرو بن مرزوق وغيرهم، واحتج مسلم

---

(١) - نفس المصدر.

(٢) - علي آكبر الغفاري، مقدمة الكافي ص١٠.

(٣) - ميزان الاعتدال ج٢ ص٤٤٢ ط١٣٨٢.

(٤) تعريف أهل التدليس بمراتب الموصوفين بالتدليس، الغفاري مقدمة الكافي ص١٣.

بسويد بن سعيد وجماعة اشتهر الطعن فيهم وهكذا فعل أبو داوود»(١).

وتجدر الإشارة إلى أن البخاري مع كل ماذكرنا حول طريقته في تدوين الخبر، كان قد مات وهو لمّا ينهي صحيحه، إذ كثيراً مابقيت أمور لم يبيضها.

ذكر ابن حجر، أن أبا إسحاق إبراهيم بن أمه المستملي قال: «انتسخت كتاب البخاري من أصله الذي كان عند صاحبه محمد بن يوسف الفربري، فرأيت فيه أشياء مبيضة، منها تراجم لم يثبت بعدها شيئاً ومنها أحاديث لم يترجم لها فأضفنا بعض ذلك إلى بعض»(٢).

ومن ثم اختلف عدد روايات البخاري، إذ يزيد عددها في رواية الفربري على عددها في رواية إبراهيم بن معقل النسفي بمائتين. كما يزيد عددها في رواية النسفي على عددها في رواية حماد بن شاكر النصفي بمائة(٣).

ولنعد إلى جانب آخر من الموضوع. لنفتح ملفاً عن بعض المرويات الشاذة في الصحيحين أو تلك التي رواها البخاري و لم يودعها الصحيح. لنعرف بعد ذلك سبب رفض البعض لغلو فكرة(الأصحية) ولبيان سذاجة من ادعاها، وسوف نعرض بعضاً منها على التوالي:

١ ـ شرك والدي النبي صلى الله عليه وسلم.

روى مسلم(٤) في صحيحه عن النبي: أن رجلاً قال: يارسول الله، أين أبي؟ قال: في النار، فلما مضى دعاه، فقال: أبي وأباك في النار. وهذا بالإضافة إلى ما فيه من غمز لشخص رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فإنه يخالف حقيقة تاريخية وهي أن آباءه كانوا على الملة الإبراهيمية قبل الإسلام، وهي ليست من الشرك. وقد

---

(١) مقدمة ابن الصلاح ط١٤١٦هـ دار الكتب العلمية.

(٢) - مقدمة فتح الباري ج١ ص٥.

(٣) - شروط الأئمة الخمسة، نقلاً عن الأضواء، أبورية ص٣٠٧.

(٤) - صحيح مسلم ج١ كتاب الإيمان، باب بيان من مات على الكفر فهو في النار.

جاء في أحاديث الشيعة. للأسف السنة يدعون أنهم أكثر احتراماً لرسـول اللهحديث قال فيه: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

ياعلي إن عبدالمطلب كان لايستقسم بالأزلام، ولا يعبد الأصنام، ولا يأكل ماذبح على النصب، ويقول: أنا على دين إبراهيم(١).

٢ ـ حول بول الرسول قائماً.

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما.

«عن أبي وائل قال: كان أبو موسى الأشعري يشدد في البول ويقول: إن بني إسرائيل كانوا إذا أصاب ثوب أحدهم قرضه، فقال حذيفة: لوددت أن صاحبكم لايشدد هذا التشديد، فلقد رأيتني أنا ورسول الله نتماشى فأتينا سباطة خلف حائط فقام كما يقوم أحدكم فبال، فانتبذت منه، فأشار إليّ فجئت فقمت عند عقبه حتى فرغ»(٢).

وفي هذه الرواية ما يبعث على سوء الأدب الذي يناقض مقامات الأنبياء. غير أن أهل الصحاح لا يرون في ذلك ما يخالف المظنون من الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ما دامت أسطورة الأصحية مما لا يرقى إليها شك. فضلاً عن أن هذه الرواية تخالف ما ذكر في كتب أخرى، كحديث ابن عمر، عن عمر قال: رآني النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) وأنا أبول قائماً فقال: ياعمر لا تبل قائماً فما بلت قائماً بعد(٣).

وقول عائشة: «من حدثكم أن النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) كان يبول قائماً فلا تصدقوه. ما كان يبول إلا قاعداً»(٤).

٣ ـ ومن تلك الروايات التي يندى لها جبين كل ذي روح وضمير، ما رواه مسلم في صحيحه، عن عائشة قالت: إن رجلاً سأل رسول الله (صلى الله عليه وآله

---

(١) بحار الأنوار ج١٥ ص١٢٧.

(٢) - صحيح البخاري/ ج١ كتاب الوضوء باب البول عند صاحبه، صحيح مسلم ج١ باب المسح على الخفين.

(٣) - سنن الترمذي/ ج١ ص١٠.

(٤) - سنن الترمذي/ ج١ ص١٠ وسنن النسائي ج١ ص٢٦.

وسلم) عن الرجل يجامع أهله ثم يكسل، هل عليهما الغسل؟ وعائشة جالسة، فقال رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) إني لأفعل ذلك أنا وهذه ثم نغتسل»(١).

فهل يعقل صدور ذلك عن النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) الذي يروي عنه مسلم نفسه:

«كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أشد حياء من العذراء في خدرها»(٢).

٤ ـ عن أبي هريرة عن النبي(صلى الله عليه وآله وسلم): «إذا قاتل أحدكم أخاه، فليتجنب الوجه فإن الله خلق آدم على صورته»(٣).

ولعل مسلم لم يقرأ قوله تعالى: **﴿ليس كمثله شيء﴾**!.

ومثله في التجسيم: ما رواه البخاري عن أبي هريرة، عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال:

«خلق الله الخلق، فلما فرغ منه قامت الرحم فأخذت بحقو الرحمان فقال: مه! قالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة، قال: ألا ترضين أن أصل من وصلك، وأقطع من قطعك؟ قالت بلى يارب. قال: فذاك»(٤).

٥ ـ ومن الطرائف العجيبة التي كان بها صحيح البخاري صحيحاً. حديث عن أبي هريرة قال: قرصت نملة نبياً من الأنبياء فأمر بقرية النمل فأحرقت، فأوحى الله إليه أن قرصتك نملة أحرقت أمة من الأمم تسبح الله(٥).

---

(١) صحيح مسلم/ ج١ كتاب الطهارة باب نسخ الماء من الماء ووجوب الغسل من التقاء الختانين.

(٢) - صحيح مسلم/ ج٧ كتاب الفضائل، باب كثرة حيائه.

(٣) - صحيح مسلم/ ج٨ باب الشمالي عن ضرب الوجه.

(٤) - صحيح البخاري/ ج٦ تفسير سورة الذين كفروا، الحقو في اللغة هو الكشح، أي ما بين الخاصرة إلى الضلع الخلفي كما في لسان العرب.

(٥) - صحيح البخاري/ ج٤ كتاب فضل الجهاد، مسلم ص٧ كتاب قتل الحيات باب النهج عن قتل النمل.

فقصة كهذه لا يمكن صدورها عن نبي.. بل لعلها من القصص التي تصدق على الفراعنة والقياصرة؟

بعد هذه النماذج التي أوردناها على سبيل الإيجاز، كيف يعقل أن ما جاء به البخاري ومسلم هو من الصحيح؟ وكيف يستقيم قول البخاري فيما يروي عنه الإسماعيلي. «لم أخرج في هذا الكتاب إلاصحيحاً أنه ومما تركت من الصحيح أكثر»(١).

ومن ثم، رأى بعض علماء السنة، قديماً وحديثاً، أنه من المبالغة الاعتقاد بأصحيتهما، مشككين هم أنفسهم في أضبطية مصنفي الصحيحين، فقد ذكر الخطيب البغدادي عن سعيد بن عمرو البرذعي قال:

«شهدت أبا زرعةيعني الرازيذكر كتاب الصحيح الذي ألفه مسلم بن الحجاج، ثم الصائغ على مثاله (ويقصد به البخاري) فقال لي أبو زرعة: هؤلاء قوم أرادوا التقدم قبل أوانه، فعملوا شيئاً يتسوقون به، ألفوا كتاباً لم يسبقوا إليه ليقيموا لأنفسهم رئاسة قبل وقتها»(٢).

وذكر الحفاظ: «أن مسلماً لما وضع كتابه الصحيح عرضه على أبي زرعة الرازي فأنكر عليه وتغيظ وقال: سميته الصحيح! فجعلت سلماً لأهل البدع وغيرهم فإذا روى لهم المخالف حديثاً يقولون: هذا ليس في صحيح مسلم».

ولما قدم مسلم الري خرج إلى أبي عبدا لله محمد بن مسلم بن واره فجفاه وعاتبه على هذا الكتاب، وقال له نحواً مما قال أبو زرعة، فاعتذر إليه مسلم وقال له: إنّما أخرجت هذا الكتاب، وقلت (هو صحاح) و لم أقل: إن مالم أخرجه من الحديث في هذا الكتاب ضعيف. ولكن إنما أخرجت هذا من الحديث الصحيح ليكون مجموعاً

---

(١) - فتح الباري/ نقلاً عن أضواء على السنة المحمدية، لمحمود أبو رية، ص٣٩٩.

(٢) - تاريخ بغداد ج٤ ص٢٧٣٢٧٤.

عندي وعند من يكتبه عني، ولا يرتاب في صحتها، ولم أقل أن ما سواه ضعيف، فقبل عذره وحدثه»(١).

وبودنا أن نختم هذه المعالجة، بواقعة تدل على بؤس الفقاهة عند البخاري:

ذكر شمس الأئمة: «قدم محمد بن إسماعيل البخاري بخارى في زمن أبي حفص الكبير وجعل يفتي، فنهاه أبو حفص وقال: لست بأهل له، فلم ينته حتى سئل عن صبيين شربا من لبن شاة أو بقرة. فأفتى بثبوت الحرمة، فاجتمع الناس عليه وأخرجوه من بخارى. والمذهب أنه لارضاع بينهما»(٢).

على هذا المبنى، إذا كان في قرية صغيرة من يمد أهلها بلبن يحلبه من بقرة، يكون باقي سكانها إخواناًبإذن ربهم!

فهذا هو الفقيه الذي جعلوا رواياته أصح الروايات وجعلوا من صحيحه أصح كتاب بعد كتاب الله!

على ضوء ماقدمنا لم يعد هناك شك في موقف الشيعة من كتب الحديث قاطبة، نعم لقد تحدثوا عن الأوثقية وعن الأضبطية ولكنهم لم يتشددوا في أصحية مصنفيهم وأتباعهم. وعندما يأتي، إحسان إلهي ظهير في كتابه «الشيعة والقرآن»، بعد أن ذكر ماقيل في الكافي للكليني، ينتهي بالقول: «هذا قليل من كثير مما قالوه في كتابه»(٣). ولم يذكر إحسان إلهي ظهير غير كلام لهم عن فضل الكليني وأوثقيته وكان مما ذكره: «يعتقد بعض العلماء أنه عرض على القائم، فاستحسنه وقال: كافٍ لشيعتنا»(٤).

---

(١)- الأضواء، أبو رية ص٣١٠.

(٢)- الجواهر المضيئة/ ج١ ص٤٧.

(٣) - الشيعة والقرآن، إحسان إلهي ظهير ص٢٩٣٠.

(٤) - المصدر نفسه ص٢٧.

وقد سبق أن عرضنا لكلام الكليني نفسه وأقوال المصنفين وأهل الرأي من الشيعة.

وكان على إحسان إلهي ظهير أن لايغفل ما قالوه عن بخاريهم ومانسجوا حوله من أساطير، فتلك الرؤيا التي أوردها حول كافي الكليني لم تثبت شيئاً غير أنه كافٍ لشيعتهم مع أن الشيعة لايقرون بالرؤيا والأحلام في تقنين شرائعهم كما هو المشهور عند العامة.

وهاك ماحيك حول الصحيح من أساطير ومبالغات:

* عن أبي زيد المروزي أنه قال:

كنت نائماً بين الركن والمقام، فرأيت النبي(صلى الله عليه وسلم) في المنام، فقال لي:

ياأبازيد، إلى متى تدرس كتاب الشافعي، ولاتدرس كتابي[1] ؟، فقلت: يارسول الله وماكتابك؟ قال: جامع محمد بن إسماعيل.

* قال إمام الحرمين:

«لو حلف إنسان بطلاق امرأته أن كل مافي كتاب البخاري ومسلم يحكم بصحته من قول النبي(صلى الله عليه وسلم)، لما ألزمته الطلاق، ولا أحنثته، لإجماععلماء المسلمين على صحتهما»[2].

* قال القاسمي في قواعد التحديث في حديثه عن صحيح البخاري: «هو عدل القرآن، وإنه إذا قرئ في بيت أيام الطاعون حفظ أهله منه، وإن من ختمه على أي نية حصل مانواه، وإنه ماقرىء في شدة إلا فرجت، ولاركب به في مركب فغرقت»[3].

---

(١) - مقدمة فتح الباري/ ص٤٩٠.

(٢) - مقدمة شرح النووي.

(٣) - قواعد التحديث.

* ويقول الفربري:

رأيت النبي(صلى الله عليه وسلم)، فقال لي: أين تريد؟ فقلت: أريد محمد بن إسماعيل البخاري. فقال: اقرأه السلام[1].

وعليه، فإن الغلو الذي شهدته مدرسة الرأي حول صحاحها، لم يحدث لدى الشيعة، ولاحصل يوماً ما إجماع بصحته إذ لا اعتبار للصّحاح إلا بإقرار المعصوم حقيقة لا وهماً على نحو رؤيا وحلم. لأن هذه الأخيرة لاتحرز حكماً ولاهي معتبرة في هذا المقام، فيترتب عليه عدم اعتبار رؤيا الكليني المنقولة عنه، إذ ماتدل عليه القرائن، أن أهل المصنفات الشيعية الكبرى لم يدّعوا أنهم قالوا مطلق الصحيح، وليس من أتباعهم من قطع بمطلق الصدور،و لم يثبت أن تبرك به العامة.

لنأت الآن إلى قضية أخرى ذات مدخلية في موضوعنا. وهي تلك التي تتعلق بنهج البلاغة، الذي جمعه الشريف الرضي من أقوال وخطب الإمام علي عليه السلام، فهو أحد الكتب المعتبرة عند الشيعة قاطبة.

والإشكال هنا يرد من قبل جمهور من الوهابية، حيث يكذبون كل ماجاء فيه بنفس التطرف الذي عليه اعتقادهم بمطلق صدور الصحيحين.

وكثير منهم شك في أسلوب نهج البلاغة ولغته، واعتبروه من اختلاق الشريف الرضي، تأثراً بالاعتزال، إذ كثيراً ماتناولت خطب الإمام علي في نهج البلاغة، عبارات كلامية لم تكن متداولة يومها. فهل الشريف الرضي من وراء ذلك الاختلاق حجة لنا لنسبته إلى الإمام علي؟

أبدأ بالسؤال الثاني. وأقول، إن نسبة النهج إلى الإمام علي من قبل الشريف الرضي، لاتحتاج إلى دليل، مادام الملزم بالدليل هو المنكر لهذه النسبة. وحيث أن المنكرين لم يعطوا وثائق دقيقة في هذا المجال، فيبقى الأصل في المسألة هو صحة نسبته

---

[1] - تاريخ بغداد ج٢ ص٩ ـ ١٠.

إلى الإمام علي عليه السلام، والإلا لترتب عليه، أن كل من أتى بكتاب أو نسبه إلى غيره يكون كاذباً حتى يأتي بالدليل والبرهان. وعليه، سنكذب صحيح البخاري لعدم إقامته الدليل على نسبة أحاديثه إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ولعدم إقامة رواته ونقلة صحيحه، البرهان على ذلك. خصوصاً وأن البخاري مات دون أن يستكمل تبييض كتاب الصحيح.

وبغض النظر عن هذا الاعتراض المنهجي لابد من إثبات نسبة نهج البلاغة إلى الإمام علي من خلال النقاط التالية:

كان مبعث الشك متأخراً، تزعمه جمع من رواد النصب وطلائع الحقد على مدرسة أهل البيت، مع أن كثيراً من أهل السنة والجماعة من المعتبرين شرحوه واعتمدوه. إذ من المعاصرين من أقدم على ذلك كالشيخ محمد عبده وبعده صبحي الصالح، كما اشتهر قديماً بشرحه ابن أبي الحديد المعتزلي والقطب الراوندي.

يقول الشيخ محمد عبده، في مقدمة شرح النهج:

«ذلك الكتاب الجليل هو جملة ما اختاره السيد الشريف الرضي رحمه الله من كلام سيدنا ومولانا أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، جمع متفرقه وسماه بهذا الاسم (نهج البلاغة)، ولا أعلم اسماً أليق بالدلالة على معناه منه، وليس في وسعي أن أصف هذا الكتاب بأزيد مما دلّ عليه اسمه».

يقول ابن أبي الحديد في مقدمة شرح النهج:

«كثير من أرباب الهوى يقولون: إن كثيرا من نهج البلاغة كلام محدث صنعه قوم من فصحاء الشيعة، وربما عزوا بعضه إلى الرضي أبي الحسن أو غيره، وهؤلاء أعمت العصبية أعينهم فضلوا عن النهج الواضح، وركبوا بُنيات الطريق، ضلالاً وقلة معرفة بأساليب الكلام»[1].

---

[1] - شرح النهج/ لابن أبي الحديد ج١٠ ص١٢٨.

وقد ردّ ابن أبي الحديد على ذلك الزعم بكلام يستحق ذكره هنا مفصلاً:

* «أنا أوضح لك بكلام مختصر مافي الخاطر من الغلط فأقول: لايخلو إما أن يكون كل نهج البلاغة مصنوعاً منحولاً، أو بعضه.

والأول باطل بالضرورة، لأنا نعلم بالتواتر صحة إسناد بعضه إلى أميرالمؤمنين(ع)، وقد نقل المحدثون ـ كلهم أو جلهم ـ والمؤرخون كثيراً منه، وليسوا من الشيعة لينسبوا إلى غرض في ذلك.

والثاني يدل عليه ماقلناه، لأن من قد أنِس بالكلام والخطابة، وشدا طرفاً من علم البيان، وصار له ذوق في هذا الباب، لابد أن يفرق بين الكلام الركيك والفصيح، وبين الفصيح والأفصح، وبين الأصيل والمولد، وإذا وقف على كراس واحد يتضمن كلاماً لجماعة من الخطباء، أو لاثنين منهم فقط، فلابدّ أن يفرق بين الكلامين، ويميز بين الطريقتين، ألا ترى أنّا مع معرفتنا بالشعر ونقده، لو تصفحنا ديوان أبي تمام فوجدناه قد كتب في أثنائه قصائد أو قصيدة واحدة لغيره لعرفنا بالذوق مابينها لشعر أبي تمام نفسه وطريقته ومذهبه في القريض، ألا ترى أن العلماء بهذا الشأن حذفوا من شعره قصائد كثيرة منحولة إليه، لمباينتها لمذهبه في الشعرّ وكذلك حذفوا من شعر أبي نواس كثيراً.

وأنت إذا تأملت نهج البلاغة وجدته كله ماءً واحداً، ونفساً واحداً، وأسلوباً واحداً، كالجسم البسيط الذي ليس بعضه [illegible] لباقي الأبعاض في الماهية، وكالقرآن العزيز، أوله كوسطه، وأوسطه [illegible] سورة منه وكل آية مماثلة في المأخذ والمذهب والفن والطريقة والنظم بين الآيات والسور.

ولو كان بعض نهج البلاغة منحولاً وبعضه صحيحاً، [illegible] يكن ذلك كذلك فقد ظهر لك بالبرهان الواضح ضلال من زعم أن هذا [illegible] بعضه منحول إلى أمير المؤمنين عليه السلام»[1].

---

[1] - شرح النهج/ ابن أبي الحديد ج١٠ ص١٢٨ ـ ١٢٩.

واهتم غفير من العلماء بنهج البلاغة، وسلموا به وأقدموا على شرحه حتى بلـغ شراحه إلى ماينوف على الخمسين شارحاً كما يقول السيد هبة ا لله الشهرستاني[1].

ومن شراحه:

ـ أبوالحسين البيهقي.

ـ الإمام فخر الدين الرازي.

ـ القطب الراوندي.

ـ كمال الدين محمد ميثم البحراني.

إن الاهتمام بخطـب الإمـام علي (ع) كـانت تقليـداً أصيـلاً عنـد السـلف مـن أصحابه، و لم يكن الشريف الرضي أول من اهتم بخطبه، فهناك من حفظها وجمعها.

قال الجاحظ،خطب علي كانت مدونة محفوظة مشهورة.

وذكر المسعودي: الذي حفظ الناس من خطبه في سائر مقاماته أربعمائة ونيـف وثمانون خطبة[2].

وقد جمع الشريف الرضي خطبه من مصادر سـابقة ومـن رواة معروفـين لـدى العامة والخاصة، فانتقى منها ماهو أجود بياناً، ليؤلف منه نهجا للبلاغة ومأدبة للبيـان. وكان من تلك المصادر، البيان والتبيين للجاحظ، وتاريخ الطبري، والجمـل للواقـدي، والمغازي لابن يحيى الأموي، والمقتضـب للمبرد. وقـد ذكـر صـاحب مصـادر النهـج مايربو على ١١٤ مصدراً من مصادر النهج[3].

والشريف الرضي، بعد كل ماقيل حول مصنفه هذا هو شـخصية لهـا وزنهـا في نفوس السلف، ورجل موصوف بالوثاقة والورع.

---

[1] - مصادر النهج/ السيد هبة ا لله الشهرستاني ص٨ ـ ١٠.

[2] - المصدر نفسه ص٥٠.

[3] - المصدر نفسه ص٥٠.

يقول عنه ابن أبي الحديد: «وكان عفيفاً شـريف النفـس، عـالي الهمـة، ملتزمـاً بالدين وقوانينه، ولم يقبل من أحد صلة ولا جائزة، حتى أنه ردّ صلات أبيه، ونـاهيك بذلك شرف نفس وشدة ظلف»[1].

ومن ثقته كان يروي عنه بعض علماء العامة، إذ يروي عنه سـبط بـن الجـوزي الحنفي، في قولـه: أخبرنـا الشـريف أبـو الحسـن علي بـن محمـد الحسـيني بإسـناده إلى الشريف المرتضى قال:

وقع إليّ من خطب أميرالمؤمنين (ع) أربعمائة خطبة، وكان قد أسلم عليه معيار الديلمي الشاعر المشهور، بعد أن كان مجوسياً»[2].

يقول عثمان بن خلكان:

وذكره ابن بسام الأندلسي في أواخر كتاب، الذخيرة فقال: كان هذا الشـريف إماماً لأئمة العراق، بين الاختلاف والاتفاق إليه نزع علماؤها، وعنه أخذ عظماؤهـا، صاحب مدارسها وجامع شـاردها وأنسـها : ممـن سـارت أخبـاره وعرفـت أشـعاره وجمعت في ذمة الله مآثره وآثاره»[3].

كان ذلك هو نهج البلاغة كما قال عنه العظماء، واعـترف بـه فرسـان البلاغـة والفقاهة، وذاك هـو الشـريف الرضـي كمـا وصفـه القريـب والبعيـد. فكيـف يدعـي المدعون، أن النهج منحول أو مختلق. تقول جماعة من المعادين، أنه باطل وغير ثابت؟!

يقول صاحب وجاء دور المجوس:

«والخميني في كتبه يرجع إلى، نهج البلاغة، هو عندهـم من الكلام الذي لايأتيـه

---

(1) - المصدر نفسه.

(2) - شرح النهج/ ابن أبي الحديد ج1 ص33.

(3) - وفيات الأعيان ج5 ص354.

الباطل من بين يديه ولا من خلفه، كما يرجع إلى كتاب الكافي»[1].

وكأنه يرى في ذلك عيباً، ويضع نفسه على صغر شأنها مقام المتقوّل والناقد، لأحد شوامخ الفقه الإسلامي في العصر الحديث. ويكفينا ماذكرناه حول نهج البلاغة ليتبين القارىء، أنها جماعة تلقي الكلام على عواهنه، بجهل وقلة حياء.

---

[1] - وجاء دور المجوس ص١٢١.

هدف المبحث

لم يكن القصد من مبحثنا هنا القيام بعملية احتجاج واسعة ضد صحاح العامة، وإثبات صحاحنا في مقابل ذلك. إن القصد من وراء ذلك هو إظهار ما إذا كانت صحاحنا تتميز بالأصحية المطلقة كما هو حال صحاحهم.

إن للموضوع امتدادات معينة، إذ كثير من الأخبار التي وردت في كتب الإمامية لم تكن صحيحة مئة بالمئة، ومرد ذلك إلى هذا الواقع المعترف به من قبل الإمامية.

لقد وجدت المنحولات والموضوعات في كل كتابات الحديث سواء أكانت سنية أم شيعية. والإشكالية هذه بلغت من الوضوح حداً نشأت على أثره مدرسة علم الحديث، وإجراءات الجرح والتعديل في كلا المذهبين. هناك علم الرجال في كلا المدرستين. وذلك قرينة واضحة على مدى ماتعانيه المدرستان من فيض المنحولات والمكبوتات من الروايات.

المشكلة هنا تتعلق بمدى شرعية وعقلانية بعض الإجراءات التصحيحية للرواية. فالسني إذ يرى مطلق صدور الصحيحين يرتكب خطأً تاريخياً. إذ أن المتتبع لحركة التدوين، التي جاءت متأخرة جداً بالنسبة لمدرسة الخلفاء، يدرك مدى ذلك الانفلات في ضبط الرواية. و لم تسعفهم تقنية علم الرجال والدراية في إحراز الضابطة الضرورية لتجاوز أزمة الكذب في الرواية!.

فنتيجة البحث، هو أن الرواية في الدراية الإمامية ليست ملزمة إذا لم تخضع لشروط الصحة. وليس ثمة صحاح تفرض قهريتها على المكلف مع اكتمال قرائن ضعفها ومخالفتها لصريح النص القرآني، بخلاف ماهي عليه صحاح أهل السنة. فهي عند الأغلبية مجمع على مطلق صدورها. وبالتالي فهي ملزمة للعامي، لا فكاك له عنها ولو ثبت مخالفتها للقرآن. إذ في تلك الحالة لامانع من جعل الحديث المتأخر عنها ناسخاً للنص القرآني حين تعارضهما المطلق.

الباب الأول:

الفصل الثاني

- علي وليس عبدالله بن سبأ

ـ عبدالله بن سبأ ـ

هل هو عبدالله بن سبأ، أم ابن السوداء، أم عمار بن ياسر، أم رجل مجهول ذلك الذي نفخوا في موضوعه، وجعلوا منه كلمة السر في ملف التاريخ الشيعي؟!.

بكثير من الجهل، وقليل من الورع، أقدم الكثير على إرجاع التشيع إلى ابن سبأ الرجل اليهودي الذي أسلم في عهد عثمان.

لقد أثبت السيد مرتضى العسكري، مايشفي الغليل في هذا الموضوع، وطرقه من مختلف جوانبه، كما طرقه د. طه حسين في كتابه (إسلاميات)، وكنت أيضاً ممن طرقه في كتاب «الانتقال الصعب» وكذا كتاب «الخلافة» ردّا على ابن خلدون.. لذا نكتفي بما هو جدير بالذكر هنا. والرد على المدعين لذلك جهلاً وتحاملاً.

ماذا قال الوهابيون في المسألة؟.

يقول إحسان إلهي ظهير: «وأما دين الإمامية ومذهب الإثني عشرية أليس مبنياً على تلك الأسس التي وضعتها اليهودية الأثيمة بوساطة عبدالله بن سبأ الصنعاني، اليمني، الشهير بابن السوداء (والسوداء أمة)»[1] .

---

[1] ـ الشيعة والسنة ص٢٤.

ويقول «الجبهان»: «أما نحن فإننا نقول أن التشيع نشأ وترعرع في أحضان الماسونية، وأمّا غارسو بذرته الأولى، وواضعو حجره الأول فهم:

أولا: شخصيات يهودية تقمصت الإسلام مقلوباً، فانقلبت به إلى وحوش كاسرة، وصلال تحمل السم الناقع من أمثال عبدا لله بن سبأ اليهودي وكعب الأحبار ووهب بن منبه»[1] .

وذكر صاحب أصول مذهب الشيعة: «والذي أرى أن الشيعة كفكرة وعقيدة لم تولد فجأة، بل إنها أخذت طوراً زمنياً، ومرت بمراحل. ولكن طلائع العقيدة الشيعية وأصل أصولها ظهرت على يد السبئية باعتراف كتب الشيعة التي قالت بأن ابن سبأ أول من شهد بالقول بفرض إمامة علي»[2].

وسوف أقتصر على كتاب، أصول مذهب الشيعة، لأنه جامع لكل تلك الافتراءات والاشتباهات في كثير من الأمور.

نبدأ بقوله: «وقد اتفق القدماء من أهل السنة والشيعة على السواء على اعتبار ابن سبأ حقيقة واقعية وشخصية تأريخية، فكيف ينفي ماأجمع عليه الفريقان»[3] .

هذا الكلام يستدعي إقراراً بإجماع المسلمين على اعتبار ابن سبأ حقيقة تاريخية. فهل أجمع عليه المؤرخون المعتبرون؟.

وترد هذه الشبهة بطريقين: الأولى تتعلق بما يكسر ذلك الإجماع الوهمي. وهو عدم ذكر البلاذري لأي خلفية سبئية للتشيع في أنسابه[4] ، وهو ممن تعرض لكل أحداث الفتنة الكبرى، وهو من المؤرخين المعتبرين. فترى، هل كان يجهلها، أم أنه

---

[1] - تبديد الظلام ص١٥٩.

[2] - أصول مذهب الشيعة ج١ ص٧٨.

[3] - المصدر السابق ج١ ص٧٣.

[4] - عبدا لله ابن سبأ في انساب البلاذري هو نفسه عبدا لله بن وهب السبئي الخارجي، وهي شخصية لا ينطبق عليها وصف عبدا لله بن سبأ المذكور في الكتب الأخرى، كما سنرى.

غض الطرف عنها؟ فلواعتقدنا في جهله لها. فكيف يستقيم هذا الادعاء مع مؤرخ كبير ومختص، وهو ممن قرأ في مختلف بطون الأسفار التاريخية؟ وبناء على ذلك، لن يكون البلاذري إلا متجاوزاً إيّاها لتهلهلها وتهدل محتواها.

كما يرد عليها ثانياً، من أن خبر عبدا لله بن سبأ، لم يكن إلا في مصدر آحاد، أي سيف بن عمر التميمي، وهو أول من قال بها في التاريخ. وسيف بن عمر هذا الذي جرحه محدثو السنة من أمثال النسائي والبيهقي وغيرهم يعتبر مصدرها الرئيسي عند كل الذين قالوا بها من بعده.

وإذا كان المؤرخون االذين أخذوا بها تأثروا بتاريخ الطبري، فإن الطبري باعترافه أخذه عن سيف بن عمر التميمي[1] .

وقبل الاسترسال في ذلك، نود أن نعرض لجملة من أهل السنة المعاصرين في المسألة. لقد ذكر «محمود أبوريّة المصري» في طبعته الأولى لكتابه: «أضواء على السنة المحمدية أو دفاع عن الحديث»، كلاماً يساوق عمدة ماذكره السنة حول قضية ابن سبأ. وكان مما قاله في ذلك الصعيد:

«وقتل عثمان كان بعضه بتأثير دسائس عبدا لله بن سبأ اليهودي، وإلى جمعية السبئيين وجمعيات الغريب، ترجع جميع الفتن السياسية وأكاذيب الرواية في الصدر الأول»[2] .

ولكن الموضوعية، دفعت بأبي رية أن يتنازل عن قوله، وأن تدفعه الأمانة العلمية للاعتراف بما جاء في كتاب السيد مرتضى العسكري الذي فند تلك المزاعم كلها، بما يقرع الألباب، إذ قال في طبعاته الأخرى:

«كتبنا ذلك في الطبعة الأولى من كتابنا اعتماداً على ماكتبه كبار المؤرخين

---

(1) - راجع «ابن سبأ وأساطير أخرى» للسيد مرتضى العسكري.

(2) - الأضواء/ أبورية ص١٧٨.

ومن جاء بعدهم عن ابن سبأ، وقد ظهر كتاب نفيس اسمه، «عبدا لله بن سبأ» من تأليف العالم العراقي الكبير الأستاذ مرتضى العسكري أثبت فيه بأدلة قوية مقنعة أن هذا الاسم لاحقيقة له، لأن المصدر الذي اعتمد عليه كل المؤرخين من الطبري إلى الآن في إثبات وجوده هو سيف بن عمر التميمي المتوفي سنة١٧٠ هـ، وقد طعن أئمة السنة جميعا في روايته، وقال فيه الحاكم: اتهم بالزندقة وهو في الرواية ساقط. وإنا ـ إنصافاً للعلم والحق نقول:إن الدكتور طه حسين قد شك قبل ذلك في وجود عبدا لله بن سبأ هذا»[1] .

وفي نفس الصدد، يقول عبدالحليم محمود شيخ الأزهر:

«رأينا في أصل الشيعة:ولكنا نرى أن السبب في نشأة الشيعة لايرجع إلى الفرس عند دعوهم في الإسلام، ولايرجع إلى اليهودية ممثلة في «عبدا لله بن سبأ»، وإنما هو أقدم من ذلك. فنواته الأولى ترجع إلى شخصية علي رضي ا لله عنه، من جانب، وصلته بالرسول عليه الصلاة والسلام من جانب آخر»[2] .

وقال أيضاً في نفس السياق:

«أما عبدا لله بن سبأ الذي يلصقونه «بالشيعة» أو يلصقون «الشيعة» به فهذه كتب «الشيعة» بأجمعها تعلن بلعنه، والبراءة منه، وأخف كلمة تقولها كتب رجال «الشيعة» في حقه، ويكتفون بها عن ترجمة حاله عند ذكره في حرف العين هكذا: عبدا لله بن سبأ ألعن من أن يذكر»[3] .

ويقول «مغني داود»:

«ولعل أعظم هذه الأخطاء التاريخية التي أفلتت من زمام هؤلاء الباحثين وغمّ

---

(1) - المصدر السابق/ ص١٧٩.

(2) - التفكير الفلسفي في الاسلام.

(3) - المصدر السابق ص١٧٦.

عليهم أمرها فلم يفقهوها ويفطنوا إليها هذه المفتريات التي افتروها على علماء الشيعة حين لفقوا عليهم قصة عبدا لله بن سبأ فيما لفقوه من قصص أشرت إلى بعضها في مؤلفاتي»[1].

وهذا إن دلّ، فانما يدل على عدم وقوع إجماع في المسألة. إذ ثمة من قال بها وهناك من لم يقل بها. في المتقدمين والمتأخرين.

لقد تطرق الكثير إلى شخصية عبدا لله بن سبأ. ولكنهم رغم تكاثر القائلين بها لم تتوضح تفاصيل شخصيته. من هو، كيف نشأ، كيف أقنع الأمصار، لماذا لم يعاقبه عثمان ولاحتى معاوية. من أبوه ومن أمه ومن عشيرته؟.

كل مايذكره التاريخ، أنه شخصية بلا جذور لها ولاتفصيل في أحوالها. فكونه عبدا لله، لايفيد شيئا. فلم يذكر بصيغة ابن كذا أو أن اسم ابيه كذا وما أكثر عباد ا لله من سبأ؟! لانسب ولاحلف؟!.

ويقال عنه اليماني.. وما أكثر عباد ا لله من اليمن..أو السبائي.

ويقال عنه ابن السوداء. وما أكثر من أطلق عليهم هذا الوصف!؟

إن كتب التاريخ والسيرة والأنساب، لم تعطنا صورة واضحة عن هذا الرجل. وإذا كان العرب يعنون ويبالغون في ضبط أنساب من هم أقل شأناً وأهون حالاً، كيف لايفعلون ذلك بالنسبة إلى شخصية كعبدا لله بن سبأ الذي — في زعمهم — كان وراء أخطر حدث في تاريخ الإسلام، وهو قتل عثمان ونشوء التشيع. وإضافة إلى ذلك فإن عبدا لله بن سبأ هذا، عرف خبره اضطراباً حتى فيمن اعتمدوه.

فعبدا لله بن سبأ هذا الذي وجد في أذهان للغفلين من المؤرخين، والناقمين من كتاب الوهابية اليوم. هو ذلك اليهودي الصنعائي الذي أسلم نفاقاً. وهو ذلك الذي كاد أن يقتله الإمام علي عليه السلام، وهو ذلك الذي اختفى فجأة و لم يسمع له بعد الفتنة ذكر.

---

[1] - مقدمة «عبدا لله بن سبأ وأساطير أخرى» السيد مرتضى العسكري ص١٨.

غير أن بعض مؤرخي السنة، أطلقوا هذا الاسم على أفراد آخرين. مما يعزز الظن بأن عبد الله بن سبأ لم يكن سوى عنواناً كبيراً تنضوي تحته عدة أفراد ومصاديق.

ومن تلك المصاديق.. عبدالله بن وهب الهمداني. قال المقريزي في خططه:

«وقام في زمانه ـ أي علي (رض) ـ عبدالله بن وهب بن سبأ المعروف بابن السوداء السبئي، وأحدث القول برجعة علي والنبي وأنه حي وأن فيه الجزء الإلهي، ومن ابن سبأ هذا تشعبت أصناف الغلاة من الرافضة»[1].

فالواضح من هنا أن عبدالله بن وهب ـ بن سبأ ـ كان هو نفسه ابن السوداء. لأنه أول من أحدث القول بتلك العقائد المذكورة آنفا.. ويترتب على ذلك، أن باقي السبئيين، هم أتباعه.

يقول ابن حجر في تبصير المنتبه «السبئية طائفة منهم عبدالله بن وهب السبئي»[2].

فهل ابن سبأ هذا كان هو زعيم السبئية أم رجلاً واحداً منهم؟

طبعا الأمر هنا مبهم حسب عبارة ابن حجر. ولكن حتى نخفف الحمل عليه نقضي على هذا التعارض، بترجيح كون ابن سبأ هذا له أتباع سبئيون.

من هم هؤلاء الضالون المغفلون الذين راحوا وراء عبدالله بن سبأ هذا؟

يقول مؤرخو السنة، أنهم قوم من الصحابة؟ غير أن قوماً من الوهابيين تداركوا ذلك الموقف وأسقطوه بطريقة وعظية لامجال فيها للتحليل. وبذلك ورطوا أنفسهم مرتين: الأولى عندما دفعهم الحقد إلى إثبات أسطورة ابن سبأ. والثانية عندما حاولوا إخفاء ما إذا كان من الصحابة من اقتفى أثره. والذين أثبتوا ابن سبأ تاريخياً، ربطوا حركته بقوم من الصحابة. وكانت تلك إحدى مآزق الوهابية.

---

[1] - المصدر السابق.

[2] - ابن سبأ وأساطير أخرى/ ج٢ ص٣٢٣.

يقول ابن حجر في تبصير المنتبه «السبئية طائفة منهم عبدالله بن وهب السبئي»[1].

فهل ابن سبأ هذا كان هو زعيم السبئية أم رجلاً واحداً منهم؟

طبعا الأمر هنا مبهم حسب عبارة ابن حجر. ولكن حتى نخفف الحمل عليه نقضي على هذا التعارض، بترجيح كون ابن سبأ هذا له أتباع سبئيون.

من هم هؤلاء الضالون المغفلون الذين راحوا وراء عبدالله بن سبأ هذا؟

يقول مؤرخو السنة، أنهم قوم من الصحابة؟ غير أن قوماً من الوهابيين تداركوا ذلك الموقف وأسقطوه بطريقة وعظية لامجال فيها للتحليل. وبذلك ورطوا أنفسهم مرتين: الأولى عندما دفعهم الحقد إلى إثبات أسطورة ابن سبأ. والثانية عندما حاولوا إخفاء ما إذا كان من الصحابة من اقتفى أثره. والذين أثبتوا ابن سبأ تاريخياً، ربطوا حركته بقوم من الصحابة. وكانت تلك إحدى مآزق الوهابية.

يقول صاحب كتاب «أصول مذهب الشيعة»: «ونبتت نابتة من شيعة العصر الحاضر فحاول أن ينكر وجوده بجرة قلم، دون مبرر واقعي أو دليل قاطع، بل ادعى البعض منهم أن عبدالله بن سبأ هو عمار بن ياسر».

ويقول بعد ذلك وفي نفس السياق:

«وكيف تلصق تلك العقائد التي قال بها ابن سبأ بعمار بن ياسر، وهل هذا إلا جزء من التجني على الصحابة والطعن فيهم»[2] ؟!

يبدو لي أن كلمة «صحابة» أصبحت بمثابة قميص عثمان عند الفرقة الوهابية. ونحن لاممانع في أن تكون عاطفتهم على تلك الحالة. غير أنهم كعادتهم ــ لأنهم يخطئون التحليل والمنطق، وهم كانوا دائماً ممن حارب العقل ــ يوقعون أنفسهم في

---

[1] ابن سبأ وأساطير أخرى/ ج٢ ص٣٢٣.

[2] - أصول مذهب الشيعة/ ج١ ص٧.

مآزق. إن القول بابن السوداء هذا هو الذي يسيء إلى الصحابة. وإن بعض المحققين عندما جعل منه «عمار بن ياسر» إنما قال ذلك ليبين أن المؤسسة الأموية كانت تطلق على عمار هذا الاسم، وتلفق حول هذا الصحابي الجليل مثل تلك الانحرافات.

والآن، لنبين إلى المحقق الوهابي الجديد، أنهم بقولهم بالسبئي كانوا قد أساءوا إلى أكثر من صحابي جليل. فقول ابن حجر آنفا يؤكد أن هناك أكثر من سبئي. افترضنا أنهم كلهم أتباع ابن سبأ هذا.

فمن هم السبئيون ومن هم أتباع ابن سبأ؟

يقول ابن خلدون: «إلا عماراً فإنه استماله قوم من الأشرار انقطعوا إليه، منهم عبدا لله بن سبأ ويعرف بابن السوداء كان يكثر الطعن على عثمان ويدعو في السر لأهل البيت، ويقول: إن محمداً يرجع كما يرجع عيسى»[1].

ويذكر البلاذري أيضاً[2]:

«وأما حجر بن عدي الكندي وعمرو بن الحمق الخزاعي وحبة بن جوين البجلي ثم العرني وعبدا لله بن وهب الهمداني ـــ وهو ابن سبأ ـ فإنهم أتوا عليّا فسألوه عن أبي بكر وعمر».

ويقول ابن خلدون: «وكان ابن سبأ يأتيه ـ أي أباذر ـ فيغريه بمعاوية، ويعيب قوله: المال مال الله حتى عتب أبو ذر في ذلك على معاوية، وجاء به عبادة إلى معاوية وقال: هذا الذي بعث عليك أباذر»[3].

من خلال هذه الشهادات التاريخية عند العامة. سوف نقع حقيقة في التجني والطعن في بعض الصحابة الأجلاء. لقد تبين من خلال ذلك أن فرقة السبئيين

---

(1) - تاريخ ابن خلدون ج٤ ص١٠٢٧.

(2) أنساب الأشراف ج٢ ص٣٨٣ مؤسسة الأعلمي/ بيروت ١٣٩٤هـ.

(3) - ابن خلدون/ التاريخ/ ج٤ ص١٢٨ ـ ١٠٢٩.

وأتباعهم، تتألف من:

عمار بن ياسر ــ وأبي ذر الغفاري ــ وحجر بن عدي ــ وعمرو بن الحمق الخزاعي.

وهؤلاء جميعهم من الصحابة الكبار:

ــ أبوذر الغفاري (رض) جندب بن جنادة ـ من السباقين إلى الإسلام ــ رابع المسلمين ــ وكان يتعبد في الجاهلية، قال فيه الرسول(ص):

«ماأظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء على ذي لهجة أصدق من أبي ذر»[1].

٢ ــ عمار بن ياسر (رض) أبو يقظان أمه سمية وأبوه مالك بن كنانة كان هو وأبواه من السباقين إلى الإسلام.. وكان والداه أول شهيدين في الإسلام، استشهدوا تحت تعذيب مشركي قريش (لهم). حتى قال لهم الرسول(ص): «صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة».

قال عنه الرسول (ص) : «إن عمار مُلىء إيماناً إلى مشاشه ».

وقال عنه «ابن سمية تقتلك الفئة الباغية».

٣ ــ حجر بن عدي صحابي جليل، يقول عنه الحاكم في مستدركه: أحد الصحابة العدول راهب أصحاب محمد. وقال عنه ابن كثير في التاريخ:

«وفد إلى رسول الله وكان من عباد الله وزهادهم وكان باراً بأمه» وقال عنه صاحب الطبقات:

«وفد على النبي هو وأخوه هانيء وشهد القادسية وهو الذي افتتح مرج عذراء».

٤ ــ عمرو بن الحمق من صحابة الرسول(ص) والمحدثين عنه، قال عنه صاحب الإصابة: «صحب النبي(ص) وحفظ عنه أحاديث، وكان (رأسه) أول رأس حمل في الإسلام من بلد إلى بلد».

فهؤلاء باختصار هم الصحابة الذين نسبوا إلى ابن سبأ. وهناك أكثر منهم،

---

[1] - مسند أحمد بن حنبل ج٢/١٦٣، صحيح البخاري، باب مناقب

كمحمد بن أبي بكر، ومالك الاشتر ومحمد بن أبي حذيفة. وللقارىء أن يدرك بعد هذا أن الذين أساؤوا للصحابي الجليل، هم أولئك الذين صدقوا كذبة السبئية وأثبتوها زوراً.

ولقد ذكر البعض أن أسطورة ابن سبأ هذا إنما أطلقها الجهاز الأموي على عمّار بن ياسر. وذلك لعدة قرائن. فابن ياسر، هو عمار بن ياسر العنسي السبائي فهو من سبأ، وكان عثمان قد أطلق عليه اسم «ابن السوداء»، في قوله: ويلي على ابن السوداء. وكأن القائلين بها أرادوا إسقاط كذبة السبئي. إذ هم يستبعدون أن يكون عمار من المنحرفين.

والشيعة تعتبر عمار بن ياسر، من كبار الصحابة. ومن دعاة التشيع الأول.

إن ابن سبأ، كما تصوروه كان يدعي ألوهية الإمام علي ومن القائلين بالرجعة. فابن سبأ: الذي اعتبروه «ابن وهب» كان خارجياً.

ذكر الذهبي في المشتبه: «وعبدا لله بن وهب السبئي رأس الخوارج»[1] .. وذكر أيضاً: «وفيها كانت وقعة النهروان بين علي والخوارج فقتل رأس الخوارج عبدا لله بن وهب السبائي»[2].

«وفي تبصرة المنتبه لابن حجر: «السبئية طائفة منهم عبدا لله بن وهب السبئي رأس الخوارج»[3].

وإذا كان عبدا لله بن وهب رأس الخوارج. وهم من كفّر الإمام علياً وقتلوه. فكيف يكفر هؤلاء إلههم. وكيف قتلوه بعد أن زعموا أنه لا يموت؟!

لقد ذكر ابن خلدون أن عمار بن ياسر كان يقول بالرجعة والوصية.

ثم ذكر أنه أخذها عن ابن سبأ. وتقول تواريخ السنة أن هذا الأخير هو عبدا لله

---

(1) - ابن سبأ وأساطير أخرى/ العسكري ج٢ ص٣٢٢.

(2) - في حوادث سنة ٣٨هـ من العبر.

(3) - عبدا لله بن سبأ وأساطير أخرى، السيد مرتضى العسكري ج٢ ص٣٢٣.

بن وهب. وتبين أن هذا الأخير ممن حاربوا الإمام علياً(ع) وقتل بالنهروان. فيترتب على ذلك أن عماراً قال بالوصية ودعى إليها. فأطلق عليه عثمان بعد ذلك «ابن السوداء» نبزاً لأمه. ولأن عماراً من سبأ، سمي ابن سبأ أو ابن السوداء.

وإلا كيف يكون عبدا لله بن وهب مؤلهاً ومقاتلاً لإلهه ، ألا لبئس مايعتقدون.

ويقول صاحب «أصول مذهب الشيعة»:

«وقد اتفق القدماء من أهل السنة والشيعة على السواء على اعتبار ابن سبأ حقيقة واقعية وشخصية تاريخية فكيف ينفي ما أجمع عليه الفريقان»[1].

ثم بدأ الكاتب في استعراض بعض مصادر الشيعة التي ذكرت ابن سبأ .. وهو في ذلك لم يفعل سوى أن نقل عن سلفيه إحسان ظهير، والجبهان، وسوف نعالج تلك الشبهة بما هو أعمق من دليله.

لقد اعتمد الكاتب رواية «الكشي» قائلا: قال الكشي بعد ذكر تلك الروايات:

«ذكر أهل العلم أن عبدا لله بن سبأ كان يهودياً فأسلم ووالى علياً ، وكان يقول وهو على يهوديته في يوشع بن نون وصي موسى بالغلو فقال في إسلامه بعد وفاة رسول ا لله(ص) في علي (رضي ا لله عنه) مثل ذلك، وكان أول من شهر بالقول بفرض إمامة علي وأظهر البراءة من أعدائه وكاشف مخالفيه وأكفرهم، فمن هنا قال من خالف الشيعة: أصل التشيع والرفض مأخوذ من اليهودية»[2].

ويقول بعدها: «ثم إن هذه الروايات الست كلها جاءت في رجال الكشي، والذي يعتبرونه أحد الأصول الأربعة التي عليها المعول في تراجم الرجال»[3].

لم يفعل الكاتب هنا سوى أن نقل عن إحسان إلهي ظهير في كتابه: الشيعة

---

(1) - أصول مذهب الشيعة، ج١ ص٧٣.

(2) - المصدر نفسه ج١ ص٧٥.

(3) - المصدر نفسه ج١ ص٧٥.

والسنة، لذا يقول هذا الأخير:

«وقد اعترف بهذا كبار الشيعة ومؤرخوهم، فهذا هو الكشي كبير علماء التراجم المتقدمين ـ عندهم ـ الذي قالوا فيه، إنه ثقة، عين، بصير بالأخبار والرجال، كثير العلم، حسن الاعتقاد، مستقيم المذهب والذي، قا لوا في كتابه في التراجم: أهم الكتب في الرجال، هي أربعة كتب، عليها المعول وهي الأصول الأربعة في هذا الباب، وأهمها وأقدمها، هو معرفة الناقلين عن الأئمة الصادقين المعروف برجال الكشي.. يقول ذلك الكشي في هذا الكتاب: وذكر بعض أهل العلم أن عبدا لله ...»[1].

هنا يقع الكثير ممن لم يرشف من النبع الشيعي الروي مايشفي ظمأه، في الكثير من المغالطات. إذ كثيراً مايخلطون بين ثقة الرحل وصحة الرواية.. وإنها لأكبر مغالطة وقع فيها بعض نقاد الروايات. فكلام الكشي يثبت أن الشيعة وقعوا ضحية ماشاع حول الرجل. غير أن الكاتب الوهابي أبى إلا أن يجعلها وثيقة واقعة في خط الاتهامات التي تحاك ضد الشيعة من أتباع عبدا لله بن سبأ. إن الرواية بهذا الشكل إن وجدت، فهي لاتفيد إلاّ في تعزيز القول بما أحدث ابن سبأ من فتنة، ومن أنه شخصية واقعية غير وهمية. وأعترض على هذا المنطق بأكثر من دليل.

أولاً:

استحضار وجهة النظر الشيعية في قضية ابن سبأ، لابد أن تكون عملية شاملة تعبر عن وجهة النظر الشيعية العامة.

ثانياً:

وجود هكذا رواية في رجال الكشي، فضلاً عن أنها لاتثبت مدعى الوهابي، لايدل مطلقا على صحة الرواية، خصوصاً إذا اعتبرنا مدى صحتها من ضعفها.

---

[1] - الشيعة والسنة ص١٨.

ونعود إلى النقطتين لنوضح حقيقة الإشكال.

في الملاحظة الأولى، لابد من أن ندرك أن رواية الكشي لاتعبر عن وجهة النظر الشيعية كلها. ذلك أن الكتب الأربعة المعتمدة لم ترو الأحاديث الخمسة التي رواها الكشي.. مع أن رجال الكشي كانوا من المشهورين.. هذا فضلاً عن أن في كتب الشيعة روايات عن عبدا لله بن سبأ تخالف، بل تناقض مارواه الكشي.

روي عن أبي عبدا لله عن آبائه(ع) أن أمير المؤمنين(ع) قال:

«إذا فرغ أحدكم من الصلاة فليرفع يديه إلى السماء ولينصب في الدعاء».

فقال ابن سبأ:

«ياأمير المؤمنين أليس ا لله في كل مكان؟».

فقال: «بلى».

قال: «فلم يرفع يديه إلى السماء؟».

قال: أما تقرأ في القرآن «وفي السماء رزقكم وماتوعدون، فمن أين يطلب الرزق إلا من موضعه، وموضع الرزق وماوعد ا لله السماء»[1].

وعن المسيب بن نجبة قال:

قد جاء رجل إلى أميرالمؤمنين(ع) ومعه رجل يقال له: (ابن السوداء) فقال:

«إن هذا يكذب على ا لله وعلى رسوله ويستشهدك!» فقال(ع):

«لقد أعرض وأطول، يقول ماذا؟ فقال:

يذكر جيش الغضب فقال:

«خلّ سبيل الرجل» أولئك قوم يأتون في آخر الزمان[2].

فهذه الروايات الواردة في كتب شيعية معتبرة تناقض ماجاء في الروايات

---

[1] - من لا يحضره الفقيه ج١ ص٢١٣.

[2] - غيبة النعمان ص١٦٧ ـ ١٦٨.

المذكورة في رجال الكشي وغيرها.. فمن جهة تثبت أن الإمام علياً(ع) قد نزّه الرجل وأطلق سراحه بدعوى أن «أولئك قوم يأتون في آخر الزمان»، وهو يخالف ماثبت في رواياتهم انّه حرقه وأصحابه، وتناقضها من جهة أن عبدا لله بن سبأ هنا ظهر رجلاً منزّها للخالق، ومعترضاً على الإمام علي(ع) إمعاناً منه في التنزيه. فإذا أردنا أن نعمم البرهان، كيف يستقيم الأمر مع كل هذه الروايات المضطربة متناً وسنداً. حيث يظهر عبدا لله بن سبأ في مختلف الأشكال والصور.. مرة مغالياً ومؤلهاً لعلي(ع)، ومرة ناقماً ومحارباً له ورأس الخوارج، ومرة أخرى منزّهاً. ومرة يظهر من الروايات، أنه قتل بالنهراوان ومرة ثانية ، نفي إلى المدائن وثالثة لم يعاتب كما في الرواية الأخيرة. ورابعة أُحرق بالنار.

هذا الاضطراب يدعو إلى التريث وعدم الاستعجال. ويكسر شهرة وذيوع الرواية.

أما النقطة الثانية في مجرى ملاحظاتنا على الموضوع، أن وجود مثل هذه الروايات في رجال الكشي لايدل على صحتها المطلقة..وكما أن ضعفها لايخدش في نزاهة الرجل.

وقد سبق أن ذكرنا أن الكتب الأربعة لم ترد فيها روايات الكشي الخمس. وهذا يدل على أن مصادرها في رجال الكشي لم تكن شيعية. بل إنها تشبه روايات الطبري المنقولة عن سيف بن عمر. ولايمكن الادعاء أن الكشي كان سبّاقاً ولاغير ناقل لتلك الرواية التي اشتهر بها تاريخ الطبري، وأصبح بعدها مصدراً رئيسياً لها عند كبار المؤرخين الذين جاءوا من بعده.

وقد كان من معاصري الكشي قوم قالوا بتلك الروايات، كابن قولويه (٣٦٩هـ). وبعد ذلك أصبح الكشي مصدراً لها في من أتى بعده من تلامذته، والذين قالوا بها عند الشيعة إنما أخذوا بها من أقدم مصنف في الرجال، وهو رجال الكشي.

يقول السيد مرتضى العسكري:

«ومن ثم انتشرت روايات رجال الكشي عن ابن سبأ في كتب الرجال ورمزوا إليه بـ (كش)، ومنه أخذ ترجمة ابن سبأ كلٌ من جاء بعده من علماء الرجال، مثل: التفرشي الذي نقل إحدى رواياته بترجمة عبدالله بن سبأ من كتابه نقد الرجال الذي ألّفه سنة (١٠١٥هـ) ورمز إليه بـ (كش) والأردبيلي (...) ومن أهل الحديث، اخرج المجلسي(١١١٠هـ) الروايات الخمسة والخبر الأخير عن الكشي في موسوعته الحديثية البحار، وأخرج الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي المتوفي(١١٠٤هـ) في كتابه تفصيل الوسائل الرواية الأولى والثانية عن الكشي ، وأورد ابن شهر آشوب الرواية الأولى في كتابه المناقب»[1].

إن صاحب كتاب أصول الشيعة الإثني عشرية اعترف أخيراً أنه اعتمد في مجمل ماذكره على تهذيب الطوسي.. إذ قال:

«ومانقلناه عن الكشي هو من تهذيب الطوسي واختياره لأن الأصل ـ كما يقولون ـ مفقود لايعرف له أثر (انظر: مقدمة رجال الكشي ص١٧ ـ ١٨ يوسف البحراني» (لؤلؤة البحرين ص٤٠٣)[2].

هذا فضلاً عن أن الكشي كان يروي عن الضعاف، وهو عند الشيعة ليس كما شاء له إحسان إلهي ظهير أو تلامذته. إنه رجل ثقة ، أي نعم، ولكن هذا لايمنع من ضعف بعض رواياته.

يقول النجاشي بترجمة الكشي من رجاله:

«الكشي أبو عمرو، كان ثقة عيناً، روى عن الضعفاء كثيراً، وصحب العياشي

---

(١) - عبدالله بن سبأ، وأساطير أخرى، السيد مرتضى العسكري ج٢ ص١٧٨.

(٢) - أصول مذهب الشيعة، ج١ ص٧.

وأخذ عنه وتخرج عليه، له كتاب الرجال كثير العلوم فيه أغلاط كثيرة»[1].

وهذه النظرة نظرة موضوعية، لا إفراط فيها ولاتفريط. وكان إحسان إلهي ظهير، فيما ذكرنا من كلامه حول الكشي قد ذكر تلك الأوصاف كلها لكنه لم يذكر مابقي في سياقها، من أنه كان يروي عن الضعاف، أو كثير الأغلاط.

ومما يعزز كلامنا عن أنه كان يروي عن السنة، ومنها أخذ رواية عبدا لله بن سبأ، قول الشيخ أبوعلي الحائري:

«محمد بن عمر أقول: ذكر جملة من مشايخنا أن كتاب رجاله المذكور كان جامعاً لرواة العامة والخاصة خالطاً بعضهم ببعض فعمد إليه شيخ الطائفة طاب مضجعه فلخصه، وأسقط منه الفضلات»[2].

وقد كان الكشي ملازماً وتلميذاً للعياشي. ومنه أخذ الكثير من الأخبار، والعياشي كان ممن يروي عن العامة والخاصة. بل لقد كان عامي المذهب، كما قال عنه النجاشي:

«وكان في أول أمره عامي المذهب، وسمع حديث العامة، فأكثر منه ثم تبصّر وعاد إلينا ، وكان حديث السنّ»[3].

وقد سبق الكلام عن صحاح الشيعة، وطريقة أخذهم منها، فوجود مثل هذه الروايات في كتب بعض الشيعة لايدل على صحتها المطلقة خصوصاً إذا اجتمعت لدينا كل تلك القرائن التي تكشف عن تهلهلها وتخبطها.

---

(1) - رجال النجاشي، ترجمة الكشي ص٢٨٨.

(2) - منتهى المقال، الحائري ص١٨.

(3) - ترجمة محمد بن مسعود العياشي من رجال الكشّي.

ـ نتيجة المطلب ـ

غاية مانصبو إليه، وزبدة بحثنا في الموضوع، هو العمل على دحض الفكرة القائلة بالأصل السبئي للتشيع. فهذه الفرقة التي عايشها الإمام علي(ع) وأئمة أهل البيت(ع) كانت تشكل مدرسة قائمة لها جذورها في عمق التربة الرسالية ولها مرتكزاتها في بيت النبوّة.

لقد اكتظت رفوف المكتبات والخزانات بما يخرس الألسنة في إثبات الأصل النبوي للتشيع، وذكرنا بعضاً من ذلك في كتابينا السابقين لمن أراد أن يطلع. فما يمكن قوله هو أن عليّا(ع) وليس عبدالله بن سبأ، هو إمام الشيعة.

ويكفي إخواننا السنة ماقاله علماؤهم النزيهون حول هذا الإشكال، وليتقوا الله فيما هم عليه من هرج ومرج ضد طائفة أصيلة أكثر خدمة للإسلام والمسلمين، كما وليتقوا الله في وحدة المسلمين!.



الباب الأول:

الفصل الثالث

□ قرآننا.. قرآن المسلمين

قرآننا قرآن المسلمين

ما أكثر ماحاكوه وفبركوه ضد شيعة أهل البيت(ع)، الذين قام مذهبهم على أساس احترام النص، وحبل القرآن المتين. وقد كان أهم نص قام عليه صرح مدرستهم،قول الرسول(ص):

«تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً.. كتاب ا لله وعترتي أهل بيتي، فإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض».

فالقرآن هو الثقل الأكبر ، والمرتكز الرئيسي في مدرسة أهل البيت(ع). وجعلوا قيمة أهل البيت نابعة من ذلك التمازج والتماهي العجيب مع القرآن.

غير أن بعضاً من إخواننا السنة ، ممن استنكفوا عن سماع تقريرات علمائهم المستبصرين، ومن الفرقة الوهابية التي لاتبقي ولاتذر في التشنيع المعتسف والمبتذل على الشيعة. كلهم يتمسكون بتلك التهمة الرخيصة البالية.. التي إن كانت تعبر، فإنما تعبر عن مهانة النفس وقبح الطوية.

فقد زعموا أن الشيعة تقول بتحريف القرآن، وبأن لها قرآنا مغايراً للجماعة. لقد سقط الكثير منهم في حبائل تلك التشنيعات المغرضة. جهلاً وعناداً. بل لعل الكثير منهم معذور عندما يتغذى منذ نعومة أظفاره على كراهية الشيعة وعلى التشنيع بهم.

ولكنني لاأعذر من أعطاه الله بصيرة وعقلاً ليخرج من تلك القاذورات ليقيم تحت دوحة العقل المستنير.

يقول إحسان إلهي ظهير:

«وأما الشيعة فإنهم لايعتقدون بهذا القرآن الكريم الموجود بأيدي الناس، والمحفوظ من قبل الله العظيم، مخالفين أهل السنة، ومنكرين لجميع النصوص الصحيحة الواردة في القرآن والسنة»[1].

ومثل ذلك ورد في كثير من كتب وكراسات الفرقة الوهابية..مركزة على ذلك وكأنها قد عثرت على ورقة رابحة في معركتها التاريخية مع مدرسة أهل البيت(ع). وأوردوا أدلّة كثيرة على ذلك. بعض الروايات الموجودة في «الكافي» للكليني، التي يظهر منها القول بالتحريف. وبنوا على ذلك صرحاً من التلفيق والخبط.

وقبل الدخول في تلك المعالجات..أريد أن أوجه القول وجهة ثانية..وذلك بطرح السؤال:

هل الشيعة اليوم يؤمنون بذلك، وهل لهم قرآن خاص؟.

أظن أن القائلين بذلك، لم يعيشوا ولاعايشوا الشيعة. وكان يكفيهم أن يتداخلوا معهم حتى يعلموا ما إذا كان الشيعة يقرأون قرآنا خاصاً.

وأنا الشيعي الإمامي، لديّ قرآن أعتمده عندي خاصة، هو قرآن الوهابيين أنفسهم، وهو مطبوع بالسعودية. فكيف ـ إذن ـ تتم هذه الفرية؟!

إن الوهابي ـ بلسان حاله ـ يريد أن يقول، إنكم مع ذلك تنتظرون قرآنا آخر يأتيكم به مهديكم..وما إليها من أراجيف.

لقد وُجدت بعض الروايات المذكورة في الكافي للكليني، وسوف نعالجها

---

[1] - الشيعة والسنة ص٦٦.

انطلاقاً من نقطة أساسية في تحليل الموضوع، وذلك بطرح الأسئلة التالية:

ماهو نوع التحريف الذي قال به بعض المسلمين؟

هل القول بالتحريف من مختصات الشيعة؟

هل ثمة دليل على قول الشيعة به إجماعاً؟

ليس ثمة من يدعي أن في القرآن الموجود بين المسلمين، آيات محرفة، بل هناك ـ فقط ـ من ادّعى أن ثمة نقيصة في القرآن، أي آيات لم تجد لها مكاناً في مصحف المسلمين اليوم، بينما هي كانت متداولة في عهد الرسول(ص) والصحابة.. ووجد هذا النوع من الادعاء في الكثير من مصنفات السنة والجماعة. فليس القول بذلك من اختصاص الشيعة ثم ليس ثمّة دليل قطعي واضح على ذلك في مصنفاتهم أو إجماع. وعقائد المذاهب لاتثبت إلاّ بإجماعها.. فلا يمكن اتهام فرقة بشيء غير مجمعة عليه.

ومن خلال نظرنا في المذهبين معاً، لم نعثر على إجماع من هذا النوع..فلا الشيعة يجمعون عليه ولا السنة كذلك، رغم وجود الكثير من الروايات الدالة على ذلك.

ومبعث الإشكال في القول بالتحريف، أن التاريخ ينقل وجود مصاحف وقراءات كثيرة عندالمسلمين.. وأن الصحابة قبل حرق المصاحف في عهد عثمان كانت لهم قراءات مختلفة، واشتهر بذلك قوم شهد لهم الرسول(ص) بحسن القراءة كابن مسعود. وقد كان مذهب القراء في القراءة أن يؤولوا بعض الآيات ويقرأوها إبدالاً وإكمالاً، بما يبرز وجهاً من وجوه تأويلها وهو نفس ماكان من أمر مصحف علي(ع). فاعتبر المتأخرون أن هناك حذفاً في الآيات، وأن القرآن اليوم لايشتمل على كل مانزل من القرآن.

ومثل تلك المرويات وجدت عند الفريقين. غير أن الفرق بين السنة والشيعة في هذا المجال، هو أن وجود هكذا روايات في صحاح الشيعة ليس ملزماً لهم، مادام أنهم لايعتقدون بقطعية الصدور. غير أن وجودها في الصحيحين فيه بعض الإشكال، لأن السنة يعتقدون بصحة الصحيحين.

وهنا أحب الإشارة إلى أن تلك الروايات التي أوردها الكليني، لاتعبر عن منهبه، لأنه أورد في الكافي روايات تدل على عكس مايتصوره البعض من قوله بالتحريف.

لقد ذكر الكليني في الكافي مايقارب ١١٨ مئة وثمانية عشر حديثاً في فضل القرآن، واحدة منها فقط ظهر منها القول بالنقيصة، وجاءت كل الأحاديث الأخرى بما يدل على صحة الكتاب وعدم تحريفه.

ولو شئت أن تعرف منهب الكليني في القرآن، فاقرأ مقدمته في الكافي، إذ جعل من القرآن نفسه معياراً لصحة رواياته. ولو كان يقول بالتحريف إذاً لما استقام كلامه ذلك. بالإضافة إلى أن الإمام الكليني أورد ذلك الحديث في باب النوادر من كتابه. يقول العلامة محمد تقي الحكيم[1]:

«مجرد رواية أحاديث النقص وعدم التعقيب عليها، لايدل على وثوقه بصدورها، ولعل روايتها في (النوادر) من كتابه، دليل تشكيكه بصدورها، وكأنه أشار بذلك لما ورد في المرفوعة من قوله(ع): ودع الشاذ والنادر. على أنه التزم في أول كتابه الأخذ بالروايات العلاجية، وهي التي تتعرض لأحكام الخبرين المتعارضين من اعتبار ترجيح أهمهما على الآخر بعرضه على كتاب الله وسنة نبيه، فما وافق الكتاب أخذ به. أما الإجماع الشيعي، وهو هنا كالإجماع السني في حفظ القرآن وعدم نقيصته».

يقول الشيخ المفيد في أوائله[2]:

«وقد قال جماعة من أهل الإمامة أنه لم ينقص من كلمة ولا من آية ولا من سورة ولكن حذف ماكان مثبتاً في مصحف أميرالمؤمنين(ع) من تأويله وتفسير معانيه

---

[1] - الأصول العامة / السيد تقي الحكيم ط٣ ص١١٠.

[2] - أوائل المقالات، ص٩٢، دار الكتاب الإسلامي.

على حقيقة تنزيله، وذلك كان ثابتاً منزلاً وإن لم يكن من جملة كلام الله تعالى الـذي هو القرآن المعجز، وقد سمي تأويل القرآن قرآناً»، قال الله تعالى:

﴿ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه وقل ربِّ زدني علماً﴾.

ويقول الشيخ الطوسي[1]:

«أما الكلام في زيادته ونقصانه ـ القرآن ـ فمما لايليق به أيضاً لأن الزيادة فيـه مجمع على بطلانها والنقصان منه فالظاهر أيضاً من مذهب المسلمين خلافه وهو الأليق بالصحيح من مذهبنا وهو الذي نصره المرتضى وهو الظاهر من الروايات».

وأما الشيخ الصدوق فيذكر في رسالة «اعتقادات الشيعة»:

«اعتقادنا في القرآن أنه مابين الدفتين وهو مافي أيدي النـاس وليـس بـأكثر مـن ذلك ومن نسب إلينا أنا نقول أنه أكثر من ذاك فهو كاذب».

وأما المعاصرون من الشيعة فعلى نفس الإجماع:

يقول شرف الدين الموسوي في الفصول المهمة:

«والقرآن الحكيم الذي لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه إنما هـو مـابين الدفتين وهو مافي أيدي الناس لايزيد حرفاً ولاينقص حرفاً ولاتبديل فيه لكلمة بكلمـة ولا لحرف بحرف وكل حرف من حروفه متواتر في كل جيـل تواتـراً قطعيـاً إلى عهـد الوصي والنبوة، وكان مجموعاً على ذلك العهد الأقدس مؤلفا علـى مـاهو عليـه الآن، وكان جبريل(ع) يعارض رسول الله(ص) بالقرآن في كل عام مرة وقد عارضه به عام وفاته مرتين».

ولمن أراد أن يعـرف موقـف الشـيعة مـن القـرآن، أن يراجـع مصنفـاتهم حـول الموضوع ولايكتفي بتخرصات الأفـاكين. ونحـن لاننفـي أن بعضـاً مـن شـواذ الشـيعة

---

[1] - التبيان ج١ ص٣.

زعموا النقيصة في القرآن شأنهم شأن حشوية السنة. ولو ركزنا في الأمر مليّا لتبين أن أحاديث التحريف موجودة بوفرة كبيرة في مصنفات السنة أكثر من الشيعة.

قالت عائشة: «كان فيما أنزل عشرة رضعات معلومات فنسخن بخمسة معلومات فتوفي رسول الله(ص) وهن مما يقرأ من القرآن»[1].

وذكر البخاري في صحيحه بسنده عن ابن عباس أن عمر بن الخطاب قال: «إن الله بعث محمداً(ص) بالحق وأنزل عليه الكتاب فكان ممّا أنزل الله آية الرجم فقرأناها وعقلناها ووعيناها، فلذا رجم رسول الله(ص) ورجمنا فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل: والله مانجد آية الرجم في كتاب الله فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله، والرجم في كتاب الله حق على من زنى إذا أحصن من الرجال والنساء إذا قامت البينة أو كان الحبل والاعتراف، ثم إنا كنا نقرأ فيما نقرأ من كتاب الله أن لاترغبوا عن آبائكم فإنه كفر بكم أن ترغبوا عن آبائكم»[2].

وأخرج مسلم في صحيحه:

«قال: بعث أبوموسى الأشعري إلى قراء أهل البصرة فدخل عليه ثلاثمائة رجل قد قرأوا القرآن،فقال: أنتم أهل البصرة وقراؤهم فاتلوه ولايطولنّ عليكم الأمد فتقسو قلوبكم كما قست قلوب من كان قبلكم، وإنّا كنا نقرأ سورة كنّا نشبهها في الطول والشدّة ببراءة فأنسيتها غير أني قد حفظت منها «لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى وادياً ثالثاً ولايملأ جوف ابن آدم الا التراب».

وكنا نقرأ سورة كنا نشبهها باحدى المسبحات فأنسيتها غير أني حفظت منها «ياأيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون فتكتب شهادة في أعناقكم فتسألون عنها يوم القيامة»[3].

---

[1] - الاتقان في علوم القرآن ـ السيوطي ج٢ ص٧٠/ ط٢ مطبعة أمير ١٣٤٢هـ/ش.

[2] - صحيح البخاري ج٨ ص٢٦، باب رجم الحبلى من الزنا إذا حصنت.

[3] - صحيح مسلم ج٣ ص١٠٠ باب ان كان لابن آدم واديان لابتغى ثالثاً.

ـ نتيجة المبحث ـ

قصدنا من ذلك، أن وجود الشاذ في كتب المذهبين لايدل على رأي إجماعهم، فإذا كان الشيعة لايؤمنون بمطلق الصدور وعندهم مندوحة كافية لرد أي حديث من الكافي إذا تبين معارضته لكتاب الله. فإن في صحاح السنة المطلقة الصدور في اعتقاد أغلبهم أكثر من رواية في خصوص التحريف والنقيصة.

وكان من المنطقي جداً أن نعتبر ذلك جزءاً من عقيدتهم لأنهم يسلمون بكل ماجاء به البخاري ومسلم وباقي الصحاح.

غير أن الأمانة تدفع إلى الإقرار بأن القول بالتحريف لايبرح رأي شواذ الشيعة قديماً ورأي حشوية السنة. والحق، أن قرآن الشيعة كقرآن السنة واحد؛ هو قرآن المسلمين جميعاً!.



ـ خاتمة ـ

كان هدفنا من التركيز على هذه المباحث الثلاثـة، إبـراز جـانب التهـافت عنـد الفرقة الوهابية، وتسليط الأضواء على افتراءاتها الرخيصة تجاه مدرسة أهل البيت(ع). وللعاقل أن يقلب الكـلام، ويعمـل عقلـه في كـل ثنايـاه ليخـرج بنتيجـة تخـدم وحـدة المسلمين، وتلم شعثهم في العالمين.

والله الموفق والمستعان.

الباب الأول:

الفصل الرابع

□ المتعة: زواج لا زنا

المتعة: زواج لا زنا

ربما كان أمر المفترين هنا كتلبيس إبليس. هؤلاء الذين لا يراعون إلاًّ ولا ذمة في التشنيع على أتباع أهل البيت(ع). وقد تراهم في مواقفهم، حين تغمرهم البجاحة ويستبد بهم الغرور، يلوكون كلاماً لا أصل ينهض به، ولا دليل يقيم صلبه. ما أكثر تشنيعهم وما أبشع تدليسهم وتلبيسهم، حتى لقد بلغ يوماً بأحد خطبائهم أن يتهم الشيعة بأخذهم بإباحة المتعة بعد أن حرمها الله، بنص الآية الكريمة: **﴿ثاني اثنين إذ هما في الغار .. الآية﴾**.

لعل أكبر محنة واجهها الشيعة، حينما برز إليهم من لا يرى للعقل حجية، ولا في حياض العلم مرتعاً. إن عداءهم لم يكن يوماً ما سوى جهلاً بحقيقة هذا المذهب الإسلامي الأصيل، ومن تلك الحقائق، كانت المتعة قشة تعلق بها كل ناصبي حقود.

ولقد كانت مناصبة العداء لآل البيت ومذهبهم على قسمين: فهناك علماء قد أحرزوا ملكة الفهم والاستيعاب.. هؤلاء لا نرى لهم عذراً فيما يحملونه من أضغان وما يشيعونه من تخرصات وتصحيفات.. أما الجمهور العام الذي دأب على استمداد حقائقه من علمائه، فقد نعذرهم وإن كان عداؤهم لا يقل وزناً عن الآخرين، فإن حملهم مقبول على قاعدة: من جهل شيئاً عاداه! لقد أجهد المفترون أنفسهم للنيل من الشيعة من خلال العرض الملتبس لعقيدتهم في المتعة من حيث هي نوع من العلاقة المباحة بين الرجل والمرأة دون العلاقة الزوجية.. واعتبروا ذلك من الزنى الذي سقط

فيه فقههم، إذ لم يبق لهم فيما بينهم والنساء أدنى ورع يلزمهم بالعفة.. وهكذا، لم يخل كتاب من كتبهم التشهيرية من إثارة هذه المسألة، معتبرين إياها قشة أخرى لقصم ظهر التشيع، وطعنة يسيرة في خاصرة مذهبهم!.

ومن أهم تلك الافتراءات السمجة التي لا تخلو من مكر وفقر أخلاقي، ما جاء في كتاب «وأصول مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية»[1]، الذي جعل له عنواناً مخالفاً للتقاليد الأكاديمية في تناول الموضوعات المدروسة، سماه: «الإباحية» يقول: «ومن آثارهم في المجال الاجتماعي، تلك الإباحية التي يدعون إليها، ويسهلون أسبابها ويمارسونها وسط المجتمع الإسلامي باسم عارية الفرج، أو التي يسمونها بالمتعة، والتي يقارفون باسمها الزنا، لأن متعتهم تعني الاتفاق السري على فعل الفاحشة مع أي امرأة تتفق لهم ولو كانت من المومسات، أو من ذوات الأزواج، ولذلك قالوا ممكن أن يتفق معها على يوم أو مرة أو مرتين، وقد صرح بعضهم للشيخ محمد نصيف بأنه يجري عندهم استعمال المتعة الدورية بحيلة وضعها شيوخهم».

وجاء في قوله أيضاً:

«فإباحيتهم شاملة لا تذر مجتمعاً أتت عليه إلاّ أفسدته.. فهم «زناة» يعيشون بين المسلمين، ويحملون اسم الإسلام، ويسعون في الأرض فساداً، وأقوالهم تشهد على آثارهم»[2].

أما الجبهان في تبديد الظلام[3]، في فصل أسماه «أوجه الشبه والاختلاف بين التشيع والشيوعية»، يقول: «أركان الدين الشيوعي ثلاثة هدم الأسرة، وهدم الدين والأخلاق وهدم الطبقات» وأركان التشيع (المتعة، والتقية، والبداء).

---

(1) - أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية، د. ناصر بن عبدالله بن علي القفاري ج٣ ص١٢٣٤. ط الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

(2) - المصدر السابق.

(3) - تبديد الظلام وتنبيه النيام، الجبهان ص٢١٥.

ويقول صاحب «الشيعة والمتعة» محمد مال الله، الذي اعتبره صاحب مقدمته نظام الدين محمد الأعظمي سابقة من نوعها في قوله: «والحق أقول، إن الأخ الفاضل أبا عبدالرحمن، لم يسبق ـ فيما أعلم وفوق كل ذي علم عليم ـ إلى دراسة الموضوع بهذه الصورة الموفقة من كتب الشيعة أنفسهم، ومراجعهم المعتمدة الموثوقة عنهم، فقصم بذلك ظهر بعيرهم، وأطفأ نار سعيرهم وأخرسهم إلى أبد الآبدين، حتى ينفخ في الصور ليوم الدين، آمين»[1].

يقول صاحب المؤلف المذكور: «بل إنهم جعلوا المتعة صورة لا تختلف عن الدعارة التي يمارسها الذين لا خلاق لهم»[2].

ثم يقول مستطرداً: «فافتروا على بعض الصحابة رضوان الله عليهم القول بجواز المتعة، ودلّسوا في النقل من المراجع الإسلامية، وغيروا النصوص ككذبهم على ابن عمر رضي الله عنه في المتعة، وعزوهم ذلك إلى «سنن الترمذي» كما فعل الفُكيكي في كتابه «المتعة» وتابعه بجهالة محمد تقي الحكيم في كتابه "الزواج المؤقت" وقبلهم حفيد ابن سبأ داعية الكذب عبدالحسين شرف الدين!! في كتابه «المسائل الفقهية»[3].

ويستمر في حديثه ، مثيراً ما سبق وأن قيل من كلام بقوله:

«وقد جرت بيني وبين بعض الشيعة مناقشة حول المتعة وقد أخذ يسرد لي الروايات الموضوعة على لسان أهل البيت رضوان الله عليهم. فقلت له ملزماً له: إنني أعتقد صحة هذه الروايات وهيّا نقتدي بأولئك الأئمة. فقال: كيف؟ قلت له: تزوجني أختك أو ابنتك لمدة عشرة أيام، كل يوم عشرة دنانير. فغضب مني وقال:

---

[1] الشيعة والمتعة، محمد مال الله، ص٤ ط٣، رمضان ١٤٠٩هـ، مكتبة ابن تيمية.

[2] – المصدر السابق ص١٠.

[3] – المصدر السابق ص١٢.

أنت ناصبي خبيث. فقلت له: سبحان الله الأئمة المعصومون أحلّوها وأنتم معشر الشيعة لا ترضونها لأنفسكم!!»[1].

هذه شهادات سقناها، وهي لا تعدو كونها نزراً قليلاً.. فلقد برعوا أيما براعة في حبك الشتائم واللعنات، وتفننوا في إيذاء الشيعة بتشويه سمعتهم.. لا علم يسعفهم ولا ورع يمنعهم من ذلك. ولكننا بغض النظر عن حشوهم الزائد، يمكننا حصر شبهاتهم وافتراءاتهم في مجموعة نقاطٍ قبل مناقشتها:

١ ـ المتعة من أركان الإيمان عند الشيعة..

٢ ـ المتعة حرام، فهي زنى وإباحية..

٣ ـ الافتراء على الصحابة بالقول بالمتعة..

٤ ـ المتعة مشوهة لسمعة الإسلام.

٥ ـ المتعة والفساد الاجتماعي.

ويمكننا مناقشة هذه الافتراءات واحدة واحدة لتتم الحجة ويرتفع البهتان

---

[1] - المصدر السابق ص١٢.

* هل المتعة من أركان الإيمان عند الشيعة؟!

قال هذا صاحب كتاب «الشيعة والمتعة»، وهو كلام تكرر عندهم وتوارثوا إشهاره حتى كاد يصدق. وكل ذلك تسامحاً منهم في استخدام العبارات وتفخيمها. لقد وضع صاحب الكتاب السابق عنوانه هذا ثم مالبث أن أجاب على نفسه من حيث لايشعر .. قال «وإذا كانت المتعة من أركان الدين الشيعي فلماذا يترفع عنها أكابرهم في العصر الحاضر؟»[1].

إنّ في هذه العبارة رداً من ناصبي على نواصب سابقين، زعموا أن المجتمعات الشيعية تزخر بهذا النوع من الإباحية والفجور، كما أن فيه جواباً شافياً عن زعمهم بأنها من أركان إيمانهم. وقد سبق أن أورد استشهاداً بقول محمود شكري الألوسي في «مختصر التحفة الإثني عشرية» جاء فيه: «وكذلك يجوزون المتعة الدورية، وإن كان الإثنا عشرية ينكرون هذا التجويز»[2] . وقد كان في ذلك ردّ غير محسوب على ما أورده بعده صاحب«أصول مذهب الشيعة الإثني عشرية» من أن الشيعة الإثني عشرية يقولون به، اعتماداً على فرية الشيخ محمد نصيف..

---

(١) - المصدر السابق ص١٢١.

(٢) - المصدر السابق.

فحينما يسمع العاقل افتراء كهذا، فليس أمامه إلاّ أن يطرح على نفسه أسئلة كهذه: إذا كانت المتعة عند الشيعة من أركان إيمانهم، فلماذا يترفع عنها كبراؤهم؟! وقد تبين ذلك من خلال سوقه لحواره مع أحد الشيعة الذين قابلوا اقتراحه بامتعاض. ويمكنني القول، أن الإباحية بما فيها ممارسة الشذوذ الجنسي، تكثر في العوالم التي تكفر بالمتعة أكثر من الشيعة.. وفرق كبير بين أن تكون مباحة وأن يقبلها الناس.. لأن الإباحة في اصطلاح الفقهاء، غير الواجب. وعليه فهي من قبيل باقي المباحات المتروكة للمصلحة والذوق والاختيار. و لم يكن صاحب الكتاب أول من قال هذا، فقد نقله نقلاً عمن نقلوه من ذاك الحوار التاريخي، الذي جرى بين مؤمن الطاق وأبي حنيفة، فيما ذكره ابن النديم في الفهرست، حيث كان أبو جعفر (مؤمن الطاق) أكثر شرعية وفقاهة من مكر أهل القياس، فقد جاء في فهرست ابن النديم:

«قال له أبو حنفية: ما تقول في المتعة؟ قال: حلال. قال: أفيسرك أن تكون أخواتك وبناتك يمتع بهن؟ قال: شيء قد أحله الله تعالى وإن كرهته فيما يخصني ولكن ما تقول أنت في النبيذ؟ قال: حلال، قال: أفيسرك أن تكون أخواتك وبناتك نباذات هن؟»[1] ؟

وقد سبق وأن واجهني بعضهم أكثر من مرة بهذا الكلام، قاصداً به الإحراج بعد أن لم يعد في جعبته ما يقيم به دليلاً على حكم شرعي كهذا، معتبراً أنه بهذا سوف يطوي الصفحة وأكون أمامه بمثابة الذي بهت.

فكنت أرد بما مفاده، أن شريعة الله لا تقاس وفق هذا المنطق الهزيل.. وإن نفس الموقف سيكون لديك حينما أطلب منك يد أختك أو ابنتك على أساس أن تكون الضرة الرابعة، وقد ظهر أنها مباحة.. ولعله نفس الموقف، بل أكثر منه، إذا طلبت

---

(1) - الفهرست، محمد بن إسحاق النديم ص٣٧٤ ط١، دار قطري بن الفجاءة ١٩٨٥م.

منك بد أمك التي مات عنها أبوك، وهو أمر مشروع ومباح.. فالمسألة لا علاقة لها برضاك ولا بعرفك.. أما فيما يخصني، فإنني لن أرضى لأختي ولا لابنتي هذا اللون من الزواج، مثلما أني لا أرضى لهما الزواج على الضرات. ولكن من يدري إن كان الأمر يخضع لظروف أخرى، كما لو أنها ترملت وهي في طور شبابها أو طرأت عليها ظروف يبقى معها الاختيار ممتنعاً، إذ ذاك سيكون الأمر أمرها.. ورب رجل أحب الزواج بأربعة و لم يرض ذلك لأخته أو ابنته..

إن هذا الخلط في المسائل الشرعية ولفها بما يثير العاطفة وهمّة الأعراف، لا يصلح أن يكون أصلاً في تحريم ولا إباحة. ومن هنا وحتى نرد هذه الشبهة المفتعلة، نسوق أدلة على عدم اعتبار المتعة ركناً ذا شأن في الإيمان، من كلام الأئمة(ع) وكبار فقهاء الإمامية، حتى لا يبقى شك بعد هذه الحقائق التي يتولى عرضها علماؤهم، ونقسّمها إلى قسمين:

١ ـ أقوال الأئمة وأخبارهم.

٢ ـ أقوال الفقهاء والمراجع.

◆ أخبار الأئمة

ـ عن محمد بن إسماعيل، عن الفضل بن شاذان، عن صفوان بن يحيى عن ابن مسكان، عن عبدالله بن سليمان قال: سمعت أبا جعفر(ع) يقول: «كان عليّ(ع) يقول: لولا ما سبقني به ابن الخطاب مازنا إلاّ شقي»[1] .

ـ وعن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن علي بن أسباط، عن بعض أصحابنا عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر(ع) في حديث قال: «إن الله رأف بكم فجعل المتعة عوضاً لكم من الأشربة»[2] .

---

[1] - بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج٧ ص٤٣٦، مؤسسة الوفاء، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ط٣ ـ ١٤٠٣هـ.

[2] - المصدر السابق ج٢ ص٤٣٨.

ـ قال الإمام الرضا(ع): المتعة لا تحل إلاّ لمن عرفها، وهي حرام على من جهلها.

ـ عن أبي عبدا لله(ع) في قوله عزوجل: «ما يفتح ا الله للناس من رحمة فلا ممسك لها» قال: والمتعة من ذلك.

ـ عن المختار بن محمد بن المختار، وعن محمد بن الحسن، وعن عبدا لله بن الحسن العلوي جميعاً، عن الفتح بن يزيد قال: سألت أبا الحسن(ع) عن المتعة، فقال: هي حلال مباح مطلق لمن لم يغنه ا الله بالتزويج فليستعفف بالمتعة، فإن استغنى عنها بالتزويج فهي مباح له إذا غاب عنها»[1] .

ـ وعن عليّ بن محمد، عن صالح بن أبي حمّاد، عن ابن سنان، عن المفضل، قال: سمعت أبا عبدا لله(ع) يقول في المتعة: دعوها أما يستحيي أحدكم أن يرى في موضع العورة فيحمل ذلك على صالحي إخوانه وأصحابه[2] .

ـ ابن أبي عمير، عن جميل بن صالح، عن محمد بن مروان أبو عبدالملك بن عمر قال: سألت أبا عبدا لله(ص) عن المتعة فقال:

إنّ أمرها شديد فاتقوا الأبكار[3] .

ـ قال لي محمد بن أبي عمير، عن عبدا لله بن سنان قال:

سألت أبا عبدا لله(ع) عن المتعة، فقال:

لاتدنس نفسك بها[4] .

ـ جاء في الكافي عن عدة من أصحابنا عن أحمد بن محمد بن عيسى عن الحسين بن سعيد، عن النضر بن سويد، عن محمد بن أبي حمزة، عن شعيب الحداد

---

(1) المصدر السابق ج٧ ص٤٤٠.
(2) - المصدر السابق ج٧ ص٤٥٠.
(3) - المصدر السابق ج١٠٣ ص٣١٨.
(4) - المصدر السابق ج١٠٣ ص٣١٨.

قال: قلت لأبي عبدا لله(ع): رجل من مواليك يقرؤك السلام وقد أراد أن يتزوج امرأة قد وافقته وأعجبه بعض شأنها، وقد كان لها زوج فطلقها ثلاثاً على غير السنة، وقد كره أن يقدم على تزويجها حتى يستأمرك فتكون أنت تأمره؟ فقال أبو عبدا لله(ع):

«هو الفرج وأمر الفرج شديد، ومنه يكون الولد، ونحن نحتاط فلا يتزوج»[1] .

أقول، ومحل الشاهد في هذا الخبر، هو أن الاحتياط إذا كان قاعدة عند الشيعة في أمر الزواج الدائم، فهو من باب الفحوى أشد في ما عدا ذلك. لا شك أن هذه النصوص هي التي جعلت القاعدة المعمول بها هي التشدد والاحتياط في الفروج في الفقه الشيعي.. فمذهبهم في ذلك الاحتياط.. وبهذا لا وجه لمن اعتبر المتعة من أصول المذهب ومن أركان الإيمان.

♦ أقوال الفقهاء

جاء في قول الشهيد الأول في اللمعة الدمشقية قوله[2] : وحكمه (أي الزواج المؤقت) كالدائم في جميع ما سلف. وزاد الشهيد الثاني في تحشيته على قول صاحب اللمعة: (ما سلف من الأحكام شرطاً وولاية، وتحريماً بنوعيه).

ويقول الشهيد الأول: ولو تبين فساد العقد، فمهر المثل مع الدخول[3] .

ومعنى ذلك كما ذهب إليه الشهيد الثاني في شرحه للمعة الدمشقية[4] :

---

(1) - الكافي/ الشيخ الكليني، ج٥ كتاب النكاح ص٤٢٣ ـ ٤٢٤ الناشر دار الكتب الإسلامية/ تاريخ انتشار: تابستان ١٣٦٢هـ.

(2) - اللمعة الدمشقية، محمد بن جمال الدين مكي العاملي ج٥ ص٢٥٤ ط٢ بإشراف السيد كلانتر/ دار إحياء التراث العربي/ بيروت ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

(3) - المصدر السابق ص٢٨٧.

(4) - المصدر السابق ص٢٨٧.

«ولو تبين فساد العقد، إما بظهور زوج، أو عدة، أو كونها محرمة عليه كجهة، أو عيناً، أو غير ذلك من المفسدات (فمهر المثل مع الدخـول) وجهلها حالـة الـوطء، بأنه وطء محرم، فلا بدله من عـوض، وقـد بطـل المسـمى فيثبت مهر مثلها في المتعة المخصوصة».

وذكر الشهيد الثاني في شـرح اللمعـة: «وقيـل: عدتها قـرءان وهمـا طهـران، لحديـث زرارة عـن البـاقر(ع): وإن كـان مـن تحتـه أمَـة فطلاقها تطليقتـان وعدتهـا قرءان»[1].

وفي قول الشهيد الأول: «ولو استرابت فخمسة وأربعون يوماً»[2] .

ويظهر من كلام الشهيدين وهم من أعلام الفقه الشيعي المعتمدين، أن أمر المتعة في شدة أحكامه لا يقل عن باقي أنـواع الأنكحة، مـا دامـت كلها مما ينطبق عليه الفروج، وأمر الفروج بمقتضى ما تقدم من قول الإمام الصادق(ع) شديد عندنا، فيلزم عند ذلك الاحتياط.. فلا ينظر إلى المتعة على أنها من أركان الإيمان، فهي من الأحكام التابعة لمباحث الفقه وتقنين الشريعة..

وجاء في كتاب المبسوط، قول الشيخ الطوسي:

«نكاح المتعة عندنا صحيـح مبـاح في الشريعة، وصورتـه أن يعقـد عليها مـدّة معلومة بمهر معلوم، فإن كانت المدة مجهولة لم يصح، وإن لم يذكر المهر لم يصح العقد وبهذين الشرطين يتميز من نكاح الدوام»[3].

---

(1) - المصدر السابق ص٣٠١.

(2) - المصدر السابق ص٣٠٢.

(3) المبسوط/ الشيخ الطوسي ج٣ ص٢٢٤، المكتبة المرتضوية لاحياء الآثار الجعفرية.

* هل المتعة حرام، فهي زنا وإباحية؟!

الشبهة الثانية في هذا المقام، تتعلق بالمتعة من حيث هي محرمة، وشكلٌ من الزنا والإباحية. وما دام أن الأمر يتعلق بحكم شرعي، فلا بد من بسط الحديث عنه في إطاره الفقهي، وتقليبه على أكثر من وجه ليتبين وجه الصواب فيه. ونبدأ مناقشتنا بطرح جملة من الأسئلة:

ـ ماذا تعني المتعة؟

ـ ما هي الأدلة الشرعية عند القائلين بالحرمة؟

ـ ما دليل القائلين بالحلّية؟

♦ معنى المتعة: ـ

ذهب ابن منظور إلى القول في مادة متع: وقيل كل ما جاد فقد متع، وهو ماتع. والماتع من كل شيء: البالغ في الجودة، الغاية في بابه، وأنشد:

خذ فقد أعطيته جيداً   قد أحكمت صنعته ماتعاً[1]

---

[1] ـ لسان العرب، ابن منظور، ج١٣، ص١٤ تعليق علي شيري، دار إحياء التراث العربي ط١، ١٤٠٨هـ بيروت.

وفي قول الشاعر:

تمتـــع يامشـــعت إن يشـــأ سبقت به الممـات، هـو المتـاع

وقول آخر:

حليلين من شعبين شتى تحـاورا قليـلاً، وكانـا بـــالتفرق أمتعـا

والمتعة وردت في اللغة العربية على أكثر من وجه.. فتارة ترد بمعنى المنفعة، كما في قوله تعالى: ﴿فيها متاع لكـم﴾ أو ﴿متـاع الحيـاة الدنيـا﴾، وتـارة أخـرى بمعنـى العطاء كما في قوله تعالى: ﴿متاعاً بالمعروف﴾ ومنها قوله تعالى:

﴿لا جناح عليكم إن طلقتـم النسـاء مـالم تمسـوهن أو تفرضـوا لهـن فريضـة ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره متاعاً بالمعروف حقاً على المحسنين﴾.

وقيل ــ كما في مجمع البيان ــ المراد بالاستمتاع هنا درك البغية والمباشرة وقضاء الوطر من اللذة، عن الحسن ومجاهد وابن زيد والسدي. فمعناه على هذا فما استمتعتم أو تلذذتم من النساء بالنكاح فـآتوهن مهورهـن، وقيـل المـراد بـه نكـاح المتعـة، وهـو النكاح المنعقد بمهر معين إلى أجل معلوم، عن ابن عباس والسدي وابن سعيد وجماعـة من التابعين، وهو مذهب أصحابنا الإمامية، وهو الواضح لأن لفظ الاستمتاع والتمتـع وإن كان في الأصل واقعاً على الانتفاع والالتذاذ، فقد صار بعـرف الشـرع مخصوصـاً بهذا العقد المعين، لاسيما إذا أضيف إلى النساء»[1] .

وعرفها الفقهاء بمعناها المصطلـح عليـه في بـاب الأنكحـة أو النكـاح، بـالزواج المؤقت أو زواج المتعة، وهو ضرب من الزواج مبـاح في الشـريعة، يشـترط فيـه مهـر معين، وتحديد المدة، وفق ما جاءت به الآية الكريمة: **﴿فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة﴾**.

---

[1] - مجمع البيان، الطبرسي/ ج٣ ــ ٤ ص٥٢ ط٢، ١٤٠٨هـ ــ ١٩٩٨م.

◆ الخلاف حول المتعة

لا أحد من العلماء، سنيهم وشيعيهم، ينازع في أن المتعة كانت، في أصلها، أمراً مباحاً خلال فترة من حياة الرسول(ص)، وأن بعض الصحابة تعاطاها دونما إحراج.. وإنما الخلاف جرى حول نسخ حكمها. فبينما زعم فريق شاذ جداً من أهل السنة بنسخها، ذهب الشيعة إلى القول باستمرار حكمها بالإباحة. وعلى هذا الأساس، إذا ما تأكد ذلك، سوف تكون كل تشنيعات بعض قصار النظر على مفهوم المتعة باعتبارها نوعاً من الزنا والدعارة كما تقدم، نوعاً من سوء الأدب مع الرسول(ص) إذ أنها مورست في زمانه وتحت سمعه وبصره، وكأن دين الله، كان قد شرع للناس إتيان الفواحش والفجور، وأقرهم عليه لفترة غير قصيرة. وإذا ما تبين لنا اختلافهم حول زمن نسخها.. فسيكون الأمر أسوأ عند من رأى نسخها في حجة الوداع.. باعتبار أن الشرع أقر المسلمين على ارتكاب الفواحش ـــ حاشاه ـــ على امتداد هذه الفترة كلها.. أما إذا رجحنا من ادعى منهم تكرار النسخ فإن الأمر سيكون على درجة من القبح قصوى.. لأن مفاد هذا الادعاء أن الشرع قرر نسخ حكمها بالحرمة، وأباحها مجدداً.. وفي هذا افتراء عظيم.. ولنعد إلى أصل المسألة، ونقول: هل فعلاً وقع النسخ؟

◆ الآية والنسخ:

قال تعالى في محكم كتابه: **﴿فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة﴾** (سورة النساء: آية/٢٤).

أجمع المفسرون على أنها نزلت في شأن المتعة، بمعنى الزواج إلى أجل مسمى. ويمثل هذا الإجماع كبار المفسرين من أهل السنة، مثل ابن كثير، والقرطبي، والطبري والسيوطي وكذا الزمخشري... كما أجمعت على ذلك كتب الصحاح الكبرى كصحيح البخاري ومسلم والترمذي وسنن البيهقي وأبي داود..

جاء في تفسير ابن كثير: «وقد استدل بعموم هذه الآية على نكاح المتعة، ولاشك أنه كان مشروعاً في ابتداء الإسلام ثم نسخ بعد ذلك، وقد ذهب الشافعي وطائفة من العلماء إلى أنه أبيح ثم نسخ، ثم أبيح ثم نسخ مرتين. وقال آخرون أكثر من ذلك، وقال آخرون: إنما أبيح مرة ثم نسخ و لم يبح بعد ذلك. وقد روي عن ابن عباس وطائفة من الصحابة القول بإباحتها للضرورة، وهو رواية عن الإمام أحمد، وكان ابن عباس وأبي بن كعب وسعيد بن جبير والسدي يقرأون **﴿فما استمتعتم به منهن إلى أجل مسمى فآتوهن أجورهن فريضة﴾** وقال مجاهد: نزلت في نكاح المتعة»[1] .

وذكر الطبري في جامع البيان: «حدثنا ابن الحسين، قال: ثنا أحمد بن مفضل، قال: ثنا أسباط، عن السدي **﴿فما استمتعتم به منهنّ﴾**... إلى **﴿أجل مسمى فآتوهن أجورهن فريضة، ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة﴾** فهذه متعة الرجل ينكح المرأة بشرط إلى أجل مسمى، ويشهد شاهدين، وينكح بإذن وليها، وإذا انقضت المدة، فليس له عليها سبيل، وهي منه بريئة وعليها أن تستبرئ ما في رحمها، وليس بينهما ميراث، ليس يرث واحد منهما صاحبه»[2] .

وذكر الزمخشري في الكشاف قوله: «وقيل: نزلت في المتعة التي كانت ثلاثة أيام حين فتح الله مكة على رسول(ص) ثم نسخت، كان الرجل ينكح المرأة وقتاً معلوماً ليلة أو ليلتين أو أسبوعاً بثوب أو غير ذلك، ويقضي منها وطره ثم يسرحها. سميت متعة لاستمتاعه بها أو لتمتيعه لها بما يعطيها»[3] .

وجاء في تفسير الفخر الرازي قوله في آية المتعة: «إن المراد بهذه الآية حكم

---

(1) - التفسير/ ابن كثير ج١ ص٤٠٨، دار القلم/ لبنان، تصحيح الشيخ خليل الميس.

(2) - جامع البيان/ الطبري ج٥ - ٦ ص١٢/ دار الفكر بيروت.

(3) - الكشاف/ الزمخشري/ ج١ ص٤٩٨/ نشر أدب الحوزة.

المتعة، وهي عبارة عن أن يستأجر الرجل المرأة بمال معلوم أي إلى أجل معين فيجامعها، واتفقوا على أنها كانت مباحة في ابتداء الإسلام، روي أن النبي(ص) لما قدم مكة في عمرته تزينت نساء مكة، فشكا أصحاب الرسول(ص) طول العزوبة فقال: استمتعوا من هذه النساء، واختلفوا في أنها هل نسخت أم لا؟ فذهب السواد الأعظم من الأمة إلى أنها صارت منسوخة، وقال السواد منهم: إنها بقيت مباحة كما كانت»[1] .

وعلى نفس الرأي، كبار المفسرين السنة، كالجصاص والبغوي ومجاهد والقرطبي والسيوطي وصاحب تفسير المنار، الشيخ رشيد رضا والشوكاني والمراغي والألوسي والبيضاوي، فقد ذكر الجصاص: «لم يختلف أهل النقل أن المتعة قد كانت مباحة في بعض الأوقات أباحها رسول الله(ص)»[2] .

وذكر ابن حجر في شرحه لكلام البخاري في صحيحه: باب نهي رسول الله عن نكاح المتعة أخيراً قال:

«وقوله ـ في الترجمة ـ: أخيراً، يفهم منه أنه كان مباحاً، وأن النهي عنه وقع في آخراً الأمر».

أما النووي في شرح صحيح مسلم، فإنه ينقل عن المازري قوله:

«ثبت أن نكاح المتعة كان جائزاً في أول الإسلام.. ثم ثبت بالأحاديث الصحيحة هنا أنه نسخ وانعقد الإجماع على تحريمه»[3] .

وعلى هذا الإجماع مفسرو أهل السنة وأهل الحديث والفقهاء المعتمدون، فلا أساس ينهض عليه قول من افترى أن الآية لا تعني المتعة، أو أن المتعة مما كان مُحرماً قطعاً!.

---

(1) - التفسير الكبير/ الرازي/ ج١٠ ص٥٠ ط٢ الناشر، دار الكتب العلمية طهران.

(2) - أحكام القرآن/ الجصاص ج٢ ص١٧٨.

(3) - شرح صحيح مسلم، النووي ج٩ ص١٧٩.

◆ أدلة في عدم وقوع النسخ

لقد تبين من خلال العرض السابق، أن المتعة مما كان مباحاً.. وعلى ذلك إجماع المفسرين، وبه تدفع شبهة القائلين بالتحريم الأصلي، وهم من الشواذ، إذ ألحقوا الآية الكريمة بآية النكاح كما فعل «النسفي»، عندما فسر آية المتعة بقوله: ﴿**فما استمتعتم به منهن**﴾ فما نكحتموه منهن»[1] . أما الزجاج فقد اعتبرها آية تفيد النكاح على الشريطة التي جرى في الآية أنه الإحصان، واعتبر أن قوماً غلطوا في هذه الآية غلطاً عظيماً لجهلهم باللغة، حينما ذهبوا إلى اعتبارها من المتعة التي قد أجمع أهل العلم أنها حرام.. غير أن كلام الزجاج غير معتبر، من جهة كونه ادعى إجماعاً غير محقق ولا واقع، إذ إجماع المفسرين كما سبق في عرضنا لم يقع، ولأنهم من جهة أخرى لم يؤولوها حتى يقال أنهم جاهلون باللغة العربية، فهم اعتمدوا روايات صريحة وكثيرة، هذا إذا افترضنا أنهم حقاً على ما وصفهم به من الجهل باللغة.. ويكفي أن يكون أحد كبار اللغويين من المفسرين وهو الزمخشري، ذهب إلى مثل ما ذهبوا إليه كما أسلفنا.

يقول الطبرسي:

«فعلى هذا يكون معناه فمتى عقدتم عليهن هذا العقد المسمى متعة فآتوهن أجورهن، ويدل على ذلك أن الله علق وجوب إعطاء المهر بالاستمتاع، وذلك يقتضي أن يكون معناه هذا العقد المخصوص دون الجماع والاستلذاذ، لأن المهر لا يجب إلا به، هذا وقد روي عن جماعة من الصحابة منهم أبي بن كعب وعبدالله بن عباس وعبدالله بن مسعود أنهم قرأوا فما استمتعتم به منهن إلى أجل مسمى فآتوهن أجورهن، وفي ذلك تصريح بأن المراد به عقد المتعة»[2] .

وشبهة القائلين بذلك واضحة في الجمود على المعنى اللغوي، والغفلة عن المعنى

---

(1) - تفسير النسفي ج١ ـ ٢ ص٢١٩/ دار الكتاب العربي ـ بيروت ١٤٠٢هـ.

(2) - مجمع البيان/ الطبرسي ج٣ ـ ٤ ص٥٢.

الشرعي الاصطلاحي.

ويؤكد على اختلاف المسلمين في ذلك، الاضطراب الحاصل في مورد كلامهم عن آية المتعة. إذ أن المفسرين والمحدثين أوردوا أحاديث، تدل على استمرار إباحتها، ويوردون بعضاً منها يقول بوقوع النسخ. والذين قالوا بالنسخ من أهل السنة، اختلفوا فيما بينهم في زمن النسخ وكيفيته.. فقد زعم بعضهم أنها نسخت في خيبر وآخرون زعموا أن ذلك وقع يوم الفتح، وذهب آخرون إلى وقوعه في حجة الوداع.. كما أن البعض منهم زعم أنها نسخت بآية الأزواج (أي بالقرآن) وآخرون قالوا بنسخها بالسنة.. كما ادعى البعض وقوع النسخ أكثر من مرة، وخالفهم آخرون إلى القول بوقوع النسخ مرة واحدة..

أما من ذهب إلى عدم وقوع النسخ، فقد اعتمد نصوصاً صريحة وأدلة من سيرة الصحابة، وردوا تحريمها إلى منع عمر بن الخطاب لها.. فبينما اعتبر البعض قول عمر بن الخطاب حجة على تحريمها، انطلاقاً من كونها داخلة في إطار التمسك بسيرة الخلفاء الراشدين، مثل ما وقع في مسألة صلاة التراويح، وإلغاء "حي على خير العمل" من الآذان، وإضافة "الصلاة خير من النوم".. اعتبر آخرون منهم ذلك راجعا للمصالح المرسلة، ولم يأخذوا حكم عمر بن الخطاب مأخذ الدليل المعتبر. وفي هذه الجولة سنبسط الكلام في هذه الاختلافات، ونوضح ما فيها من تهافت..

◆ أخبار النسخ:

جاء في رواية الإمام مالك في الموطأ، من باب نكاح المتعة:

حدثني يحيى عن مالك عن ابن شهاب عن عبدا لله والحسن ابني محمد بن علي بن ابي طالب عن أبيهما عن علي بن أبي طالب(ع): «أن رسول ا لله(ص) نهى عن متعة النساء يوم خيبر وعن أكل لحوم الحمر الإنسية»[1] .

---

[1] ـ الموطأ، مالك بن أنس/ باب نكاح المتعة ص٣٦٩ دار النفائس/ بيروت ١٩٩٤م.

وجاء في صحيح مسلم، كتاب النكاح باب المتعة:

«أمرنا رسول الله بالمتعة عام الفتح حين دخلنا مكّة ثم لم نخرج حتى نهانا عنها»[1] .

وأورد مسلم في نفس كتابه حديثاً آخر: إن رسول الله(ص) نهى يوم الفتح عن متعة النساء»[2] .

وفي سنن أبي داود والبيهقي عن ربيع بن سبرة. قال: أشهد على أبي أنه حدّث أن رسول الله(ص) نهى عنها في حجة الوداع[3] .

◆ خلاصة الرد على أحاديث التحريم

وردت مجموعة من الأحاديث الدالة على التحريم، وهي وإن كثرت طرقها، لا تعدو أن تكون أحاديث آحاد، وأخباراً ضعيفة السند ومتناقضة المتن.. ونحب أن نقول هنا، أن بعض الفقهاء قال بتعدد التحريم وتكرر النسخ.. وهو وإن كان أمراً شاذاً وغريباً إلاّ أنهم قبلوا به ليجدوا بذلك مبرراً معقولاً لتناقض الروايات القائلة بالنسخ.. فهنالك أحاديث تقول بالنسخ يوم خيبر، وأخرى ترجعه إلى الفتح، وثالثة في غزوة أوطاس وأخرى يوم حجة الوداع.. وبين هذه الحوادث فترات زمنية متباينة. فلا شك أن قول بعضهم بتكرار النسخ، مجرد محاولة لتبرير هذا التضارب في أخبار النسخ.. فقد تقدم من كلام ابن كثير في التفسير قوله: «وقد ذهب الشافعي وطائفة من العلماء إلى أنه أبيح ثم نسخ مرتين»[4] .

واختلفوا أيضاً في عدد التكرار.. فبعضهم رأى أن هذا التكرار وقع مرتين مثل

---

(1) - صحيح مسلم ص١٠٢٨.

(2) - المصدر السابق.

(3) - سنن أبي داوود ج٢ ص٢٢٧ باب في نكاح المتعة، سنن البيهقي ج٧/ ص٢٠٤ ـ ٢٠٥.

(4) - تفسير ابن كثير ج١ ص٤٠٨.

الشافعي وابن عربي، وادعى بعضهم أن النسخ وقع أكثر من مرتين.. وقد اتضح أنّ غاية هؤلاء من كلامهم هو دفع التزاحم عن أخبار النسخ، ولو اقتضى الأمر، افتعال قضية تكرار النسخ، التي قال عنها ابن القيم: «وهذا النسخ لا عهد بمثله في الشريعة البتة، ولا يقع مثله فيها»[1] .

وقد أشار القرطبي إلى ذلك في تفسيره. وقال غيره ممن جمع الأحاديث فيها: «أنها تقتضي التحليل والتحريم سبع مرات..»[2] .

إضافة إلى ذلك، فإن تناقض هذه الأحاديث لم يقتصر على ما بينها من اختلاف في أزمنة وأمكنة النسخ، بل إنه يتناقض حتى مع السيرة وأحداث التاريخ الإسلامي .. ففي غزوة خيبر لم يحدث أمر يستدعي الحديث عن المتعة، ولاكان الصحابة يتمتعون باليهوديات .. و لم يذكر هذا أحد من أهل السير .. فقد ذكر ابن حجر، في باب نهي رسول الله عن نكاح المتعة آخراً عن السهيلي أنه قال: ويتصل بهذا الحديث تنبيه على إشكال لأنّ فيه النهي عن نكاح المتعة في يوم خيبر، وهذا شيء لايعرفه أحد من أهل السِّير ورواة الأثر[3] .

وذكر ابن القيم في كتاب زاد المعاد: «وقصة خيبر لم يكن فيها الصحابة يتمتعون باليهوديات، ولااستأذنوا في ذلك رسول الله، ولانقله أحد قط في هذه الغزوة، ولا كان للمتعة فيها ذكر ألبته لافعلاً ولاتحريماً»[4] .

أما من أدعى أنها حُرِّمت في حجة الوداع، فليس أمام الباحث المدقق إلا أن يراجع خطبة حجة الوداع كما رواها صاحب السيرة ابن هشام، ويقلب النظر فيها، المرة تلو الآخرى، فحتماً لن يجد أي أثر للحديث عن الزواج المؤقت.. وحديثه عن النساء في خطبته هو:

---

(1) - ابن قيم الجوزية، زاد المعاد ج٢ ص٢٠٤.

(2) القرطبي/ التفسير ج٥ ص١٣٠ ــ ١٣١.

(3) - فتح الباري ص٧٤.

(4) - زاد المعاد ج٢ ص١٥٨.

«ولهن عليكم حقاً، لكم عليهن أن لايوطئن فرشكم أحداً تكرهونه، وعليهن أن لايأتين بفاحشة مبينة، فإن الله قد أذن لكم أن تهجروهن في المضاجع وتضربوهن ضرباً غير مبرح، فإن انتهين فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف، واستوصوا بالنساء خيراً فإنهن عندكم عوان لايملكن لأنفسهن شيئاً، وإنكم إنما أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمات الله، فاعقلوا أيها الناس قولي فإني قد بلغت، وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً، أمراً بيِّناً كتاب الله وسنة نبيه»[1].

ولانجد هنا مبرراً لإعادة مناقشة سند كل تلك الروايات التي تعرضت لموضوع المتعة وجاءت بالنسخ، فقد أشبعها بحثاً من هم أرسخ منا في هذا المقام شأناً وخبرة، مثل السيد مرتضى العسكري، وعبدالله الفكيكي، والأميني، والسيد محمد تقي الحيكم، والسيد شرف الدين، والسيد الخوئي، والشيخ آل كاشف الغطاء.. وخلاصة القول، أن هذه الأحاديث وردت كلها بسند ضعيف، وهي من نوع خبر الواحد، وفي سندها ضعاف وغير ثقاة.. وأخبار هذا شأنها لاتصلح أساساً لنسخ آية محكمة.. هذا مع أن قول أكثر الصحابة بحليتها دليل على عدم صحة مايروى حول نسخها.

أما من زعم أنها نسخت بآية الأزواج، الموجودة في«المؤمنين»، و«المعارج»، فهذا مما لايقوم له اعتبار، إذ آية المتعة في سورة النساء وهي مدنية، وآية الأزواج في سورتي المؤمنين والمعارج وهما مكّيتان، فلا يصح تقدم الناسخ على المنسوخ، إذ معنى النسخ هو رفع حكم سابق وليس العكس..

إن الاضطراب الشديد في أخبار النسخ، دليل على بطلانها.. لأن مشكلة بهذا الحجم كان على الصحابة من باب أولى أن يحفظوها عن النبي(ص).. والحال أنهم استنكروا تحريمها، إذ لم تحدث ضجة بهذا الاسم إلاّ في أزمنة متأخرة جداً.. بعد وفاة الرسول(ص).

---

(1) - سيرة ابن هشام ج٤ ص١٨٥ ـ ١٨٦ دار الجيل/ بيروت.

أما ما اشتهر من أخبار التحريم، فهو خبر منع عمر بن الخطاب للتمتع. وقد ذهب إلى ذلك أغلب رواة الأخبار والمؤرخين.. وأورد تلك الأخبار كبار المحدثين السنة وذهب إليها علماؤهم قديماً وحديثاً.. وسنكون مضطرين إلى عرض مجموعة من تلك الأخبار، لنبين للقاريء أن عمر بن الخطاب، هو الذي منعها، وقد شهد هو نفسه بذلك، وأخبر بعدم تحريم رسول الله(ص) لها..

ـ أخرج البخاري في الصحيح، عن عمران بن حصين قال:

نزلت آية المتعة في كتاب الله، ففعلناها مع رسول الله(ص) و لم ينزل قرآن يحرمها و لم ينه عنها حتى مات(ص)، قال رجل برأيه ماشاء[1].

والرجل هنا كما سيظهر من الأحاديث هو عمر بن الخطاب، كما ذهب إلى ذلك الرازي في التفسير.

ـ وأخرج مسلم في الصحيح عن أبي الزبير قال: سمعت جابر بن عبدالله يقول: كنا نستمتع بالقبضة من التمر والدقيق الأيام على عهد رسول(ص) وأبي بكر، حتى نهى عنه عمر في شأن عمرو بن حريث»[2].

ـ في صحيح مسلم، عن أبي نضرة، قال: كنت عند جابر بن عبدالله فأتاه آت، فقال: ابن عباس وابن الزبير اختلفا في المتعتين. قال جابر: فعلناهما مع رسول الله(ص) ثم نهانا عنهما عمر فلم نعد لهما»[3].

ـ وأخرج البيهقي في سننه أيضاً: قال جابر، تمتعنا مع رسول الله(ص) ومع أبي بكر(رض) فلما ولي عمر خطب الناس فقال: «إن رسول الله(ص) هذا الرسول وإن القرآن هذا القرآن، وإنهما متعتان كانتا على عهد رسول الله وأنا أنهى عنهما

---

[1] - صحيح البخاري ج٢ ص١٧٦ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

[2] - صحيح مسلم ج٢ ص١٠٢٤ / دار إحياء التراث العربي / بيروت.

[3] - المصدر السابق / باب نكاح المتعة ج٢ ص١٠٢٣.

وأعاقب عليهما: إحداهما متعة النساء، ولاأقدر على رجل تزوج امرأة إلى أجل إلاّ غيبته بالحجارة، والأخرى متعة الحجّ. افصلوا حجكم عن عمرتكم فإنه أتم لحجكم وأتم لعمرتكم»[1].

وربما هناك أسباب عدة دعت عمر بن الخطاب أن يمنع هذا النوع من الزواج.. ومنعه هذا لايعتبر شرعاً لأن بينه وحكم الشرع من المنافاة بحيث لم يولِ الصحابة اهتماماً لتحريمه. لقد رأى عمر بن الخطاب، أن هذا النوع من الزواج أصبح متداولاً بشكل كبير بين الناس، وشاع أمره بين الناس.. و لم يكن عمر بن الخطاب على علم بما سيترتب على منع زواج المتعة من انحراف.. إذ أصبح الزنا بديلاً عن هذه الممارسة الشرعية، لهذا انتبه الإمام علي(ع)، إلى خطورة هذا الوضع، قائلاً: « ولولا نهى عمر عن المتعة، لما زنى إلاّ شقي».

ومهما يكن الأمر، فإن هناك أسباباً جعلت عمر بن الخطاب يقول بذلك، فقد جاء في موطأ مالك، أن خولة بنت حكيم دخلت على عمر بن الخطاب، فقالت:

إن ربيعة بن أمية استمتع بامرأة فحملت منه، فخرج عمر يجرّ رداءه، فقال: هذه المتعة. ولو كنت تقدمت فيها لرجمت[2].

وجاء في كنز العمال، عن أم عبدا لله ابنة أبي خيثمة أن رجلاً قدم من الشام فنزل عليها فقال: إن العزبة قد اشتدت عليّ فابغيني امرأة أتمتع معها قالت: فدللته على امرأة فشارطها وأشهدوا على ذلك عدولاً فمكث معها ما شاء ا لله أن يمكث ثم إنه خرج، فأخبر بذلك عمر بن الخطاب، فأرسل إليّ فسألني أحق ما حدّثت؟ قلت: نعم قال: فإذا قدم فأذنيني به، فلمّا قدم أخبرته فأرسل إليه، فقال: ما حملك على الذي فعلت؟ قال: فعلته مع رسول ا لله(ص) ثم لم ينهنا عنه حتى قبضه ا لله، ثم مع أبي بكر

---

[1] - سنن البيهقي ج٧ ص٥٤٢ باب نكاح المتعة.

[2] - الموطأ / مالك بن أنس ص٥٤٢ باب نكاح المتعة.

فلم ينهنا عنه حتى قبضه الله، ثم معك فلم تحدث لنا فيه نهياً، فقال عمر: أما والذي نفسي بيده لو كنت تقدمت في نهي لرجمتك، بيّنوا حتى يعرف النكاح من السفاح»[1].

وفي مصنف عبدالرزاق عن محمد بن الأسود بن خلف: إن عمرو بن حوشب استمتع بجارية بكر من بني عامر بن لؤي: فحملت، فذكر ذلك لعمر فسألها، فقالت: استمتع منها عمرو بن حوشب فسأله فاعترف، فقال عمر: من أشهدت؟ قال لا أدري أقال: أمّها أو أختها أو أخاها وأمها، فقام عمر على المنبر، فقال: ما بال رجال يعملون بالمتعة ولا يشهدون عدولاً و لم يبينها وإلا حددته، قال: أخبرني هذا القول عن عمر من كان تحت منبره، سمعه حين يقول، فتلقاه الناس منه[2].

لقد كانت هناك أسباب دعت الخليفة الثاني إلى منع المتعة، وقد شهد بنفسه على كونها مباحة، وأن الرسول(ص) لم ينه عنها في قوله: «متعتان كانتا على عهد رسول الله(ص) وأنا أنهى عنهما وأعاقب عليهما متعة الحج، ومتعة النساء»[3].

وقد جاء في قوله، عن أبي نضرة قال: كان ابن عباس يأمر بالمتعة وكان ابن الزبير ينهى عنها قال: فذكرت ذلك لجابر بن عبدالله فقال: على يدي دار الحديث. تمتعنا مع رسول الله(ص) فلمّا قام عمر قال: إن الله كان يحلّ لرسوله ما شاء بما شاء فأتموا الحج والعمرة كما أمر الله، وانتهوا عن نكاح هذه النساء لا أوتى برجل نكح امرأة إلى أجل إلاّ رجمته»[4].

ومن الملاحظ أن عمر بن الخطاب في نهيه عنها لم يكن يسميها «سفاحاً» أو

---

[1] - كنز العمال، الهندي ج٨ ص٢٩٤ ط. دائرة المعارف حيدر أباد/ سنة ١٣١٢هـ.

[2] - مصنف عبد الرزاق ج٧ ص٥٠٠ ــ ٥٠١.

[3] - تفسير القرطبي ج٢ ص٣٧٠ / زاد المعاد / لابن القيم ج٢ ص١٨٤.

[4] - صحيح مسلم ج٢ ص٨٨٤ / الدر المنثور / السيوطي ج١ ص٢١٦.

«زنا» بل كان يسميها نكاحاً إلى أجل كما في الحديث المذكور، ومتعة. فهو يعترف بكونها شكلاً من أشكال الزواج.. أما اجتهاده الذي لا أساس له سوى تشخيص سريع للحالة التي آلت إليها المتعة، فهو اجتهاد باطل لحصوله مقابل النص.. ولأنه لم يكن دقيقاً في تحصيل مناط الحرمة.. لأن تحريماً كهذا لن يمنع من الانحراف والفوضى بقدر ما سيؤدي إلى وقوع الناس في الزنا «لو لا نهى عنها عمر لما زنى إلاّ شقي!».

هذا مع أن الخليفة الثاني كان قد عرف بهذا النمط من الرأي.. فهو الذي رأى أن يضيف «الصلاة خير من النوم» في أذان الفجر، وحذف «حي على خير العمل» حتى لا يتثاقل الناس في الجهاد ويحسبون الصلاة كافية عنه، وهو من أراد رجم الزانية الحامل دون الالتفات إلى جنينها، وهو من تسلق الجدار تجسساً على السكارى في بيوتهم، وهو من همّ بحرق دار فاطمة الزهراء، ليكره من فيها على بيعة أبي بكر، وهو من رفض صلح الحديبية.. كل هذا وعشرات مثله عرف عن عمر بن الخطاب، وهو منهبه في الاجتهاد بالرأي.. وما تحريمه للمتعة إلاّ من هذا القبيل، أي حؤولاً دون استفحال أمرها، وقد قبل بعض الصحابة بتحريمه لها كل حسب وجهة نظره ومصلحته، في حين رفض الكثير منهم رأي عمر، وقالوا بإباحتها. وقد روي أنه رجع عن منعها، وأباحها، بعد أن تبين له وجه الإشكال في منعها، وبعد أن كثر الطعن على مبادرته هذه. فقد أخرج الطبري في تاريخه عن عمر، أن ابن سوادة قال: صليت الصبح مع عمر فقرأ سبحان وسورة معها ثم انصرف وقمت معه فقال: أحاجة؟ قلت: حاجة. قال: فالحق. قال: فلحقت فلمّا دخل أذن لي فإذا هو على سرير ليس فوقه شيء فقلت: نصيحة. قال: مرحباً بالنّاصح غدواً وعشياً قلت: عابت أمتك أربعاً، قال: فوضع رأس درّته في ذقنه ووضع أسفلها على فخذه ثم قال: هات. قلت: ذكروا أنك حرّمت العمرة في أشهر الحجّ ولم يفعل ذلك رسول الله(ص) ولا أبو بكر وهي حلال. قال: هي حلال لو أنهم اعتمروا في أشهر الحجّ رأوها مجزية من حجهم

فكانت قائبة قوب عامها فقرع حجهم وهو بهاء من بهاء الله وقد أصبت. قلت: وذكروا أنك حرّمت متعة النساء وقد كانت رخصة من الله نستمتع بقبضة ونفارق عن ثلاث. قال: إن رسول الله(ص) أحلّها في زمان ضرورة، ثم رجع الناس إلى السعة، ثم لم أعلم أحداً من المسلمين عمل بها ولا عاد إليها، فالآن من شاء نكح بقبضة وفارق عن ثلاث بطلاق وقد أصبت..»[1].

---

[1] - تاريخ الطبري ج٥ ص٣٢، دار المعارف القاهرة.

الافتراء على الصحابة والتابعين في قولهم بالمتعة

ذكر صاحب كتاب «الشيعة والمتعة» بأن الشيعة نسبوا القول بحلية المتعة إلى بعض الصحابة، وادعى أن ذلك مجرد كذب وتحريض على السلف الصالح، وأورد كل ذلك في باب عنون له: «افتراء الشيعة على بعض الصحابة والرد عليها».. حيث نعت الشيعة عموماً، وبعض علمائهم خصوصاً، مثل السيد شرف الدين، والسيد محمد تقي الحكيم، وتوفيق الفكيكي.. بالكذب والتدليس..

وقبل المضي مع صاحب الكتاب في انتقاداته، أو بالأحرى في حماقاته ومشاكساته وتطاوله على علماء، يعز علينا إنزالهم منزلته، فنقول؛ قال فلان وقال فلان.. قبل ذلك لابد أن نستعرض مواقف الصحابة من زواج المتعة، ليتبيّن لنا ما إذا كان هذا إفتراء أم حقائق زخرت بها كتب الصحاح، ورواها ثقاتهم..

ـ عن أيوب قال عروة لابن عباس: ألا تتقي الله ترخّص في المتعة؟ فقال ابن عباس: سل أمك ياعروة؟ فقال عروة: أما أبو بكر وعمر فلا يفعلان فقال ابن عباس: والله ماأراكم منتهين حتى يعذبكم الله، نحدثكم عن النبي(ص) وتحدثونا عن أبي بكر وعمر[1].

ـ قال ابن شهاب: فأخبرني خالد بن المهاجر بن سيف الله، أنه بينا هو جالس

---

[1] - زاد المعاد/ ابن القيم ج١ ص٢١٣ دار الكتاب العربي ـ بيروت.

عند رجل جاءه رجل فاستفتاه في المتعة فأمره بها. فقال له ابن أبي عمرة الأنصاري: مهلاً! قال: ما هي؟ وا لله! فعلت في عهد إمام المتقين[1].

ـ قال عبدا لله بن مسعود: « كنا نغزو مع رسول ا لله(ص) ليس لنا نساء، فقلنا ألا نستخصي، فنهانا عن ذلك ثم رخص لنا أن ننكح المرأة بالثوب إلى أجل، ثم قرأ عبدا لله: ﴿ياأيها الذين آمنوا لاتحرموا طيبات ماأحل ا لله لكم ولاتعتدوا إن ا لله لايحب المعتدين﴾[2].

ـ عن أبي بكر التيمي عن أبيه والحرث بن سويد قال: قال أبوذر في الحج: والمتعة رخصة أعطاناها رسول ا لله(ص)»[3].

ـ جاء في صحيح مسلم، عن خالد بن المهاجر المخزومي: قال ابن شهاب: فأخبرني خالد بن المهاجر بن سيف ا لله؛ أنه بينا هو جالس عند رجل جاءه رجل فأستفتاه في المتعة فأمره بها. فقال له ابن أبي عمرة الأنصاري: مهلاً! قال: ماهي؟ وا لله! لقد فعلت في عهد إمام المتقين»[4].

ـ وأخرج مسلم أيضاً في الصحيح، عن عبدا لله بن مسعود الهذلي: قال عبدا لله بن مسعود: كنا نغزو مع رسول ا لله(ص) ليس لنا نساء، فقلنا ألا نستخصي، فنهانا عن ذلك ثم رخص لنا أن ننكح المرأة بالثوب إلى أجل، ثم قرأ عبدا لله: ياأيها الذين آمنوا لاتحرموا طيبات ماأحل ا لله لكم ولاتعتدوا إن ا لله لايحب المعتدين»[5].

وفي مصنف عبدالرزاق، عن عبدا لله بن عثمان بن خيثم قال: كانت بمكة امرأة عراقية تنسّك جميلة، لها ابن يقال له: أبوأمية، وكان سعيد بن جبير يكثر الدخول

---

[1] - صحيح مسلم ج٢ ص١٠٢٦.

[2] - المصدر السابق ج٢ ص١٠٢٢.

[3] - زاد المعاد ج١ ص٢٠٧.

[4] - صحيح مسلم ج٢ ص١٠٢٢.

[5] - المصدر السابق ج٢ ص١٠٢٢.

عليها، قال: قلت: ياأبا عبدا لله! ما أكثر ما تدخل على هذه المرأة! قال: إنّا قد نكحناها ذلك النكاح، قال: وأخبرني أن سعيداً قال له: هي أحلّ من شرب الماء»[1].

وفي مسند الطيالسي عن مسلم القرشي قال: دخلنا على أسماء بنت أبي بكر فسألناها عن متعة النساء فقالت: فعلناها على عهد النبي(ص)»[2].

وقد ذكر عبدالرزاق في مصنفه، عن طاووس قال: قال ابن صفوان: يفتي ابن عباس بالزنا، قال فعدّد ابن عباس رجالاً كانوا من أهل المتعة! قال: فلا أذكر ممن عدّد غير معبد بن أمية»[3].

وذكر ابن حزم في المحلّى: وقد ثبت على حلّيتها بعد رسول ا لله(ص) جماعة من السلف(رض) منهم من الصحابة أسماء بنت أبي بكر، وجابر بن عبدا لله، وابن عباس، ومعاوية بن أبي سفيان، وعمرو بن حريث، وأبوسعيد الخدري، وسلمة ومعبد ابنا أمية بن خلف، ورواه جابر عن جميع الصحابة مدة رسول ا لله ومدة أبي بكر وعمر إلى قرب آخر خلافة عمر.

قال: وعن عمر بن الخطاب إنه إنما أنكرها إذا لم يشهد عليها عدلان فقط، وأباحها بشهادة عدلين.

وقال: «ومن التابعين طاووس، وعطاء، وسعيد بن جبير، وسائر فقهاء مكة أعزّها ا لله»[4].

وذكر الذهبي في ميزان الاعتدال: تزوج ابن جريج نحواً من تسعين امرأة نكاح المتعة[5] ، ومثل ذلك ذكره صاحب تهذيب التهذيب[6].

---

[1] - مصنف عبد الرزاق/ باب المتعة ج٧ ص٤٩٦.

[2] مسند الطيالسي عن مسلم القريشي ج٧ ١٦٣٧ ط، الهند ١٣٢١هـ.

[3] - مصنف عبد الرزاق ج٧ ص٤٩٩.

[4] - المحلى، ابن حزم ج١ ص٥١٩ ـ ٥٢٠ المسألة ١٨٥٤.

[5] - ميزان الاعتدال/ الذهبي ج٢ ص١٥١.

[6] - تهذيب التهذيب ج٦ ص٤٠٦.

إن هذه مجرد عينات قليلة تدل على أن الصحابة والتابعين مارسوها من دون أدنى إحراج، واعتبروا منع عمر بن الخطاب نوعاً من الرأي لم يولوه كبير اهتمام..

أقول، وعلى الرغم مما ورد في موطأ الإمام مالك، فقد ذهب إلى جوازها، وقد ذكر ذلك السرخسي في المبسوط: المتعة باطلة عندنا جائزة عند مالك بن أنس وهو الظاهر من قول ابن عباس. وقد قال مالك بن أنس في تفسير آية المتعة: هو نكاح المتعة جائز لأنه كان مشروعاً فيبقى إلى أن يظهر ناسخه[1].

ومن أعظم المآزق التي انتهى إليها القائلون بحرمة المتعة، أنهم سقطوا في تخريجات يكثر فيها الغلط والجرأة على الشريعة.. ويكفي أن نذكر كلاماً لابن حزم الأندلسي بخصوص المستأجرة للزنا:

قال أبو محمد: حدثنا ابن حمام حدثنا ابن مفرج حدثنا ابن الأعرابي حدثنا الدبري حدثنا عبدالرزاق حدثنا ابن جريج حدثني محمد بن الحرث بن سفيان عن أبي سلعة بن سفيان: أن امرأة جاءت إلى عمر بن الخطاب فقالت: ياأمير المؤمنين أقبلت أسوق غنماً لي، فلقيني رجل فحفن لي حفنة من تمر، ثم حفن لي حفنة من تمر، ثم حفن لي حفنة من تمر، ثم أصابني. فقال عمر: ما قلت، فأعادت. فقال عمر بن الخطاب ويشير بيده: مهر مهر مهر ثم تركها. وبه إلى عبدالرزاق عن سفيان بن عيينة عن الوليد بن عبدا لله عن أبي الطفيل أن امرأة أصابها الجوع فأتت راعياً فسألته الطعام، فابى عليها حتى تعطيه نفسها، قالت: فحثى لي ثلاث حثيات من تمر، وذكرت أنها كانت جهدت من الجوع، فأخبرت عمر فكبر وقال: مهر، مهر، مهر ودرأ عنها الحد.

قال أبو محمد رحمه الله: قد ذهب إلى هذا أبو حنيفة، ولم ير الزنى إلاّ ما كان مطارفة، وأما ما كان فيه عطاء واستئجار فليس زنى ولا حد فيه. وقال أبو يوسف،

---

[1] - الموطأ / مالك بن أنس ص٦٥.

ومحمد، وأبو ثور، وأصحابنا، وسائر الناس، هو زنى كله وفيه الحد.

وأما المالكيون والشافعيون فعهدنا بهم يشنعون خلاف الصاحب الذي لا يعرف له مخالف إذا وافق تقليدهم، وهم قد خالفوا عمر ولا يعرف له مخالف من الصحابة رضي الله عنهم، بل هم يعدون مثل هذا إجماعاً ويستدلون على ذلك بسكوت من بالحضرة من الصحابة عَنَ النكير لذلك، فإن قالوا إن أبا الطفيل ذكر في خبره أنها قد كان جهدها الجوع، قلنا لهم وهذا أيضاً أنتم لا تقولون به ولا ترونه عذراً مسقطاً للحد، فلا راحة لكم في رواية أبي الطفيل. مع أن خبر أبي الطفيل ليس فيه أن عمر عذرها بالضرورة، بل فيه أنه درأ الحد من أجل التمر الذي أعطاها وجعله عمر مهراً.

وأما الحنفيون المقلدون لأبي حنيفة في هذا فمن عجائب الدنيا التي لا يكاد يوجد لها نظير أن يقلدوا عمر في إسقاط الحد ههنا بأن ثلاث حثيات من تمر مهر.

وقد خالفوا هذه القضية بعينها فلم يجيزوا في النكاح الصحيح مثل هذا وأضعافه مهراً، بل منعوا من أقل من عشرة دراهم في ذلك، فهذا هو الاستخفاف حقاً والأخذ بما اشتهوا من قول الصاحب إذا اشتهوا، فما هذا ديناً وأُفٍّ لهذا عملاً إذ يرون المهر في الحلال لا يكون إلاّ عشرة دراهم لا أقل ويرون الدرهم فأقل مهراً في الحرام، ألاّ إن هذا هو التطريق إلى الزنى وإباحة الفروج المحرمة وعون لإبليس على تسهيل الكبائر، وعلى هذا لا يشاء زان ولا زانية أن يزنيا علانية إلاّ فعلا وهما في أمن من الحد، بأن يعطيها درهماً يستأجرها به للزنى، فقد علّموا الفساق حيلة في الطريق بأن يحضروا مع أنفسهم امرأة سوء زانية وصبياً بَغَاءً، ثم يقتلوا المسلمين كيف استوفروا من الفسق حفت أوزارهم وسقط الخزي والعذاب عنهم، ثم علّموهم وجه الحيلة في الزنى، وذلك أن يستأجرها بتمرتين وكسرة خبز ليزني بها، ثم يزنيا في أمن وسلام من العذاب بالحد الذي افترضه الله تعالى، ثم علّموهم الحيلة في وطء الأمهات والبنات

بأن يعقدوا معهن نكاحاً ثم يطؤونهن علانية آمنين من الحدود»[1].

إن أهمية هذا النص جلية لمن تأمل كلام ابن حزم.. ويوضح أن في الزنى وقع من استشكل على العقد المؤقت.. بل، لقد كان من أمر الرافضين لحلية المتعة أن اخترعوا لها مخرجاً لاعهد للشريعة به، ولا ممّا استصاغه المتشرعة..

وكما أن السرخسي زعم أن المالكية لا ترى حرمة المتعة، فقد زعم البعض أن المنع حصل عندهم إذا صرح بالأجل، وإلاّ فالعقد ماض.. ومعنى ذلك، أن من نوى المتعة، أي نوى الأجل ولم يصرح به في العقد، فعقده صحيح، ولهذا يذكر محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي الفاسي في كتابه "الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي": «وغير خفي أن محل المنع (المتعة) عند المالكية إذا صرح بالأجل في العقد، أما إذا لم يصرح به وإن نواه، فالعقد ماضٍ على ما صرح به الزرقاني في شرح المختصر وسلم له»[2].

والظاهر أن على هذا المبنى أفتى الشيخ ابن باز بحلية هذا الزواج، أي الزواج، بنية الطلاق.. وكانت فتواه موجهة للطلبة الذين يدرسون في الخارج.

هذا النوع من التخريب قبيح جداً في حق الشريعة.. لأن فيه من التدليس ما يضر بالمرأة المتزوج بها.. ولا نرى فارقاً بين أن يحتكر الرجل الأجل ويخفيه، وبين أن يتفقا عليه معاً.. فالأول حكم البشر حين يتجرأ على العبث بالحكم الشرعي، والثاني هو حكم الله الواقعي الذي يتم فيه احترام المرأة، بما هي عنصر مشارك للرجل في العلاقة الزوجية، وتملك فيها القرار..

---

[1] - المحلى/ ابن حزم الأندلسي ج١١ ص٣٠٥.

[2] - الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي الفاسي ج١ ص٢٨٦ المكتبة العلمية بالمدينة المنورة.

♦لماذا المتعة؟!

لو قيست الشريعة بالعقول الناقصة، لمحق الدين.. ولو كان الملاك في حكم الشرع يدرك من دون تحقيق المناط، لدرست الأحكام.. ولكان يكفي أي متجرىء على الدين أن يعبث بشرائعه، فيكون مؤوّلا، ويلزم نفسه بتأويله..

وبما أن عامة الناس لم يكونوا في حجم استنباط الحكم واستبيان علل الشرائع؛ وأن ذلك الأمر موكول إلى أولي الفقاهة والدراية، فإننا نكون في مأمن من رشقاتهم إذا ما حاولنا قلب رؤيتهم للأشياء وبيان إحدى أهم الملاكات التي يقوم عليها حكم الإباحة في زواج المتعة، على ضوء ما نصت عليه النصوص في مورد تعليل حكمها، أو ما يدل عليه سياق تشريعها.

ربما كانت المتعة إجراءً شرعياً مأخوذ في موضوعها المصلحة الاجتماعية؛ فإن ملاكاتها تقصد في البعد النفسي والاجتماعي للإنسان.. فالعلاقة بين الرجل والمرأة لم تكن يوماً إلاّ علاقة تزواج. غير أن الشريعة سعت إلى تنظيم هذا حتى تحول دون ما يمكن أن تؤدي إليه الفوضى في العلاقات بين الجنسين. فمعلوم أن هذه العلاقة إذا لم تكن محكومة بصيغة معينة، وضوابط شرعية، فانها تكون عرضة للفوضى وإتلافاً لحقوق المرأة والطفل، وتهديماً للأسرة وخلطاً للأنساب. وليست تلك الصيغ والضوابط في حكمها الأولي سوى إجراءات اسمية ذات قيمة اعتبارية، ليس الهدف منها سوى صيانة الحياة الزوجية من مخاطر الفوضى. ولم تكن لتلك الإجراءات قيمة ذاتية تسمو بها إلى مقام الأقنوم الذي يتحول مع مرور الزمن، وبسبب الأمراض الاجتماعية الفتاكة إلى معيق للزواج.

ومادام أن الزواج، هو علاقة أوسع معنى من التمتع. وبما أنه قيمة اجتماعية، فإن حصول العجز في المسؤولية والنفقة والكفاءة، يمكن أن يحول دون الإنسان وتحقيق هذه القيمة الاجتماعية حسب الصيغة المقررة لها، ولكنه لا يمكن أن يحول دون تحقيق

الجانب الحيوي من هذه العلاقة التي تتعلق بالميول الطبيعية لإشباع حاجات أوجدها الخالق في ضبيعة الإنسان على نحو ما أودعه فيها من حاجيات ورغبات أخرى. إن التعسف الذي حصل في علاقة الرجل بالمرأة على النحو الذي نراه عند بعض المسلمين، لم نكن نرى له مثالاً واضحاً في زمن التشريع. نعم، كان هناك شرف وعفة وضوابط شرعية، لكن هذه الأحكام الزائدة التي انتهت إلى تصوير المرأة على أساس أنها تلك الجوهرة المفقودة التي يتطلع إليها الرجل دون القبض عليها. هذا الشرخ الحاصل بين الجنسين، إن هو إلاّ سليل أنماط اجتماعية، لا علاقة لها بشرع ولا بعرف عقلائي. ففي الوقت ذاته الذي تمنع فيه المرأة من السياقة في بعض البلاد العربية، أو أن تشارك في النشاطات الاجتماعية العامة، كنا على عكس ذلك نسمع عن نساء الرعيل الإسلامي الأول، وهنّ يركبن الهودج ويشاركن في المغازي، ويخطبن في الناس، وينظمن الشعر، ويحاججن الرجال فيما يرتبط بالمصالح الاجتماعية العامة. وكانت هناك أمور طرحت في زمن الرسول(ص) في قضايا تتعلق بالعلاقة بين الجنسين، فكان الرسول(ص) يتعاطى معها بهدوء، وكان الشرع يحتضنها دونما تشنج.

لقد ظلت المشكلة الجنسية مهملة، ومعلقة دونما حل عند المسلمين. وخاصة القائلين بحرمة التمتع، مع أنها ـ المسألة الجنسية ـ تعتبر من أخطر المسائل تعقيداً في حياة الناس، وأخطر مسألة تهدد الصرح الاجتماعي. والمشكلة الجنسية من حيث هي مسألة حيوية ـ بيولوجية ـ ليست هي علة هذا الإحراج في حياة الناس، بقدر ما هي الأمور المتعلقة بها.. نعم، الحرية الجنسية المنفلته من كل قيد وشرط كما هو الأمر في المجتمعات الغربية، حيث العلاقة بين الجنسين، تعتبر نوعاً من حقوق الإنسان، وهي لولا أنها أطلقت لجامها، لما حصل ما حصل، غير أن الموقف المقابل الذي يقيم حاجزاً حديدياً بين الجنسين ويزيد في إغراقها بأعراف إنما هي أعراف تعكس قيماً تاريخية، حينما كانت المرأة تعتبر متاعاً يخشى عليه في الغزوات والحروب التي كانت تقوم بين

العشائر والقبائل إذ كانت المرأة تغتنم كالمتاع. ولكننا على الرغم من ذلك، وجدنا أن آثار ذلك الإغراق في الأعراف الزائدة والإسراف في إحكام هذه القطيعة بين الجنسين، قد أدى إلى مظاهر اجتماعية أخطر بكثير.

إن الظواهر الاجتماعية الشاذة في المجتمع، هي دائماً نتيجة إسراف في التعامل مع العلاقة بين الجنسين. فإما انفتاح لا يعير وزناً للضوابط والقوانين والشرائع.. وإما انغلاق يقسم المجتمع إلى عالمين متناقضين: عالم ذكور وعالم إناث! وفي كلتا الحالتين، يصبح المجتمع عرضة للخطر. والآيات الكريمة التي وردت في قصة «لوط» تعطينا درساً عميقاً في فهم أبعاد العلاقة بين الرجل والمرأة.

وحتى الفقهاء من أهل السنة، حينما قالوا بحرمة المتعة، وقعوا في حرج شديد لما اقتضى الأمر منهم حلّ هذه المشكلة فحاولوا حلّها بما يعمق هذا الشذوذ الاجتماعي والنفسي، وبما يزيد من تعقيد المشكلة.. فكان أن قال أكثرهم بإباحة الاستمناء طلباً للتعفف.. فقد ذهب الحنابلة إلى تجويزه في الضرورة إن خاف على نفسه الوقوع في الزنا أو الخوف على الصحة، ولم تكن له زوجة أو أمة ولم يقدر على الزواج، فإنه لا حرج عليه[1].

أما ابن حزم[2] فقد أجازه أصلاً، معللاً ذلك بأن مس الرجل ذكره بشماله مباح بإجماع الأمة كلها. وإذا كان مباحاً فليس بينه والزيادة على المباح إلاّ تعمد إنزال المني، فليس حراماً أصلاً لقوله تعالى ﴿وقد فصل الله لكم ما حرم عليكم﴾[3].

وقال مجاهد: كان من مضى يأمرون شبابهم بالاستمناء يستعفون بذلك. هذا وكثير مما رزحت به بعض مصنفاتهم كان يحاول عبثاً إيجاد مخرج لهذا المأزق.. لكن

---

[1] فقه السنة/ السيد سابق ج٢ ص٣٨٨.

[2] - المصدر نفسه.

[3] - المصدر نفسه ص٢٠٩.

لات حين مناص! فالحاجة والشهوة ليس مما يكبت هاهنا بمثل هذه التخريجات الـتي لا تزيد في الطين إلا بلة، وتعمق الانحراف الجنسي.. وإنما المطلـوب هـو تقنينهـا بـالحجم الذي يجعلهـا منظمـة وشـرعية.. يحفـظ فيهـا كرامـة الجنسـين، ويراعـي فيهـا حقـوق الأطفال، وهذا لا يتم إلاّ بما أحلّه الله، وجعله مخرجاً لمن لا قدرة له على الزواج..

إن ما نفهمه من هذه التخريجات الفقهية الواهيـة، الـتي تقـع فيهـا الأقيسـة مـع وجود الفارق، ويقع فيها الخلط إلى درجة تتقلص فيها ملكة الفقيه.. نفهـم مـن ذلـك أن المأزق كان خطـيراً، لأنـه يتعلـق بقضيـة تعتـبر مـن أعقـد قضايـا الحيـاة الإنسـانية، وأكثرها تأثيراً على حياتهم النفسية والاجتماعية. فما هو وجه الغلـط في اعتبـار المتعـة حلاً واقعياً لمشكلة كهذه، بدل اللجـوء إلى إباحـة الاسـتمناء، الـذي شـدد الشـيعة في تحريمه، ولما ثبت من خطورة شأنه في البحوث النفسية المعاصرة..؟!

وحتى نكون صرحاء، نقول إن الإنسان في المجتمع، أيّاً كانت عقيدته، لا يعـدو أن يكون واحداً من أربعة: إمّا متزوج أو متمتع أو زانٍ أو شاذ. ومن الطبيعي أن الزنـا لا يدخل في مفهوم الشذوذ، لأن الزنا هـو تجـاوز لضوابـط الشـرع في علاقـة الرجـل بالمرأة.. وإن كان من الناحية الطبيعية لا يختلف عن الزواج. أمـا الشـذوذ فهـو تجـاوز للطبيعة والشرع. إن الناظر في أحوال المجتمعـات المسرفة في هـذه العلاقـة، يتبـين بـأن أسباب الزنا فيها عـادة تقـع نتيجـة لفقـدان صيغـة للعلاقـة الجنسية تقـع بـين الـزواج والزنا.. صيغة مقررة شرعاً أو قانوناً. فالزاني لا يزني في المجتمع إلاّ إذا حيل بينه وبـين الصيغة. وهذا هو مفاد قول الإمام علي(ع): لولا نهى عمـر عـن المتعـة، مـا زنـى إلاّ شفا. أما الشذوذ الجنسـي فهـو في المجتمعـات الإباحيـة، نتيجـة إسـراف في العلاقـات الجنسية وعدم تنظيمها، مما يدفع بها إلى تجاوز إطارها الطبيعـي. أو هـي نتيجـة لتربيـة فاسدة، تقوم على الانفتاح على المسألة الجنسية في أطوار مبكرة جداً كما هـو الآن في المجتمعات الغربية. أما في المجتمعات المنغلقة، فانه نتيجة إسراف في العزلة بين الجنسـين،

وإقصاء المرأة من المجتمع، الشيء الذي يشجع على تضخم الحاجة إليها، انطلاقاً من كون الغائب عادة ما يتكثف حضوره في الذهن، مما يؤدي إلى البحث عن وسيلة أخرى غير طبيعية لتلبية الحاجات الجنسية.

فماذا يكون أمر الشريعة التي جاءت لتحل كل المشاكل الاجتماعية والنفسية.. ماذا سيكون أمر المرأة التي مات عنها زوجها وهي لا تزال في طور الشباب و لم يتقدم إليها أحد في زواج دائم.. ماذا عن تلك اليائسات أو العوانس اللواتي لم يسعفهن الحظ في الظفر بالزواج.. ماذا عن أولئك الذين لم تتوفر لديهم الكفاءة، أو اللواتي منعهن عن الزواج بعض العاهات والعيوب، التي عادة ما يتحملها الزواج المؤقت.. ماذا عن تلك التي لم تجد سبيلاً لإشباع رغبتها الجنسية بعد أن يئست من الزواج وتعالت على الحرام؟؟!.

هل هؤلاء حقاً قضي عليهم بالامتناع عن إرواء رغبة طبيعية أودعها الخالق فيهم.. وهل الشريعة عاجزة عن إيجاد مخرج لمثل هذه المشكلات التي لا يخلو منها مجتمع، ولا ينجو من مأزقها بشر!.

إنه حقاً لولا نهي عمر عن المتعة لما زنى إلاّ شقي!!.

وغاية القول أن المتعة حلّ اجتماعي، يقوم على إدراك حقيقي للمشكلة الجنسية وأثرها على النفس والمجتمع الإنسانيين. وهي من جهة أخرى من حقوق الرجل والمرأة على نحو سواء، لأن المتعة تتم من الطرفين. ولأنها حل اجتماعي فهناك مساحة للتعفف عنها، وعدم القبول بها، وهو المشهور من كلام الأئمة(ع) وهي لذلك لم تكن أصلاً في طبيعة وتكوين الإنسان، بله أن تكون أصلاً من أصول المذهب الشيعي.. ولأن رسالة الإسلام في جوهرها إصلاحية اجتماعية وخالدة، فإنها قدمت حلاً جذرياً لمشكلة كانت منذ فجر التاريخ البشري سبباً رئيسياً، لذلك الوباء الفاتك بالمجتمعات في شتى عصورها، والمهدد للحضارات عبر تاريخها.. وباء الدعارة! كانت المتعة ـ لذلك ـ حلّ الإسلام الجذري، وليس أصل مذهب من مذاهبه!

ويعترف جماعة من أهل السنة بخطورة المسألة، وما يمكن أن يترتب على أسلوب كهذا غاية في الكبت والمنع.. فلقد كان لتحريم العامة للزواج المؤقت، آثاراً واضحة على الذهنية السنية بخصوص المسألة الجنسية. إذ لم يجدوا عن الزواج الدائم مندوحة ولا أي مخرج أخر لمن لم يتوفر على الكفاءة، فكان أن نصح بعضهم بالاستمناء كما تقدم، استعفافاً، وهو أمر ظاهر في الشذوذ ولا يليق بسمعة هذا الدين، ويسلب الخلفية الكمالية للتشريع الإسلامي.. كما نصح بعضهم بإضعاف الجسد بالصوم، بعد أن اعتبروا كل المخارج محرمة، بما فيها الحلم الذي لا يد للمكلف فيه، فاعتبروه دليل قلة الإيمان..

وإذا ما أردنا أن نطلع على رأي علماء السنة في هذا المجال، وحجتهم في إباحة المتعة أصلاً وتحريمه لاحقاً.. سوف نتبيَّن أن حجتهم في أصل إباحته، لا تزال سارية في العصور المتأخرة، بل إن الحاجة إليها تفاقمت وازدادت. والملاك في تشريعها لما يرتفع..

يقول عبدالرحمان الجزيري[1] :

«أما أصل مشروعية نكاح المتعة، فهو أن المسلمين في صدر الإسلام كانوا في قلة تقضي عليهم بمناضلة أعدائهم باستمرار، وهذه حالة لا يستطيعون معها القيام بتكاليف الزوجية وتربية الأسرة، خصوصاً أن حالتهم المالية كانت سيئة إلى أقصى مدى، فليس من المعقول أن يشغلوا أنفسهم بتدبير الأسرة من أول الأمر، وإلى جانب هذا أنهم كانوا حديثي عهد بعاداتهم التي ربوا عليها قبل الإسلام، وهي فوضى الشهوات في النساء. حتى كان الواحد منهم يجمع تحته ما شاء من النساء. فيقرب من يحب ويقصي من يشاء فإذا كان هؤلاء في حالة حرب فماذا يكون حالهم؟ ألا إن الطبيعة البشرية لها حكمها. والحالة المادية لها حكمها كذلك. فيجب أن يكون لهذه الحالة تشريع مؤقت يرفع عنهم العنت، ويحول بينهم وبين تكاليف الزوجية. وذلك هو نكاح المتعة أو النكاح المؤقت. فهو يشبه الحكم العرفي المؤقت بضرورة الحرب، وذلك

---

[1] - الفقه على المذاهب الأربعة/ عبدالرحمن الجزيري/ج٤ ص٩٠ - ٩١ دار الكتب العلمية بيروت/ ١٤٠٩هـ.

لأن الجيش يحتوي على شباب لازوجات لهم ولا يستطيعون الزواج الدائم كما لا يستطيعون مقاومة الطبيعة البشرية، وليس من المعقول في هذه الحالة مطالبتهم بإضعاف شهواتهم بالصيام، كما ورد في حديث آخر، لأن المحارب لا يصح إضعافه، بأي وجه، وعلى أيّ حال، فهذه الحالة هي الأصل في تشريع نكاح المتعة».

ثم قال[1]:

«فقد روى أن ابن الزبير قال: ما بال أناس أعمى الله بصائرهم كما أعمى أبصارهم يقولون بحل نكاح المتعة ـ يعرض بابن عباس، لأنه كف بصره ـ فقال ابن عباس: إنك جلف جاف لقد رأيت إمام المتقين رسول الله يجيزه، فقال له ابن الزبير، والله إن فعلته لأرجمنك، فظاهر هذا أن ابن عباس لم يبلغه النسخ، فلما بلغه عدل عن رأيه، فقد روى أبو بكر بإسناده عن سعيد بن جبير أن ابن عباس قام خطيباً، فقال: إن المتعة كالميتة، والدم ولحم الخنزير، وذلك مبالغة في التحريم، وبهذا كله يتضح أن نكاح المتعة أو النكاح المؤقت باطل باتفاق المسلمين، وما نقل من إباحته في صدر الإسلام، فقد كان لضرورة اقتضتها حالة الحرب والقتال».

---

[1] - المصدر السابق ص٩١.

تعليقنا على هذا الاستدلال

كلام صاحب الفقه على المذاهب الأربعة، ينطوي على الإجابة. وهو يعزز دليلنا ويقصم ظهر حجته. وملخص كلامه يمكن حصره في النقاط التالية:

١ ــ أن ملاك الحلية ارتبط بظرف القتال، وحيث لا يعقل إضعاف الجسد بالصوم ولا جلب المال..

ونفهم منها، أن القتال ظرف مانع لجمع المال، وداعٍ للمتعة، وأن الصوم ليس حلاً مطلقاً للمشكلة الجنسية.. وعليه، فكل ما من شأنه صرف الإنسان عن جمع المال، كطلب العلم، والدعوة، والجهاد، والسفر، أو ما يفرض على الإنسان من ظروف مانعة لذلك، كالعاهات المانعة لكسب المال، أو الظروف الاجتماعية التي تنهك المجتمعات المعاصرة كالبطالة وانسداد أسواق الشغل.. كل هذا يدخل في الملاك ذاته الموجب للحلية..

٢ ــ أن الأمر كان يتعلق بجيل لمّا يخرج بعد من عادات الجاهلية.. ومعنى ذلك أن الملاك نفسه في حليتها ينصرف على الشعوب حديثة العهد بالإسلام في مختلف العصور.. وإذا كان جيل الصحابة الكبار لم يستطيعوا القضاء على هذه العادة من الفوضى الجنسية فماذا ينتظر من مجتمعاتنا الغارقة في الفتن والسابحة في عادات أنكى وأمر مما شهدته الجاهلية الأولى؟!.

٣ ــ يتحدث سماحة الشيخ عن الطبيعة البشرية وما تحتاج إليه من تفهم من قبل الشرع، إذ أوجب على الشارع أن يوفر لها حكماً عرفياً مؤقتاً..

٤ ـ ادعى بأن ابن عباس تراجع عن قوله بالمتعة، وبأنه لم يقل بها قبلاً إلاّ لعدم بلوغه خبر نسخها، كما ادعى أن رجوعه عنها هو المشهور.

هذه باختصار أهم محتويات كلام صاحب كتاب، الفقه على المذاهب الأربعة، وهي بلا شك غاية ما يمكن أن ينطق به فقيه يبرر أمراً واقعاً، ويدافع عن بناء مذهبي معين.. ولا تحتاج هذه الاحتجاجات أكثر من التفاتة صغيرة وإعمال نظر سريع، للوقوف على تناقضاتها، التي لا يفارقها شيء من التصحيف والتعمّل..

إن اجتهاد الشيخ في إيجاد مبررات لأصل حلية الزواج المؤقت ضعيف جداً، من حيث أن الأمر إن كان يتعلق بذاك الملاك، فإن نسخه يعتبر نوعاً من التعسير الذي لا يجوز على الله بحكم اللطف والعدل الإلهيين.. إذْ أن عدم القدرة على الباه، والاشتغال بالحرب.. كلها ملاكات موجودة، وإن كان الملاك نفسه يوجب إباحتها على نحو المؤقتية العرفية، فما سر ارتفاع الحكم مع دوام الملاك.. بل هذا يقتضي عقلاً، استمرار الحكم بالإباحة تبعاً للملاك ولزوماً له.. ولعل حديث مسلم الذي استشهد به الشيخ في المقام، يدل على أن علّة تشريعها هو الحاجة إلى التمتع وضغط العزوبية، مما انتهى ببعضهم إلى التفكير في الخصاء.. فكان ترخيص المتعة حلاً لهذه المشكلة وبديلاً عن أي حلّ شاذ وقاس كالخصاء، أو أجنبي عن الموضوع كالصيام.

وإذا كان الصحابة وهم من هم في التقوى والصلاح، وعلى ذلك مبنى إخواننا أهل السنة، وفي حضرة الرسول(ص) وفي زمن لم تكن الفتن على ما هي عليه اليوم، وكان في ظرف الحرب والقتال ما يصرفهم عن التفكير في مثل هذه المشكلة.. ومع ذلك رخص لهم الرسول(ص) في التمتع.. كيف لا يجوز ذلك في الأزمنة المتأخرة، حيث استمرت ظروف الحروب والقتال على أشدها.. فحياة الرسول(ص) بعد واقعة خيبر، شهدت هي الأخرى فتوحات وحروباً.. وكيف لا يرخص للناس في زمن السلم، حيث الفتن تتكثف، حيث لا يمنع الناس عن التفكير في الهواجس الجنسية قتال

أو حرب.. وإذا كان الترخيص تابعاً لضغط الحاجة إلى التمتع، فهل نسخ الحكم يعني أن الغريزة الجنسية نسخت هي الأخرى تكويناً.. أم أن الأمر سيدفع ببعضهم إلى إعادة طرح السؤال السفسطي كالمعتاد، فيقول: وما هو الدليل على أن هناك غريزة جنسية، أو حاجة فطرية اسمها الحاجة الجنسية؟!.

أما ما جاء في كلام الشيخ حول رجوع ابن عباس عن القول بالمتعة، فهذا مما لم يعتبر في المشاهير، إذ المشهور عكس ذلك.. وهنا نحب أن نناقشه في أربع نقاط:

١ ــ هل رجوع ابن عباس عن القول بحلية التمتع، من المشهور عنه.

٢ ــ هل ــ فعلاً ــ تراجع عنها ابن عباس.

٣ ــ هل حدث أن غاب خبر النسخ عن ابن عباس..

٤ ــ هل تشبيه ابن عباس المتعة بالخمر ولحم الخنزير و.. مما يفيد شدة حرمتها..

لا شك أن تفصيل النقاش، قد يفيدنا في الوقوف على تهافت ما رامه الشيخ.. وقبل ذلك يجدر بنا القول، أن صاحب هذا الاستدلال، لم يكن هو نفسه مقتنعاً برأيه.. ويدل على ذلك قوله برفع الحد عن المتعة، والاكتفاء بالتعزير، تمييزاً لها عن الزنا، لمقام الشبهة فيها. ومورد الشبهة قول ابن عباس بحليتها. وإذا كان العلماء قد قالوا بشبهتها لهذا الدليل، فهذا في حد ذاته دليل على شهرة قول ابن عباس بحليتها، فيرتفع قول الشيخ بشهرة رجوع ابن عباس عنها.. ثم يستدرك الشيخ هذه الثغرة في سياق استدلاله، حينما قال[1].

«ويعاقب فاعل نكاح المتعة، ولكن لا يحد. لأن له شبهة القول بالجواز، كما نقل عن ابن عباس، وان كان نقل عنه أيضاً أنه عدل عن القول بالجواز.

---

[1] ــ المصدر السابق ص٩٢.

وقد روى بعض أئمة المالكية أن رجوع ابن عباس عن هذا هو المشهور، ومع ذلك فلا حدّ فيه، لما فيه من شبهة».

ويمكننا القول أيضاً، أن كلامه عن عدم وصول خبر النسخ إلى ابن عباس، هو تخرص لا دليل عليه.. إذ كيف ينطبق هذا الكلام على أحد علماء الصحابة، وكبار قرائها، وهو من عرف عند أهل السنة، بالحبر البحر.. فلا يعقل من أحد قراء الجيل الأول، العارفين بأحكام القرآن، وما نسخ منه وما لم ينسخ، أن يغفل عن خبر النسخ، الذي نقله أهل المناكير، ممن لاحظ لهم في علم ولا صحبة ولا قرابة.. كيف يعلم بالنسخ من لم يحتفل بهم أهل الحديث، ولا عرفوا بالعلم والدراية، ويغفل عنها أحد العلماء الذين اعترف الرسول(ص) بقراءتهم وعلمهم، وسماه: حبر هذه الأمة!.

أفيجوز على حبر الأمة أن ينسى أو يجهل ما اشتهر عند الصحابة؟!.

يورد صاحب كتاب «الشيعة والمتعة» حديثاً عن ابن عمر أنه سئل عن المتعة، فقال: حرام، فقيل: إن ابن عباس لا يرى بها بأسا. فقال: وا لله لقد علم ابن عباس أن رسول ا لله(ص) نهى عنها يوم خيبر. وهو نص أورده الهيثمي في مجمع الزوائد..

لاشك في أن اللبيب قد يكشف أن ابن عباس لم يكن ليجهل حكماً كهذا، خصوصاً وأنه ظل مصراً عليه ومدافعاً عنه.. وقد استدل بعضهم بأن ابن عمر أقسم با لله على علم ابن عباس بها.. فكيف، يدعي شيخنا، أن سبب رجوعه عنها، عدم توصله بخبر النسخ.. وما منع ابن عباس أن يقبل بالأحاديث التي تكاثرت في زمانه واحتج البعض ببعض المرويات التي ردها بقوة، بل وحصل فيما بينه وجماعات جدل شديد في ذلك الخصوص..

وقد حاول الشيخ من جهة أخرى، أن يدلس في كلام ابن عباس، بخصوص تشبيه هذا الأخير زواج المتعة بأكل الميتة والدم ولحم الخنزير، وأول ذلك على أساس الإمعان في الحرمة.. بيد أن المشهور من كلام ابن عباس الذي يبدو أن شيخنا تعمد

اقتطاعه من سياقه، أنه قرنها بهذه الأمور، لجهة اشتراكهما في ظرف الضرورة.. إذ أن هذه الأمور رغم حرمتها فهي مباحة عند الضرورة.. فكذلك المتعة، كانت مباحة للضرورة.. وقول ابن عباس، هو أنه ما قال بها إلاّ من باب الضرورة، كشأن الميتة والدم ولحم الخنزير عند الضرورة.. والفرق واضح بين المعنيين..

فقد روي عن سعيد بن جبير أنه قال: قلت لابن عبّاس أتدري ما صنعت وبما أفتيت؟ سارت بفتياك الركبان، وقالت فيه الشعراء، قال، وما قالوا: قلت قالوا:

أقول للشيخ لما طال مجلسه	ياصاح هل لك في فتيا ابن عباس
ياصاح هل لك في بيضاء بهنكة	تكون مثواك حتى مصدر الناس

فقال: إنّا لله وإنا إليه راجعون! والله ما بهذا أفتيت ولا هذا أردت ولا أحللت منها إلاّ ما أحلّ الله من الميتة والدم ولحم الخنزير[1].

إن الحديث وإن كان فيه نظر، لما عرف عن سعيد بن جبير، أنه أتى المتعة بمكة، يكشف لنا عن تحريف الشيخ لسياقه.

ولهذا نجد صاحب «الشيعة والمتعة» يقول: «وابن عباس رضي الله عنهما كان ممن يجيز نكاح المتعة، وهذا هو المشهور عنه»[2].

وذلك خلافاً لما ذهب إليه الشيخ في كون المشهور هو رجوع ابن عباس عنها.. ولهذا نجده على الرغم من ادعائه لشهرة رجوع ابن عباس عنها، لا يجيز الحد على من أتاها، لوجود الشبهة.. فأي شبهة تبقى ــ إذن ــ بعد قطع الشيخ بشهرة رجوع ابن عباس عنها، لولا أنه بقي في نفس الشيخ شيء من حتى!

---

[1] - سنن البيهقي ج٧ ص٢٠٥ ط الهندي ١٣٥٤هـ.

[2] الشيعة والمتعة ص٨٩ ــ ٩٠.

الباب الثاني :

الوهابية وهوس التكفير:
أصول الدين عند الشيعة الإمامية

الوهابية وهوس التكفير

إن العداء الذي أكنته الوهابية، ولا تزال، للشيعة، قد تجاوز حدود الخلاف، وكل ما هو اعتقادي، ليصبح في النتيجة عداءً تاريخياً، أفقد الأمة الكثير من فرص وإمكانيات التعايش والوحدة في المصير الإسلامي المشترك. كما أخر جهود الطيبين من إخواننا السنة في محاولاتهم للتقريب بين المذاهب الإسلامية..

وتبدأ المشكلة من موقف الوهابية من الأمة الإسلامية. إذْ تعتبر نفسها أكثر التيارات فهماً للتوحيد، والأكثر احتكاراً للمفهوم السلفي في هذا العصر. مع أن الوهابية من حيث نشأتها التاريخية المشبوهة إلى حد ما، كانت من أكثر الاتجاهات غرقاً في التشبيه والتجسيم. وقد غالى علماؤهم وعاميوهم، في التجديف ضد الشيعة، وأنكروا عليهم أي ميزة دينية، وأخرجوهم من أهل التوحيد. بل وصموهم بشتى النعوت؛ بالفسوق تارة، وأخرى بالكفر والمروق!.

ولأن الوهابيين وجدوا أنفسهم عاجزين عن تقديم أدنى حجة على ما هم عليه من مواقف وأفكار.. فقد غلقوا الأبواب، واكتفوا بالتجديف والسباب.. ورفضوا أي دعوة للحوار أو الإستجابة لعقد مؤتمر من أجل بحث المسائل الكبرى محل الاختلاف بين المذاهب الإسلامية. ولسان حالهم، طموحهم في أن يتواطأ العالم الإسلامي قاطبة ـ ذلك العالم الذي حاربوه وكفروا أهله وسبوا نساءه ـ لإسكات الشيعة عن الحديث عن عقائدهم، وأن تنطلق الدعوة الوهابية بنشاط زائد. هذا هو ما يتمناه الوهابيون. وإنها لعمري، قسمة ضيزى، لم نر لها شبيهاً حتى في مواقف الوحي مع

الكفار. وكأن قروناً من التقتيل والحصار، لهذه الطائفة لم يكف لإقناع الناس بتهافت عقائدها..

في تقرير له تحت عنوان: واقع الرافضة في بلاد التوحيد، تقدم المدعو ناصر بن سليمان العمر بمذكرة لأصحاب الفضيلة أعضاء هيئة كبار العلماء بالمملكة السعودية، يقول:

«ثالثاً: إيقاف جميع علماء ودعاة وملالي الرافضة: وفرض الإقامة الجبرية عليهم، ومنعهم من التدريس، أو الحديث إلى الناس في مجامعهم ومنتدياتهم، أو تأليف الكتب وكذا سائر الأنشطة الأخرى، وإيقاع العقوبة الرادعة لمن يثبت منه مخالفته لذلك».

ثم يكمل كلامه بقوله:

«سابعاً: أن ينتدب طائفة من العلماء وطلبة العلم أنفسهم لتلك المنطقة»

«ثامناً: أن يكثف أهل السنة نشاطهم الدعوي، ببث الدعاة في جميع الأوساط لتبليغ المعتقد السلفي السليم من شوائب الابتداع ــ وبخاصة في مناطق وجود الرافضة».

وجاء في مقدمة البحث الذي تقدم به «عبدا لله بن سعيد بن عبدا لله المطلبي» وهو من المملكة السعودية: تحت عنوان، «الرافضة وخرافة عيد الغدير»:

«لم يواجه الإسلام عقبة كؤوداً مثل عقبة الرافضة الباطنية، ولعل من لا يعلم معتقد الرافضة وخبثهم يقول هذه مبالغة، بل لا أحد مثلا ينطبق عليه الصراع بين الرافضة والإسلام إلا أن أقول وأنا أعي ما اقول: إن الرافضة الباطنية سرطان في كبد الإسلام».

ويقول صاحب «وجاء دور المجوس»:

«إن شيعة اليوم أكثر سوءاً من شيعة الأمس، وإن مذهبهم ما قام في الأصل إلاّ لنقض عرى الإسلام، وزعزعة أركان هذا الدين، وإشاعة الفرقة بين المسلمين، ولا

وحدة أو وفاق بيننا وبينهم إلا إذا عادوا إلى جادة الحق وتخلوا عن شركياتهم ووثنياتهم»[1].

ويزداد هذا التشنج شدة في قول صاحب تبديد الظلام:

«والآن ما رأيك أيها القارىء الكريم إذا لم تكن شيعياً، أعني أنك لم تكن ابن متعة. ألا ترى معي أن جهاد هؤلاء السفلة. أحب إلى الله من جهاد اليهود والنصارى، والمجوس، وعبدة الأوثان؟ ألا ترى أننا في حاجة إلى مائة ألف (حجاج) على شاكلة الحجاج بن يوسف الثقفي، ومائة ألف (يزيد) على شاكلة يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، ليطهروا الأرض من هذه الأرجاس المنتنة. أشهد أن الله كان رحيماً بعباده. حينما خذل هذه الطغمة الشريرة وأزال كابوسها عن رقاب عباده»[2].

ويقول في مورد آخر:

«إن (طائفة الشيعة الإمامية) ياسادتي يتدينون بدين لا يمت إلى الإسلام إلاّ بصلة واهية هي أشبه ما تكون بخيط العنكبوت. لا بل إنه دين يقف مع الإسلام على طرفي نقيض»[3].

«.. لأن الاختلاف بيننا يبدأ من الأصول بل هو في أصل الأصول وهو (التوحيد) أي أن الاختلاف بيننا وبينهم هو كالاختلاف بين الإسلام والوثنية»[4].

ويقول أيضاً:

«إنكم ـ أي الشيعة ـ منشقون عن الأمة الإسلامية، منابذون لها، وأنتم في حكم المرتدين حتى ترجعوا إلى حظيرة الإسلام»[5].

---

(1) - وجاء دور المجوس، د. عبدالله محمد الغريب ص١٣١، ١٩٨١م. لا عنوان للناشر.

(2) - تبديد الظلام وتنبيه النيام، الجبهان ص٣٥٢، سبق ذكر المصدر.

(3) - المصدر السابق ص٤٩١.

(4) - المصدر السابق ص٥٠٢.

(5) - المصدر السابق ص٢٧٤.

«هل يشك في كفر هؤلاء، إلاّ من كان مجوسياً مثلهم»[1].

ولا يكتفي الجبهان بهذا، بل هو يدعو الشيعة أن تتبرأ من الإسلام، وإنها إذا ما فعلت ذلك، فسوف يحجم كاتبنا عن التدخل في شؤونهم:

«كنا نتمنى أن يعلن الشيعة براءتهم من الإسلام، وليس لنا أن نتدخل في شؤونهم بعد ذلك إلاّ بمقدار ما يسمح به الإسلام من توجيه ونصح وإرشاد (...) وإذا لم يعلنوا براءتهم من الإسلام فلا ولا كرامة»[2].

على هذه الوتيرة سارت خطابات زعماء الوهابية، تنثر السموم، وتذكي الفتنة والطائفية، بالتحريض والاستفزاز.. إلى أن دعى بعضها إلى طرد الشيعة من الجزيرة العربية وإباحة دمائهم، وتحريم ذبائحهم وإلحاقهم بالمشركين واليهود والنصارى[3].

إن سبب هذه الهجمة المسعورة على الشيعة من قبل الزعماء الوهابيين راجع إلى طبيعة هذا التيار السلفي، الذي جعل من ابن تيمية مرجعاً وحيداً لفهم الإسلام، ومن ممارسات ابن عبدالوهاب، نموذجاً للدعوة الإسلامية.. وبين الرسول(ص) وابن تيمية حتى ابن عبدالوهاب، آلاف ومئات وعشرات العلماء والشيوخ والمذاهب.. كلها وضعها الوهابيون على الرفوف، واختزلوا الإسلام في ما ظهر من حديث الرسول(ص) وما أورده الحشوية وتأويلات ابن تيمية..

فلقد جاء في قول: د. وليد الطويرقي: «الدكتور غازي القصيبي يريد تشبيه علمائنا الأفاضل بعلماء الرافضة.. إن قضية ولاية الفقيه حلّ لمشكلة يعيشها الرافضة.. لايوجد بالمملكة خميني، ولكن يوجد أتباع المصطفى(ص) أحفاد ابن تيمية وابن عبدالوهاب، ينفون عن الدين تحريف الغالين وانتحال المبطلين»[4].

---

(1) المصدر السابق ص٣٢٢.

(2) تبديد الظلام وتنبيه النيام، الجبهان ص٦٠ ـ ٦١.

(3) - راجع ملحق الوثائق، آخر الكتاب.

(4) - الشيعة في المملكة السعودية، حمزة الحسن ج٢ ط١ ص٣٩٩، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م. مؤسسة البقيع لإحياء التراث.

فالقضية إذن تتعلق بموقف خاص ورؤية معينة للإسلام والتوحيد، سعى الوهابيون إلى تعميمها في مختلف بقاع العالم الإسلامي.. ولذلك قاموا بمصادرة مدارس سنية، شافعية وحنفية.. في الجزيرة العربية، وكفروا الكثير من أتباع المصطفى(ص) الذين لم يلتزموا رأي ابن تيمية ولا اقتفوا طريقة ابن عبدالوهاب..

وحتى نعلم أن التكفير لعق على ألسنتهم، ومن أفضل الأوراد التي يتقربون بها إلى الله... فإن شيخهم المفتي الأكبر «بن باز» لم يتردد في اتهام القائلين بدوران الأرض، بالكفر.. ويدخل في ذلك العالم الإسلامي كله، وخصوصاً أبناء أهل السنة الذين يقولون بدوران الأرض على نحو ما هو مسلّم به في العالم كله..

يقول الشيخ بن باز في كتابه: «الأدلة النقلية والحسية على جريان الشمس وسكون الأرض وإمكان الصعود إلى الكواكب»:

«فلم يزل الناس مسلمهم وكافرهم، يشاهدون الشمس جارية طالعة وغاربة، ويشاهدون الأرض قارة ثابتة، ويشاهدون كل بلد وكل جبل في جهته لم يتغير من ذلك شيء. ولو كانت الأرض تدور كما يزعمون، لكانت البلاد والجبال والأشجار والأنهار والبحار لاقرار لها. ولشاهد الناس البلاد المغربية في المشرق، والمشرقية في المغرب، ولتغيرت القبلة على الناس حتى لا يقرّ لها قرار. وبالجملة فهذا القول فاسد من وجوه كثيرة يطول تعدادها»[1] .

أما بخصوص القائلين بدوران الأرض يقول الشيخ بن باز، ردّاً على اعتراض الشيخ محمد محمود الصّواف، الذي استنكر عليه فتواه في تكفير من قال بدوران الأرض والحكم عليه بالردة واستباحة دمه وماله، يقول بن باز:

«القول بأن الشمس ثابتة لا جارية كفر وضلال.. وبينت أني لم أكفر في المقال السابق من قال بدوران الأرض، بل قلت إن في كفره نظر».

---

(1) - المصدر السابق ص٣٩٩.

إذا كان هذا هو حال الوهابية في تكفير المسلمين في كل ما بدا لها مخالفاً لظاهر النص، وفي كل ما لم تستوعبه بعقلها المستقيل.. هل يعقل أن تقبل بالتعايش مع الشيعة!.

لقد سعى زعماء الوهابية إلى محاربة فكرة التقريب، والتحريض على كل مشروع يسعى إلى لمّ شعث المسلمين، وجمع فرقهم.. واستخدموا أحط أنواع الكلام وأخس العبارات في التشكيك بنوايا أهل التقريب، وأصدروا فتاوي تحرم الدنو من الشيعة حتى في قضايا الإسلام المصيرية.. فقد أدلى الشيخ بن باز لمجلة المجاهد، بجواب على السؤال: من خلال معرفة سماحتكم بتاريخ الرافضة، ما هو موقفكم من مبدأ التقريب بين أهل السنة وبينهم؟![1] . قال ابن باز:

«التقريب بين الرافضة وبين أهل السنة غير ممكن، لأن العقيدة مختلفة، فعقيدة أهل السنة والجماعة توحيد ا لله وإخلاص العبادة لله سبحانه وتعالى، وأنه لا يدعى معه أحد، والرافضة خلاف ذلك، فلا يمكن الجمع بينهما، كما أنه لا يمكن الجمع بين اليهود والنصارى والوثنيين وبين أهل السنة، فكذلك لا يمكن التقريب بين الرافضة وبين أهل السنة لاختلاف العقيدة التي أوضحناها».

أما الجبهان الذي ألف كتابه «تبديد الظلام» كرد فعل على كلمة ألقاها سماحة الشيخ محمود شلتوت، شيخ الأزهر: «أن المذاهب الإسلامية الخمسة واحدة جوهراً، واحدة مصدراً، واحدة مورداً وأنه يجوز التعبد بالفقه الشيعي» يقول الجبهان: «والخلاصة، فإنه لا يوجد بين إسلامنا وإسلامهم أي أساس مشترك»[2] .

هذا و لم تلق دار التقريب بين المذاهب الإسلامية، أي احترام أو تقدير، من قبل الجماعات السلفية، ويظهر ذلك مدى تخوفها من وحدة المسلمين، ومن حالة النضج

---

[1] - المصدر السابق ص٣٩٧ ـ ٣٩٨.

[2] - تبديد الظلام ص٤٩١.

التي اصطبغت به خطابات العلماء من الفريقين...

وفي ذلك يقول أحد رحالات السلفية، الجبهان:

«وقد أدركوا أن هذا مما يسهل على المسلمين ضرب بعضهم ببعض. فاخترعوا مهزلة (التقريب بين المذاهب الإسلامية) التي يستهدفون منها التضليل والتعمية. وقد نجحوا في خداع كثير من الأغبياء والمغفلين من علماء المسلمين»[1] .

ولا شك أن الكاتب هنا كان يعني جماعة من كبار علماء أهل السنة، الذين ساندوا مشروع التقريب وساهموا في ردم هوة الخلاف بين المذاهب، مثل شيخ الأزهر محمود شلتوت، الشيخ الباقوري، الشيخ سابق، الشيخ الغزالي، الشيخ القرضاوي.. وقد كان الجبهان في كتابه السابق، أدرج صورة لخطاب موجه إلى الشيخ محمود شلتوت جاء فيه:«لقد سبق أن أرسلت لسماحتكم نسخة من المنشور المرفق والموجه إلى علماء المسلمين. ولعلمي أن بدعة (التشيع) قد بدأت تتسرب إلى حرم الجامع الأزهر عن طريق ما يسمى (بدار التقريب بين المذاهب الإسلامية) والتي كان يجب أن تسمى (دار التخريب أو السفارة الإسرائيلية)»[2] .

و لم يخف الجبهان وهو واحد من عشرات بل مئات ـ مشاعره التي لا يفارقها سوء الأدب وانحطاط الأسلوب.. إذْ نعت مشروع التقريب، بما لا يليق بسمعة العلماء. وهب، أننا اعذرناه في ما قاله في حق الشيعة.. كيف نعذره في ما قاله في حق أهل السنة... لذا يقول:

«إن الميوعة الفكرية هي التي شجعت عملاء الماسونية الكافرة، بأن يؤسسوا بين ظهرانينا، وتحت أسماعنا وأبصارنا، وفي أعزّ بقعة تتطلع إليها أنظارنا ـــ في القاهرة ـــ داراً للنصب والاحتيال، وممارسة الدعارة المذهبية، أسموها: (دار التقريب بين المذاهب

---

[1] - المصدر السابق ص٥٠٥.

[2] المصدر السابق ص٥٠٢.

الإسلامية)»[1].

يقول ردّاً على كاشف الغطاء النجفي: «إن للشيعي يا أيها المكشوف الغطاء ذنباً وحوافر وإنه يمشي على أربع وإن تراءى للناس أنه يمشي على اثنتين، ومن لم يعتقد هذا، من العارفين بحقائقهم، فانه منهم رضي أم كره»[2].

إن نصاً كهذا يكشف عن الموقف المبطن للوهابية تجاه أهل السنة أنفسهم إذْ المغزى من العارفين الذين لا يعتقدون أن للشيعة أذناباً وحوافر، هم كل العقلاء من أهل السنة والجماعة.. وخصوصاً علماؤها الذين تصدوا لهذه الافتراءات مثل الشيخ شلتوت، والشيخ الغزالي، وأمثالهم.. هؤلاء في رأي الجبهان، رضوا أم كرهوا، فإن لهم أذناباً وحوافر، ما داموا لا يعتقدون بذلك في حق الشيعة..

---

[1] - المصدر السابق ص١٩.

[2] - المصدر السابق ص٦٠.

أصول الدين عند الشيعة الإمامية

لقد عرفنا حتى الآن طبيعة افتراءات الوهابيين ضد الشيعة الإمامية، وتعرفنا على أسلوبهم الموغل في الحشو والتدليس.. إذْ يتحول عندهم النقاش إلى معركة لا تبقي ولا تذر، لايخرج منها الإنسان إلا بعد أن يستمع إلى ما يسفه أحلامه، ويلبس على وجدانه..

وحجتهم أن الشيعة ليسوا من أهل التوحيد... وأن نحلتهم لا علاقة لها بالإسلام.. ولا شك أن الوهابيين لا يريدون أن يفهموا شيئاً خارج الخطاطة التي ورثوها عن محمد بن عبدالوهاب. ولا يعتقدون أن الإسلام وتاريخه لهما أكبر من رؤية ابن تيمية وفتاويه..

إن ما آخذوا عليه الشيعة، لم يكن بذلك الحجم.. فأصول الدين عندهم محددة ومعينة، وبها يصبح المسلم مسلماً، والشيعي شيعياً.. وهي الأساس الذي يجب أن يبني عليه الشخص مواقفه من هذا المذهب أو ذاك.

إن أصول الدين عند الشيعة هي نفسها أصول أهل السنة والجماعة. إنما الخلاف هو في إضافة أصل الإمامة عند الشيعة، حيث كانت أصولهم خمسة فيما اقتصر العامة على أربعة.. واختلفوا فيما إذا كانت الإمامة من الأصول أم الفروع.. وأيّا كان الأمر، فهذا لا يدعو إلى إعلان الحرب على الشيعة وقذفهم بالكفر، إذْ لا

معنى لذلك..

أما ما يتعلق بطبيعة التصور الخاص لهذه الأصول، فإن خلافات الشيعة مبنية على موقف معين من النص وموقف عقلي من قضية الخالق.. فالشيعة لا يعتقدون أن النصوص هي ما ظهر منها فقط.. ولا يقتصرون على ظاهر النصوص كما هو شأن الظاهرية.. بل يعتبرون أن للنص ظاهراً وباطناً، وهذا يفتح باباً للتأويل ، كما هو مشهور في التراث الإسلامي، وكما اشتهر في عهد الرسالة الأول.. أما الموقف من الخالق، فهو موقف التنزيه ونفي الإمكان عن ذاته تعالى..

إن عرضاً موجزاً لأصول الدين عند الشيعة، يكشف أن هؤلاء كانوا حقاً من أهل التوحيد، والأكثر دفاعاً عنه. وهم ما خالفوا غيرهم إلاّ لتمسكهم بتنزيه الخالق تعالى ونفي الشريك عنه كما سوف نرى!..

◆ التوحيد

للشيعة رأي في التوحيد، مثل ما للفرق الإسلامية الأخرى.. وهو موقف ينبني على فهم معين للإسلام وموقف معين من النص، وأيضاً يقوم على الاعتبار العقلي. وهم لذلك اعتبروا أنفسهم أهل التوحيد، وهو الوصف ذاته الذي عرف به المعتزلة، مع الفارق في النظر..

وليس خلاف المسلمين جميعاً شيعة وسنة، ولا حتى سلفية، يجري في خصوص التوحيد بالمعنى العام والظاهري، مثل الاعتقاد بآلهة أخرى لها نفس الخصائص الإلهية.. فهذا النوع من الشرك مما حاربه المسلمون جميعاً، ولا وجود لمسلم يعتقد بأن مع الله آلهة أخرى.. إنما الخلاف وقع بعد أن توسعت الرقعة الإسلامية، وتداخلت مع ثقافات وديانات وفلسفات كانت لها مواقف وتصورات معينة للخالق.. بحيث أثيرت وللمرة الأولى قضايا فيها نوع من التعقيد، كعلاقة الخالق بالمخلوق، ومسألة العلاقة بين

الذات والصفات، ومفهوم الوحدة والاتحاد.. فهذه قضايا شهدها العالم الإسلامي في فترة لاحقة، وقد كان من واجب العلماء التصدي لها بقوة، وإعطاء رأي الإسلام فيها، من هنا أصبح علم الكلام ميداناً حيوياً، وسلاحاً يراد منه تحصين التصور الإسلامي للمسألة الإلهية وما يتفرع عنها من موضوعات..

من هنا، لسنا في حاجة للتطرق إلى معالجة قضية التوحيد، بالمعنى البسيط الذي يقابله الشرك. فذلك موضوع ليس محل خلافنا كما سبق القول، إذ يكفي من ذلك عرض نصوص الكتاب والسنة التي جاءت ظاهرة محكمة بما ينفي عنه تعالى الشريك، وبما يعطي تصوراً كاملاً ودقيقاً لمسألة التوحيد..

فما هي ـ إذن ـ عقيدة الشيعة في التوحيد، وما هي حيثيات ومقومات هذا الاعتقاد؟.

تتلخص عقيدة الشيعة الإمامية في الله تعالى في أنه واحد ليس كالآحاد، لا شبيه له، ولا صاحبة ولا ولد، ولا ند له ولا شريك... له الأسماء الحسنى، وصفات الكمال التي لا يزاحمه فيها غيره، منزه عن كل صفة تسلب عنه الكمال.. لا يدرك بالأبصار، ولا يحد ولا يشار إليه.. وذاته المتعالية لا تدرك بالعقول ولا تحيط بها الأوهام، فكل تصور نسجته الأوهام حوله يعود إلى المخلوق، ولا يصدق على الخالق. لعلو شأنه وغموض سره.. ذاته متعالية لا يمكن وصفها بالحركة والسكون، أو الجوهر والعرض، أو بما توصف به المخلوقات في عالم الإمكان..

ويقوم هذا النوع من الاعتقاد على أساس ما دلت عليه نصوص القرآن والسنة النبوية، ويتأكد من خلال نصوص أئمة أهل البيت:

قال الإمام علي(ع): «الحمد لله الذي لا يبلغ مدحته القائلون، ولا يحصي نعماءه العادون، ولا يؤدي حقه المجتهدون، الذي لا يدركه بعد الهمم، ولا يناله غوص الفطن، الذي ليس لصفته حدّ محدود، ولا نعت موجود، ولا وقت محدود، ولا أجل

ممدود، فطر الخلائق بقدرته، ونشر الرياح برحمته، ووتّد بالصخور ميدان أرضه. أول الدين معرفته، وكمال معرفته التصديق به وكمال التصديق به توحيده، وكمال توحيده الإخلاص له، وكمال الاخلاص له نفي الصفات عنه، لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف، وشهادة كل موصوف أنه غير الصفة(..)، من أشار إليه فقد حدّه، ومن حدّه فقد عدّه، ومن قال «فيم» فقد ضمنه، ومن قال «علام»؟ فقد أخلى منه. كائن لا عن حدث، موجود لا عن عدم مع كل شيء لا بمقارنة، وغير كل شيء لا بمزايلة، فاعل لا بمعنى الحركات والآلة، بصير إذ لا منظور إليه من خلقه، متوحد إذ لا سكن يستأنس به ولا يستوحش لفقده»[1].

وعن محمد بن يعقوب، عن علي بن إبراهيم عن محمد بن عيسى، عن عبدالرحمان بن أبي نجران قال: سألت أبا جعفر(ع) عن التوحيد فقلت: أتوهم شيئاً؟ فقال: نعم غير معقول ولا محدود، فما وقع وهمك عليه من شيء فهو خلافه، لا يشبهه شيء ولا تدركه الأوهام، كيف تدركه الأوهام وهو خلاف ما يعقل، وخلاف ما يتصور في الأوهام؟! وإنما يتوهم شيء غير معقول ولا محدود»[2].

وعن أبي عبدالله(ع) أنه قال للزنديق حين سأله: ما هو؟ قال: هو شيء بخلاف الأشياء أرجع بقولي إلى إثبات معنى وأنه شيء بحقيقة الشيئية، غير أنه لا جسم ولا صورة ولا يحس ولا يجس ولا يدرك بالحواس الخمس، لا تدركه الأوهام ولا تنقضه الدهور ولا تغيره الأزمان، فقال له السائل: فتقول: إنه سميع بصير؟ قال: هو سميع بصير: سميع بغير جارحة وبصير بغير آلة، بل يسمع بنفسه ويبصر بنفسه، ليس قولي: إنّه سميع يسمع بنفسه وبصير يبصر بنفسه أنّه شيء والنفس شيء أخر، ولكن

---

[1] - نهج البلاغة، الخطبة الأولى.

[2] - مرآة العقول، الشيخ محمد باقر المجلسي، كتاب التوحيد ج١ ص٢٨١ ــ ٢٨٢ دار الكتب الإسلامية ط٣/ تهران.

أردت عبارة عن نفسي إذ كنت مسؤولاً، وإفهاماً لك إذ كنت سائلاً، فأقول: إنه سميع بكلّه لا أنّ الكلّ منه له بعض ولكنّي أردت إفهامك والتعبير عن نفسي وليس مرجعي في ذلك إلاّ إلى أنه السميع البصير العالم الخبير بلا اختلاف الذات ولا اختلاف المعنى.

قال له السائل: فما هو؟ قال أبو عبدا لله(ع) هو الربّ وهو المعبود وهو ا لله وليس قولي: ا لله إثبات هذه الحروف: ألف ولام وهاء، ولاراء، ولا باء ولكن أرجع إلى معنى وشيء خالق الأشياء وصانعها ونعت هذه الحروف وهو المعنى سميّ به ا لله والرحمن والرحيم والعزيز وأشباه ذلك من أسمائه وهو المعبود جلّ وعزّ.

فقال له السائل: فإنّا لم نجد موهوماً إلاّ مخلوقاً، قال أبو عبدا لله(ع): لو كان ذلك كما تقول لكان التوحيد عنّا مرتفعاً لأنّا لم نكلف غير موهوم، ولكنّا نقول: كلّ موهوم بالحواس مدرك بها تحدّه الحواس وتمثله فهو مخلوق، إذ كان النفي هو الإبطال والعدم، والجهة الثانية: التشبيه إذ كان التشبيه هو صفة المخلوق الظاهر التركيب والتأليف، فلم يكن بدّ من إثبات الصانع لوجود المصنوعين، والاضطرار إليه أنهم مصنوعون وأنّ صانعهم غيرهم وليس مثلهم إذ كان مثلهم شبيهاً بهم في ظاهر التركيب والتأليف وفيما يجري عليهم من حدوثهم بعد إذ لم يكونوا وتنقّلهم من صغر إلى كبر وسواد إلى بياض وقوة إلى ضعف وأحوال موجودة لا حاجة بنا إلى تفسيرها لبيانها ووجودها»[1] .

عدّة من أصحابنا عن أحمد بن محمد بن خالد، عن بعض أصحابنا عن عليّ بن عقبة بن قيس بن سمعان بن أبي ربيعة مولى رسول ا لله(ص) قال: «سئل أمير المؤمنين(ع) بم عرفت ربّك؟ قال: بما عرفني نفسه، قيل: وكيف عرّفك نفسه، قال: لا

---

(1) - المصدر السابق ج١ ص٢٨٢ ـ ٢٨٥ ـ ٢٨٦ ـ ٢٨٧ ـ ٢٨٨ ـ ٢٩٠ ـ ٢٩١.

يشبهه صورة ولا يحس بالحواس ولا يقاس بالنّاس، قريب في بعده، بعيد في قربه، فوق كلّ شيء ولا يقال شيء فوقه. أمام كلّ شيء ولا يقال له أمام، داخل في الأشياء لا كشيء داخل في شيء، وخارج من الأشياء لا كشيء خارج من شيء، سبحان من هو هكذا ولا هكذا غيره ولكلّ شيء مبتدأ»[1] .

وتوحيد الله معناه نفي الشريك عنه، سواء أكان هذا الشريك ذاتاً ظاهرة في الندية، كالاعتقاد بغير الله في معنى الخالقية والرازقية وغيرها.. أو بالاعتقاد بصفات له مفارقة، على نحو يجعلها صفات قائمة بذاتها، ومتكثرة.. ولهذا السبب هم يعتقدون أن التوحيد، يجب أن يكون في ذات الله تعالى، وأيضاً في صفاته.. ومبعث قولهم هذا أن الله هو واجب الوجود وأصل الوجود.. إذ لا حاجة له تعالى إلى موجد، كما لا يتوقف وجوده على الوجود.. فوجوده هو عين ذاته.. وكونه واجب الوجود يقتضي فهماً منسجماً ومنزهاً لصفاته.. إن صفات الله تعالى ليست غير ذاته على نحو الاستقلال لكنها ثابتة خلافاً لمن قال بالنيابة من المُعْتزلة، وخلافاً للإسماعيلة الذين رأوا أنه تعالى فوق الوجود والعدم، ذات غامضة لا تدرك ولا توصف.. وإنما صفاته عين ذاته، غير زائدة، وواحدة في حقيقتها للزومها للذات، مختلفة في مفهومها وتجلياتها، لا متكثرة في وجودها. فالله قادر وحي وعالم.. وقدرته هي حياته وحياته هي علمه.. ولا تختلف هذه الصفات إلا من خلال آثارها على المخلوق..و لله تعالى صفات كمالية وثبوتية هي عين ذاته لاستلزام القول بالزيادة الوقوع في القول بالشريك وتعدد القديم.. وأيضاً له صفات سلبية جلالية تسلب عنه الإمكان، كالجسمية والحركة وما شابه ذلك..

ويتلخص ذلك في قول الإمام(ع) في نهج البلاغة:

«وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه، بشهادة كل صفة أنها غير الموصوف

---

(1) المصدر السابق ص٢٩٩ ـ ٣٠٠.

وشهادة كل موصوف أنه غير الصفة، فمن وصفه سبحانه فقد قرنه، ومن قرنه فقد ثناه، ومن ثناه فقد جزأه ومن جزأه فقد جهله». وكلام أمير المؤمنين هنا، ليس معناه نفي الصفات، لما تقدم من كلامه. أي أنه يثبت الصفات ولكنه ينفي استقلالها عن الذات، وقد جاء في قول الأئمة:

ـ عن أبي عبدا لله(ع) قال: من عبدا لله بالتوهم فقد كفر ومن عبد الاسم دون المعنى فقد كفر، ومن عبد الاسم والمعنى فقد أشرك، ومن عبدالمعنى بإيقاع الأسماء عليه بصفاته التي وصف بها نفسه فعقد عليه قلبه ونطق به لسانه في سرائره وعلانيته فأولئك أصحاب أمير المؤمنين(ع) حقاً.

قال أبو عبدا لله(ع): «ومن عبد الاسم دون المعنى فقد كفر و لم يعبد شيئاً، ومن عبد الاسم والمعنى فقد كفر وعبد اثنين، ومن عبد المعنى دون الاسم فذاك التوحيد أفهمت ياهشام؟ قال: فقلت: زدني، قال: إنّ لله تسعة وتسعين اسماً فلو كان الاسم هو المسمى لكان كلّ اسم منها إلهاً، ولكن لله معنى يدل عليه بهذه الأسماء وكلها غيره، ياهشام الخبز إسم للمأكول والماء أسم للمشروب والثوب اسم للملبوس والنار اسم للمحرق أفهمت ياهشام فهماً تدفع به وتناضل به أعداءنا والمتخذين مع ا لله جلّ وعزّ غيره؟ قلت: نعم قال: نفعك ا لله به وثبتك ياهشام، قال هشام فوا لله ما قهرني أحد في التوحيد حتى قمت مقامي هذا»[1] .

ولعل الخلاف بين الشيعة والأشاعرة هنا وكذلك باقي أهل السنة، هو في قولهم باتحاد الصفات مع الذات وعدم جواز الرؤية عليه تعالى، رغم أن النصوص تعرضت لصفات ا لله وأثبتت اليد والوجه والساق وما شابه. ويقولون بأن ذلك ثابت ولسنا مطالبين بفهم هذه الأمور... لكن الشيعة ينطلقون من أن العقل وإن كان غير قادر على الاحاطة بذات الخالق تعالى، إلاّ أن معرفة العقل به أمر واجب على المكلفين.. إذ

---

[1] - المصدر السابق/ ص٣٠٤ ـ ٣٠٥ ـ ٣٠٦.

لا يقوم إيمان أو اعتقاد من دون العقل.. وأن الوحي استند قبل النص، على عقول الناس في التصديق بالرسل ووجود الخالق ونفي الشريك.. ولهذا جاء في قول الأئمة. فعن هشام بن الحكم قال: قال لي أبو الحسن موسى بن جعفر(ع): ياهشام إنّ ا لله تبارك وتعالى بشر أهل العقل والفهم في كتابه فقال: **﴿فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم ا لله وأولئك هم أولوا الألباب﴾** ياهشام إن ا لله تبارك وتعالى أكمل للناس الحجج بالعقول، ونصر النبيين بالبيان، ودلهم على ربوبيته بالأدلة، فقال: **﴿وإلهكم إله واحد، لا إله إلاّ هو الرحمن الرحيم، إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس، وما أنزل ا لله من السماء من ماء فأحيى به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخّر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون﴾**[1].

وعن أبي عبدا لله(ع) قال: حجة ا لله على العباد النبيّ، والحجّة فيما بين العباد وبين ا لله العقل»[2] .

إن إثبات هذه الصفات لله يؤدي إلى سلب الكمال عنه وهو الذي لا يشبهه أحد، ولا تدركه الأبصار. إنما تأويل هذه الآيات، معناه صرفها عن ظاهرها القرآني الذي من طبيعته اعتماد المجاز والكنايات، وتفسيرها بما تدل عليه في حقيقتها..

إن إثبات الرؤية هو مما ينقض قول ا لله تعالى: **﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار﴾** إذ "لا" هنا تفيد نفي الرؤية عنه أصلاً. هذا مع أن إثبات الرؤية معناه إثبات الحيز والجهة، وقد سبق أن ا لله لا يوصف ولا يشار إليه ولا يتحيز.. لأن في ذلك سلباً لواجبيته في الوجود وإثبات الإمكان عليه تعالى.. فإن افتراض الرؤية وتجويزها

---

[1] - المصدر السابق: كتاب العقل والجهل ج١ ص٣٨ - ٣٩ - ٤٠.

[2] - المصدر السابق/ ص٨٠.

عليه يقتضي تعين الجهة. والتحيز من مصاديق الجهة، وفيه تحديد لذاته.. وهو الذات المتعالية التي لا جهة لها ولا حيز يحتويها ولا حد لها..

لقد شط بعض الحشوية الحنابلة حين أثبت لله تعالى هذه الصفات السالبة لكماله تعالى، حيث جاء في رواية عبدالله بن خليفة قال: جاءت امرأة إلى النبي فقالت: ادع الله أن يدخلني الجنة قال: فعظم الرب وقال وسع كرسيه السماوات والأرض إنه ليقعد عليه فما يفضل منه إلا قيد أربع أصابع وإن له أطيطاً كأطيط الرحل إذا ركب»[1].

وفي إثبات اليد له تعالى، جاء في رواية الحشوية: «حدثنا إسحاق بن سليمان حدثنا أبو الجنيد شيخ كان عندنا عن جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير أنهم يقولون أن الألواح من ياقوتة لا أدري قال حمراء أولا وأنا أقول سعيد بن جبير يقول: إنها كانت من زمردة وكتابتها الذهب وكتبها الرحمان بيده ويسمع أهل السماوات صرير القلم»[2].

وجاء في رواية لحميد عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله(ص): «لما تجلى ربه للجبل، رفع خنصره وقبض على مفصل منها، فانساخ الجبل، فقال حميد: أتحدِّثُ بهذا؟ فقال: حدثنا أنس عن النبي(ص) وتقول: لا تحدث به»[3].

ويروى عن أبي خزيمة عن عبدالله بن أبي سلمة، أن عبدالله بن عمر بن الخطاب بعث إلى عبدالله بن عباس يسأله: «هل رأى محمد(ص) ربه؟ فأرسل إليه عبدالله بن عباس أن نعم، فرد عليه عبدالله بن عمر رسوله أن كيف رآه؟ قال: فأرسل إنه رآه في روضة خضراء دونه فراش من ذهب على كرسي من ذهب يحمله

---

(1) - العلوم لعلي الغفاري الذهبي شمس الدين محمد بن أحمد ص٣٩.

(2) - السنة، عبدالله بن أحمد، ص٧٦ ط١ - ١٩٨٥ دار الكتب العلمية بيروت.

(3) - المصدر نفسه ص١٨٤.

أربعة من الملائكة ملك في صورة رجل وملك في صـورة ثـور وملـك في صـورة نسـر وملك في صورة أسد»[1] .

لا شك أن أساس التشبيه والتجسيم هو هذا الفيض مـن الأخبـار الـتي اختلقهـا أهل الحشو ليجدوا بذلك صوراً تجسد لهم هذه الـذات الإلهيـة المتعاليـة، الـتي لم تحـط بسرها العقول، وتتعالى على التمثيـل والتجسيـم.. لقـد ثقـل عليهـم أن يتصـوروا الله تعالى على نحو من التجريد المطلق على عكـس مـا يوصـف بـه المخلـوق.. وعـن هـذا التشبيه الـذي يرجـع إلى فهـم سـطحي وحـرفي للنصـوص الغارقـة في الكنايـات والاستعارات، ابتعد الشيعة وباقي المنزهة..

إن معرفة الله تعالى شـيء متيسـر للعقـل في النطـاق المجهـول لـلإدراك العقلـي. فمعرفته تعالى مما أوجبه على الناس.. غير أن العقول لا تبلغ سره وحقيقته، وهـذا هـو الإيمان. من هنا قول الإمام علي(ع):

«لم يطلع الله سبحانه العقول على تحديد صفته ولم يحجبها عن واجب معرفتـه وقوله: «غوص الفطن لا يدركه وبُعد الهمم لا يبلغه».

«لم تره سبحانه العقول فتخبر عنه بل كان تعالى قبل الواصفين له»[2] .

ولعل الناظر هنا يكشف عن أسباب اتهام الوهابية للشيعة، وهـو نفسـه الاتهـام الذي أوردوه في حق كل المنزهة.. إنهم أخرجوا الشيعة من أهـل التوحيـد، لأنهـم، لا يرون لله يداً شبيهة بمخلوقاته، ولا سمعاً كسمعهم.. فالإمام الصـادق(ع) يقـول: «لم يزل الله جل وعز ربنا والعلم ذاته ولا معلوم والسمع ذاته ولا مسـموع والبصـر ذاتـه ولا مبصر والقدرة ذاته ولا مقدور»[3] .

---

(1) التوحيد لابن خزيمة ص١١٣.

(2) - نهجنا في الحياة ٣٩ مصدر سابق.

(3) - بحار الأنوار ج٢ ص١٥٢.

إن التوحيد الذي أصبح يمثل قميص عثمان بالنسبة للوهابية، ليس إلاّ ورقة دون مصداق.. فقدكان التوحيد الذي تروج له الوهابية بمجرد وجهة نظر لجماعة من الحشوية والمجسمة، الذين صعب عليهم عقل الخالق على نحو يحفظ له سموه وكماله وتعاليه.. وهو لذلك كان تصوراً سطحياً استطاع إيجاد أنصار له ومتبنين، من أهل البدو الذين لا يحسنون التجريد، إذ صدق فيهم قول الله تعالى: ﴿**قالت الأعراب آمنا، قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم**﴾.





القبوريون شبهة أم حقيقة!

جرت العادة عند الوهابيين أن ينعتوا الشيعة وغيرهم من أهل السنة الذين لا يرون إشكالاً في التبرك بآثار الأنبياء، واتخاذ قبورهم مساجد، والاحتفال بأيام مواليدهم والاستشفاع والتوسل بهم بالشرك واعتبار ذلك، شركاً وعبادة لغير الله، وهي من البدع التي ما أنزل الله بها من سلطان.. ولذلك سموهم بالقبوريين..

لعل مشكلة السلفيين، بشكل عام، أنهم يفتقرون إلى الوعي التاريخي.. وأنهم لا يفهمون الأمور على نحو تجريدي.. فهم يعيشون حالة من الغموض في عقيدتهم، فلا يفهمونها إلا على نحو التجسيد. ولهذا أدخلوا في الشرك كل من قال: هذا الكلب لولاه، لدخل علينا السارق البارحة.. ولولا هذا الراعي لأتى الذئب على آخر الأغنام.. وعليه، سيكون كلام البشر جميعاً شرك، لأن الشرك له دبيب كدبيب النمل..

وهذا اعتقاد سخيف، لأنه لايقيم اعتباراً لمبدأ «النية» التي لها علاقة بالموضوع.. أين هي النية في عقيدة الوهابيين؟ إنهم لا يؤمنون إلاّ بالتجسيد والتجسيم على نحو من قال من بني إسرائيل «أرنا الله جهرة»!

وعجبت كيف يؤاخذ الوهابيون أمة محمد على احتفالها بعيد المولد النبوي

وتقبيل قبره الشريف(ص)، ولا يستنكرون أعيادهم الوطنية الرسمية والاحتفال بأشخاصهم المسؤولين في بلدانهم..

وعجبت كيف يسلطون بدواً مقملين على الحجيج، إذا أقدموا على لمس قبر الرسول الأعظم(ص) أو قبلوه.. حتى ليأتي الصبي الغرير منهم، تنقدح من عينيه شرارة الجفاء والتصحر، لا تعلم من أي قفر أتوا به، فيهوي بعصاه على رأس الشيخ الطاعن في السن، وعلى العالم الكبير بشريعة محمد(ص)، حينما يهم بالتبرك بقبر رسول الله(ص).

ويا حبذا لو يفعلون ذلك من باب تنظيم مناسك الحج، ومن باب أنها الفوضى التي يجب قطع دابرها، لكان ما يفعلونه مقبولاً.. ولكنهم يعتبرون ذلك شركاً، ويطعنون في إيمان المسلمين، ويعتبرون ذلك غاية في الدفاع عن التوحيد!.

فالرسول الأعظم(ص) عندهم مجرد شخص، لا قيمة له، سوى أنه بلغ وحياً ورسالة. وكأنه موظف منسي عند أبيهم.. وأنه لا شأن له عندهم بعد موته.. حتى أن بعضهم أخذته الحسرة على هذا المبنى الذي شيد على قبر رسول الله(ص).

وما دامت مشكلة الوهابيين تكمن في جهلهم بالشريعة، وفي عدم تمرسهم على قيم الحضارة، فسوف نعالج هذه المسألة من جانبيها الشرعي والحضاري ليتبين أن عنوان «القبوريين» دعوة جوفاء، لا معنى لها في هذا المقام..

الوهابية تكفر المسلمين وتدمر الأماكن المقدسة

مثلما أطلق الوهابيون على بعض المسلمين اسم «القبوريين» يمكننا نعتهم أيضاً بأنهم «دمويون».. فقد كان ولا يزال، يكفي أن يسمع الوهابي بفتوى عابرة وارتجالية، تتهم أحداً بالكفر والشرك، حتى يباح دمه وماله وعرضه.. وهكذا ارتبطت صورة قيام الوهابية بالجزيرة العربية بالتدمير والتكفير.. لقد كفروا المسلمين، وقاتلوهم، واستولوا على أموالهم ونسائهم، وهدموا المزارات والأماكن المقدسة.. حتى ليبدو للرائي أن إسلام محمد(ص) لم يكتمل في الجزيرة العربية إلاّ بعد مجيء جماعة ابن عبدالوهاب..

ماذا فعل الوهابيون في المسلمين، سنيهم وشيعيهم؟

لقد وصفها عون بن هاشم، حين هجم الوهابيون على الطائف بقوله: «رأيت الدم فيها يجري كالنهر بين النخيل، وبقيت سنتين عندما أرى الماء الجارية أظنها والله حمراء»[1].

وكان ممن قتل في هذه الهجمة التاريخية المشهورة الشيخ الزواوي مفتي الشافعية وجماعة من بني شيبة سدنة الكعبة. ويذكر أمين الريحاني، بأن الشيخ عبدالقادر الشيبي

---

[1] - نجد وملحقاته، أمين الريحاني ص٢٥٦.

سادن الكعبة، نجا من الإخوان (الوهابيين) بحيلة ظريفة... بكى عندما وقع في أيديهم، فسأله أحدهم بعد أن استل السيف فوق رأسه.. «وليس تبتسي ياتسافر» ومعنى العبارة: لماذا تبكي ياكافر؟ فأجاب الشيخ «أبكي وا الله من شدة الفرح، أبكي ياإخوان لأني قضيت حياتي كلها في الشرك والكفر، ولم يشأ الله أن أموت إلاّ مؤمناً موحداً.. الله أكبر لا إله إلا الله»[1] وقد أثر هذا الكلام في الإخوان، فبكوا لبكاء الشيخ، ثم طفقوا يقبلونه ويهنؤونه بالإسلام»[2] .

وكانوا بدأوا في تهديم المشاهد والقبور والآثار الإسلامية في مكة والمدينة وغيرهما.. ففي مكة دمرت مقبرة المعلىّ، والبيت الذي ولد فيه الرسول[3] أما ما يسمى بنكبة البقيع حيث لم يبق الوهابيون حجراً على حجر، وهدموا المسجد المقام على قبر حمزة بن عبدالمطلب سيد الشهداء ومسجد الزهراء واستولوا على أملاك وخزائن حرم النبي(ص).. وهدمت قبور أهل البيت النبوي وقبر عثمان وقبر الإمام مالك..

وعندئذ وردت عليهم من كل أطراف العالم الإسلامي رسائل احتجاج على ما قاموا به من تخريب للمشاهد والآثار الإسلامية.. ومن أهم تلك الاحتجاجات، تلك التي جاءت من مصر والعراق وتركيا والهند وإيران وأندونيسيا..

ومما يدل على همجية النهج الوهابي المنافي لقيم الحضارة والتمدن، ما لاحظه قوم لا شأن لهم وقضية التوحيد، الرحالة السويسري لويس بورخارت، الذي وصف البقيع بقوله[4] .

«هي عبارة عن مربع كبير تبلغ سعته مئات من الخطوات، محاط بجدار يتصل

---

(1) - أمين الريحاني، نقلاً عن حمزة الحسن، الشيعة في المملكة السعودية ج٢ ص٣٣.

(2) - المصدر السابق.

(3) - المصدر السابق ج٢ ص٢٧١.

(4) - الشيعة في المملكة السعودية / حمزة الحسن ص٢١١.

من الجهة الجنوبية بضاحية البلدة، وبساتين النخيل الأخرى. وتبدو المقبرة حقيرة جداً لا تليق بقدسية الشخصيات المدفونة فيها. وقد تكون أقذر وأتعس من أية مقبرة موجودة في المدن الشرقية الأخرى التي تضاهي المدينة المنورة في حجمها. فهي تخلو من أي قبر مشيد تشييداً مناسباً، وتنتشر القبور فيها وهي أكوام غير منتظمة من التراب، يحدّ كلاً منها عدد من الأحجار الموضوعة فوقها... ويعزى تخريب المقبرة إلى الوهابيين».

ويقول: «وقد خرب الوهابيون قبورهم وعبثوا بها»[1] .

وهنا لا نحتاج إلى مزيد من الشواهد، ما دام الجميع يعلم أهمية المشاهد، وقيمتها الحضارية. فلا وجود لأمة تحترم تاريخها وتعتز بمجدها الحضاري تقدم على هذا العمل، فتحول مشاهدها إلى أكوام من تراب وأحجار.. أي تاريخ بقي لها وأي مجد ستفتخر به أمام الأمم.. ولا وجود في الدنيا لأمة تمعن في طمس معالم قادتها الذين نوروا التاريخ، وتعبث بمعالمها التاريخية التي تذكرها بالماضي.. فإذا كان الشرك هو أن تحتفل الأمم بعظمائها وتخلد ذكرى أبنائها أو أئمتها.. فعلى ذلك يكون كل من في الأرض مشركا إلاّ جماعة من أتباع ابن عبدالوهاب.

وعجيب كيف تنطلي هذه الشعارات على بعض الأعلام، إذ يصدقون أن تهمة «القبوريين» التي أطلقها الوهابية على المسلمين وخصوصاً الشيعة، تعبر عن وعي تقدمي، وعقلية إيجابية، ونسوا أن ذلك لم يكن إلاّ من وحي بداوتهم، وبسبب فقرهم الحضاري، وحنونهم الذي لا يمكن حمله على أي مبدأ محترم..

لقد حضرت يوماً ندوة حول السلفية في الإسلام، ألقى فيها أحد المسؤولين في دولة عربية كلمة يمجد فيها حركة الوهابيين، ويعتبر شعارهم الأخير شعاراً تقدمياً. وكان قد حضر الندوة جمع غفيرمن العلماء، وشارك في الندوة مجموعة من كبار

[1] - المصدر نفسه ص٢١١.

العلماء أيضاً.. وبعدها لم يفتح باب النقاش، حيث عزمت على أن أردّ على الأستاذ المحاضر، الذي لم يقم أحد للرد عليه.. وكان مما نويت قوله له: إن كنت تفتخر، بأن شعار القبوريين الذي أطلقه السلفيون على بعض المسلمين، دليلاً على نضجهم وتقدميتهم.. فكن واثقاً، أنك كافر في رأيهم ـ مع كل ما قلته عنهم الآن ـ فأنت رجل حالق لحيته، فأنت في حكم من عبد القبور عندهم..إن الوهابية خطر على الدعوة الإسلامية.. والسلفية بشكل عام دعوة مخربة للعالم الإسلامي، لأنها تقوم على التكفير، وكل حركة سلفية فهي بالضرورة حركة تكفيرية، لولا أن بعضها يخفي مواقفه ويعمل بالتقية.. وأخطر من ذلك، أن السلفية تطرح نفسها على أساس أنها مذهب إسلامي سني، ولذلك تراها تكتسح الأوساط السنية، وتتبناها أجيال المسلمين، دونما إحساس بخطورتها.. مع أنها حاربت المسلمين السنة أنفسهم، ومنعت المذاهب الأربعة من الجزيرة العربية وحاصرت نشاطهم، وأكرهت أتباعهم على تبني المذهب الوهابي.. حتى لكأن الأمر غدا مخيفاً، إذ شباب أهل السنة أصبحوا من دون أن يعوا هذه الحقيقة، وهابيين، ولا يجدون من ينبههم إلى خطورة هذا المذهب!

والآن، لابد أن نعود إلى أساس هذه الشبهة، ونعيد طرح السؤال:

ـ هل الاحتفال بالأعلام من الأنبياء والأئمة والبناء على القبور، بدعة؟

ـ هل ذلك شرك با لله؟

أن يكون الأمر بدعة، فمعناه أن يكون أمراً مستحدثاً في الدين، ويراد من خلاله التعبد.. وفي مقامنا هذا، لا يمكننا إطلاق عنوان البدعة على التبرك بآثار الأنبياء والاحتفال بالمواليد والاستشفاع بهم وبناء القبور.. إذ مثل هذه الممارسات كانت في عصر الرسالة الأول، وكان مما اعتاد عليه أهل الأديان كما سنرى فيما بعد.. وأن يكون الأمر شركاً، فمعناه، أن يكون وسيلة من دون ا لله، أو ذا قيمة ذاتية مستقلة عن ا لله.. أما لو اعتقد المرء بأن هذه القيمة اكتسابية ومنتزعة وأن مصدرها هو ا لله

تعالى، فإن هذا يدخل في عنوان شعائر الله.

ومن هنا نقول، أن الصحابة، كانوا أول من مارس هذا النوع من الشعائر، ولم يكن هناك أي حساسية يجدونها في ذلك، ولا كان الرسول(ص) ينهاهم عن أمر وهو يعلم أن الطبيعة البشرية تحتاج إلى أن تجسد ولاءها وتحول ذلك إلى حالات محسوسة تعيشها في حياتها اليومية.. إذ أن إيمانها بالغيب لابد له من تعويض في عالم الإمكان.. والإيمان السليم هو الذي يبحث عن إيجاد حالة رمزية معاشة ومحسوسة تعبر عن ذلك المطلق الخفي.. فإن كان الوهابيون يتهمون الشيعة وغيرهم بأنهم يجسدون اعتقادهم في بناء الأضرحة وإقامة المناسبات.. فإن ذلك راجع إلى تصورهم التجريدي للمسألة الإلهية.. فالوهابيون لايجسدون اعتقادهم في طقوس معينة، ولكنهم أكثر تجسيداً لها في أذهانهم.. فهم لايتصورون إلهاً مجرداً مطلقاً.. بل يثبتون له الجسمية والحيز، وإمكانية الرؤية.. فإذا كان الإله ــ تعالى عن ذلك ــ مجسماً ومجسداً في أذهانهم، فحتماً لاتكون الحاجة إلى أي تجسيد آخر.. إن الطقس الرمزي الذي تجسده ممارسة الشيعة، عبر إقامة المراسيم وبناء الأضرحة على أئمتهم، راجع إلى تنزيههم لخالقهم.. هذا مع أن الشيعة لايعظمون إلاّ من عظمه الله.. وقد رأينا كيف كان ينظر الشيعة إلى الصحابة بخلاف الأغيار، إذ لم يرفعوهم إلى التقديس، لأنهم لم يعتقدوا فيهم غير أنهم صاحبوا الرسول(ص). ولايعظمون منهم إلاّ من أثبت له التاريخ قدماً في التقوى والعمل الصالح.. فالشيعة ليسوا قبوريين، وإنما على وعي بما يمارسون..

لقد جاء في صحيح البخاري عن عروة بن مسعود قال ـ في صلح الحديبية ـ عن رسول (ص) وأصحابه: والله ماتنخم رسول الله(ص) نخامة إلاّ وقعت في كفّ رجل منهم. فدلك بها وجهه وجلده، إنّه إذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه»[1] .

---

[1] صحيح البخاري/ كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتاب الشروط ٨٣/٢ وكتاب الوضوء، باب البزاق والمخاط ونحوه.

وجاء في صحيح البخاري أيضاً، قال عبيدة: لأن تكون عندي شعره منه ـــ أي النبي(ص) أحب إلي من الدنيا وما فيها»[١] .

وروى مسلم في صحيحه[٢] أن رسول الله(ص) أتى منى وحلق رأسه بعد أن رمى ونحر، وأنه دعا الحالق فحلقه فأعطاه أبا طلحة فقال: اقسمه بين الناس.

وذكر الحاكم في المستدرك[٣] ، وابن الأثير في أسد الغابة وابن كثير[٤] في تاريخه وغيرهم، أن خالد بن الوليد فقد قلنسوة له يوم اليرموك فقال: اطلبوها، فلم يجدوها. ثم طلبوها فوجدوها، وإذا قلنسوة خلقة، فقال خالد: اعتمر رسول الله(ص) فحلق رأسه وابتدر الناس جوانب شعره فسبقتهم إلى ناحيته فجعلتها في هذه القلنسوة، فلم أشهد قتالاً وهي معي إلاّ رزقت النصر».

وذكر ابن حنبل في المسند، قال حنظلة: دنا بي جدي إلى النبي(ص) فقال: إن لي بنين ذوي لحى ودون ذلك، وإنّ ذا أصغرهم، فادع الله له. فمسح رأسه وقال: بارك الله فيك أو بورك فيه قال الراوي:

فلقد رأيت حنظلة يؤتى بالإنسان الوارم وجهه أو البهيمة الوارمة الضرع فيتفل على يديه ويقول: باسم الله ويضع يده على رأسه ويقول: على موضع كفّ رسول الله(ص) فيمسحه عليه»[٥] .

هذا غيض من فيض من تلك النصوص الكثيرة التي تعطينا فكرة عن وجود مثل هذه الممارسة في عهد الرسول الأعظم(ص) والصحابة.. وقد دأب الصحابة على

---

[١] - صحيح البخاري، كتاب الوضوء، باب الماء الذي يغسل به شعر الإنسان ١/٣١.

[٢] - صحيح مسلم، كتاب الحج، باب بيان أن السنة يوم النحر أن يرمي ثم ينحر ثم يحلق ج٣٢٣ و ٣٢٤.

[٣] - مستدرك الحاكم، كتاب معرفة الصحابة، باب مناقب خالد بن الوليد ٢٩٩١٣.

[٤] - تاريخ ابن كثير ج٧ ص١١٣.

[٥] - مسند أحمد بن حنبل ج٥ ص٤٨.

الاستشفاع برسول الله(ص) فقد جاء في حديث ابن حنبل والترمذي[1] وغيرهما عن تعليم الرسول(ص) للرجل الضرير للدعاء المشهور.. فقد أمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء:

«اللهم إني أسالك وأتوجّه إليك بنبيّك محمد نبيّ الرحمة. يامحمد، إنّي توجهت بك إلى ربّي في حاجتي لتقضى لي. اللهم شفّعه فيّ».

وورد في صحيح البخاري، أن عمر بن الخطاب كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبدالمطلب فقال:

اللهم إنّا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا. قال فيسقون»[2] .

لا شك أن ممارسة كهذه لم تكن مقطوعة عن خلفية عقائدية.. إذ حصولها في زمن الرسول الأعظم(ص) دليل على أنها شيء مستحب، وشعيرة مقبولة.وقد جاء كتاب الله حافلاً بأمثلة كثيرة ونماذج، تؤكد على هذه الممارسة الشعائرية.. ويمكننا عرض بحموعة آيات قرآنية، تتعرض إلى موضوع التبرك والبناء على القبور احتفالاً بالأنبياء والأئمة والاستشفاع والتوسل وما شابه ذلك:

قوله تعالى: **﴿اذهبوا بقميصي هذا فالقوه على وجه أبي يأت بصيراً وأتوني بأهلكم أجمعين﴾**[3] .

وهي آية تدل على التبرك.. إذ ما العلاقة السببية بين قميص يوسف، وعودة البصر إلى أبيه الذي ابيضت عيناه من الحزن، لولا أن الأمر يتعلق برابطة غيبية، وعلى أساس التبرك.. وقد كان من الممكن ــ حسب المنطق السلفي ــ أن يدعو لأبيه، والله

---

(1) - مسند أحمد ج٤ ص١٣٨، سنن الترمذي، كتاب الدعوات ج٣ ص٨٠ ــ ٨١.

(2) - صحيح البخاري كتاب الاستسقاء، باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا وكتاب فضائل أصحاب النبي، باب مناقب العباس بن عبدالمطلب ج٢/ ص٢٠٠ و ج١ ص١٢٤.

(3) - سورة يوسف: آية/٩٣.

يستجيب له وهو من أنبياء الله المكرمين.. ولكنه أبى إلا أن يعطي صيغة ملموسة ليتحقق التبرك كسبب من أسباب العلاج..

قال تعالى: ﴿فقال ابنوا عليهم بنياناً ربهم أعلم بهم، قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجداً﴾[1] .

وهذا يدل على أن البناء على قبور الأولياء الصالحين، أمر طبيعي جداً عند أهل الأديان، وقد أقر الله تعالى هذه الممارسة لأن فيها تعظيماً لشأنه من خلال تعظيم أوليائه.. وقد أخبر القرآن الكريم أن الذين غلبوا على أمرهم هم الذين اتخذوه مسجداً.. والآية جاءت في سياق تمجيد، وليس في سياق استنكار!

ويقول تعالى: ﴿يومئذ لا تنفع الشفاعة إلاّ من أذن له الرحمن ورضي له قولاً﴾[2] .

وقوله: ﴿من ذا الذي يشفع عنده إلاّ بإذنه﴾[3] .

وفي قوله تعالى: ﴿وابتغوا إليه الوسيلة﴾[4] .

قوله تعالى: ﴿يبتغون إلى ربهم الوسيلة﴾[5] .

قوله تعالى: ﴿ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب﴾[6] .

ولا شك أن هذه الآيات، تعلمنا أن لله شفعاء ارتضاهم وقربهم منه.. فإذا لم يكن هؤلاء هم أنبياؤه وأوصياؤه، فمن يكونون؟!

وإذا لم يكونوا هم الوسيلة التي يتقرب بها العباد إلى خالقهم فما تكون الوسيلة إذن؟!

---

[1] - سورة الكهف: آية/٢١.

[2] - سورة طه: آية/١٠٩.

[3] - سورة البقرة: آية/٢٥٥.

[4] - سورة يونس: آية/٣.

[5] - سورة المائدة: آية/٣٥.

[6] - سورة الإسراء: آية/٥٧.

وإذا لم يكونوا شعائر الله التي ينبغي أن تعظم فما تكون هذه الشعائر؟! نعم، من شعائر الله، هذه البدن التي تدخل في شعائر الحج، والتي اعتبرها الشرع كذلك في قوله: **﴿والبدن من شعائر الله﴾**.وإذا كانت البدن من شعائر الله، والحجر الأسود من شعائره تعالى، والكعبة والمشعر الحرام، ومقام إبراهيم.. فهل يعز على الله أن يكون أولياؤه من البشر الذين كرمهم وفضلهم على جميع من خلق تفضيلاً شعائره التي يجب أن تعظم، وهل هناك أفضل من البناء على قبورهم ؟، وتخليد ذكراهم، تعظمياً لهذه الشعائر؟!

فإذا كان الحاج يبذل كل جهده ليقبل الحجر الأسود، فما المانع من أن يقبل قبر رسول الله (ص)؟ وإذا كان المسلم يسمع كتاب الله ينطق بهذه الحقيقة، بأن **﴿واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى﴾**[1] .

فما المانع، من اتخاذ قبور الأنبياء مساجد. وإذا كان الله تعالى يقول عن أهل الكهف، وهم ليسوا من أنبيائه: **﴿قال الذين غلبوا على أمرهم لنتّخذنّ عليهم مسجداً﴾**[2] ، فما المانع أن يتخذوا على أئمتهم مساجد؟!

اللهم، إلاّ إنْ كان كتاب الله - تعالى عن ذلك - حافلاً هو الآخر بالشرك، ومحرضاً عليه.. ولست أرى في ما تنقم فيه الوهابية على المسلمين شيئاً يختلف عما فعله الصحابة في حضرة رسول الله(ص).

نعم، إن كان أحد يأتي هذه المشاهد بنية التبرك على نحو يجعله يعتقد بأن لهذه المشاهد قيمة مستقلة وواقعة في عرض العبودية لله، إذ ذاك نقول، هذا شرك.. ولا أعتقد أن أحداً من المسلمين يأتي هذه المشاهد بهذه النية.. وكان بالأحرى أن يسأل سدنة الكعبة المعاصرون، عن نية كل من يهم بتقبيل الحجر الأسود في مكة، إن كان

---

[1] - سورة البقرة: آية/١٢٥.

[2] - سورة الكهف: آية/٢١.

يقبله بنية الشرك أم بنية التقرب إلى الله.. وقس على ذلك باقي الشعائر والمناسك.

فهذا هو توحيد الله، كما يعتقد الشيعة.. ليس فيه مايسلب عن الخالق أي صفة للكمال، أو يضفي عليه أي صفة للإمكان.. ولايأتون إلاّ شيئاً له منشأ اعتقادي في كتاب الله.. ونماذج في حياة السلف من الصحابة والأتباع.. تلك هي عقيدة الشيعة في التوحيد!....

◆ العدل

الأصل الرابع عند الشيعة الإمامية، العدل. وهو أيضاً من أصول منهب المعتزلة.. وقد كان للشيعة الإمامية والمعتزلة فضل كبير على المسلمين في الاهتمام بهذا الأصل، وأشبعوه بالبحث والنقاش.. فسموا بعد ذلك بالعدلية. ويقع العدل أساساً لمجموعة من العقائد الأخرى، كالقضاء والقدر، كما له صلة معينة بالبداء، واللطف، والتكليف.. وغيرها من الأمور الاعتقادية الأخرى.

ولفهم هذا الأصل، وعقيدة الشيعة فيه، لابد من مقدمة خاصة تتعلق بهذا الأصل، وهي مسالة الحسن والقبح والخلاف حولهما، بين الشيعة والمعتزلة من جهة والأشاعرة وأتباعهم من جهة أخرى.

فالسؤال المطروح: هل الحسن والقبح مما تدركه العقول، أم أنهما مما تدركه الشرائع؟ هل هما عقليان أم شرعيان؟

جماعة من المسلمين وعلى رأسهم الأشاعرة اعتبروهما شرعيان.. فالعقل لا يدرك حسنا ولا قبحاً على نحو الاستقلال.. بخلاف العدلية من الشيعة والمعتزلة الذين رأوا أن العقل يحسن ويقبح؟

إن بحث الخلاف بين الشيعة وغيرهم في هذه المسألة، يجب أن يكون دقيقاً، إذ كثيراً ما أساء المصنفون في هذا الخلاف التعرض لهذه المسألة، واكتفوا بالتعميم،

وتساهلوا في أحكامهم على كلا المذهبين.. والواقع أن الخلاف بين الشيعة والأشاعرة هاهنا ليس خلافاً جوهرياً، ولا كلياً.. بل هو خلاف له أسبابه المذهبية وفي حدود وجه معين من وجوه المسألة! فمنشأ الخلاف بينهما، أن الشيعة والمعتزلة، كانوا يدافعون عن "العدل"، ويعتبرون نسبة القبيح إلى الله، سلباً لصفة العدل، وبالتالي، سلباً للكمال.أما الأشاعرة، فكانوا يدافعون عن حرية الله المطلقة، ولو اقتضى الأمر نسبة بعض الأمور القبيحة إلى الله. ولأنه عزّ عليهم ذلك فلابد أن يجترحوا طريقة منسجمة مع موقفهم من حريته تعالى، وهي أن يعتبروا القبح والحسن غير عقليين.

إذا فهمنا منشأ هذا الخلاف، فلا مانع من أن نعالج تلك الشبهات التي تذرع بها الأشاعرة في بناء مذهبهم.. وإن كان بعض أتباعهم من أهل الحديث، قد فهموا المسألة على نحو غير عقلاني، فنسبوا الظلم للخالق وسلبوا عن العقل القدرة على معرفة مطلق الحسن والقبح.

لاشك أن الاختلاف بين الشيعة والأشاعرة، وجميع المذاهب الإسلامية، في إدراك العقل للحسن والقبح بمعنى المصلحة والمفسدة، من غير أن يكون للشارع ما يخالف ذلك، أو من غير توقف معرفة ذلك على الشرع.. فكل العقلاء، يعتقدون بأن العقل يدرك المصالح والمفاسد، وتلك هي وظيفة العقل ونعمته..

وأيضاً إذا كان معنى الحسن والقبح له صلة بالكمال والنقص.. كما لو حكم العقل بحسن العلم وقبح الجهل، فلا نزاع بين الأطراف في هذه الحدود.. إنما الخلاف بالنتيجة وقع في بحث الملازمة العقلية بين حكم العقل وحكم الشرع، أي لزوم حكم الشرع بشيء إذا حكم به العقل! والملازمة هذه ليست شرعية، بل هي عقلية. فالعقل يحكم بلزوم حكم الشرع ومطابقته لحكم العقل إذا ما حكم هذا الأخير بحسن الأشياء أو قبح بعضها.. أما الشيعة، فقد بحثوا هذه الملازمة بنوع من الدقة والحنكة، وحددوا مجال هذه الملازمة في الأمور الواضحة. واعتبروا الأحكام الشرعية التي تأتي دعماً

وتأكيداً لحكم العقل، بالأحكام الإرشادية، في حين اعتبروا بعض الأحكام الأخرى. التي خفيت ملاكاتها ومناطاتها على العقلاء، بالأحكام التأسيسية أو المولوية..وعلى هذا الأساس رأى الشيعة أن دين الله لا يصاب بالعقول، ورفضوا القياس فيما لم يتحقق فيه المناط، ولا نصت على علله النصوص.. فالعقل يحسن ويقبح ما لم يكن داخلاً في نطاق الأحكام المولوية.. أما ما كانت مناطاته ظاهرة بالتحقيق والنص فإن المراد منه واضح، هو حفظ النظام العام وبقاء النوع وعدم الإخلال..

ولهذه المقدمة علاقة بالتكليف، لأن الأحكام من جهة ترتبط بالمصالح والمفاسد وهما من مصاديق الحسن والقبح، ولأن التكليف من حيث هو مشروط بقدرة المكلف، فلا يكلف غير القادر ولا القادر فوق طاقته، استناداً لآية التيسير وحديث الرفع كما سنرى!

إن الخالق في نظر الشيعة الإمامية عادل، والعدل صفة لكماله، فلا يأتي سبحانه القبيح و لا يمنع عن فعل الحسن حتى ولو كان فعله له ليس لحاجة إليه. أما الأشاعرة ومن سار على منهبهم، فيجوزون صدور القبيح عنه تعالى، وامتناعه عن فعل الحسن، لأنه مطلق الإرادة. وأن ما يأتيه تعالى من أفعال وما يصدر عنه منها لا يسلب عنه الكمال، لأنه إله متصرف في كونه. ويعتقدون أن ما يصدر عنه تعالى عدل، إذ بمجرد صدور الأفعال عنه عدل، فكانت الأفعال مقياس عدالة الخالق وليس العكس.. وشبهتهم في ذلك هو أنهم نظروا إلى مفهوم العدالة والحسن والقبح العقليين، كمزاحمين لمفهوم إطلاق الإرادة.. مع أن القول بالعدالة والحسن والقبح العقليين لا يخلاّن بذلك المفهوم، وقد تفرد الشيعة الإمامية بهذا الاعتقاد، الذي لا ينفي مطلق إرادته تعالى، ولا ينسب إليه الظلم، بخلاف المعتزلة والأشاعرة.

وهكذا لم يرض، لاالشيعة الإمامية ولا المعتزلة بصدور القبيح عنه تعالى أو عدم إتيانه الحسن..

فإذا خفي الحسن والقبح على العقل، فليس معنى ذلك أن الشرع خالف العقل.

ومن هنا يتجلى الاعتقاد الشيعي في مسألتي الحسن والقبح في مجال الإلهيات كما في مجال التشريع. ومن هنا يطرح سؤال وجيه على العقيدة الشيعية: ما وجه الخلاف بين الشيعة وغيرهم من الأشاعرة والمعتزلة بخصوص الإرادة الإلهية وعلاقتها بالأفعال.. وهل هناك ما يميز العقيدة الشيعية عن مثيلتها المعتزلية بهذا الخصوص؟هل الشيعة ينكرون إرادة الله ومشيئته.. هل إنه ـ تعالى ـ خلق الكون وأدار له ظهره كما تقول الأفلاطونية؟

طبعاً، إن أكبر مغالطة سقط فيها الكثير من أدعياء الفكر الإسلامي، أن العقيدة الشيعية تأثرت بالمدرسة الاعتزالية. وبأن الشيعة تبنوا النظرة الاعتزالية في كثير من القضايا العقائدية والكلامية، كالإيمان بالعقل والحكم بالملازمة العقلية والقبح والحسن الذاتيين وقضية التوحيد في الصفات، ومسألة العدل الإلهي..

وهنا نحب أن نقول، أن هذه النظرية قاصرة جداً، لأنها تقفز على حلقات مهمة في تاريخ نشأة الاعتزال. فمن الناحية العامة، ارتبط الاعتزال ـــ على اختلاف المؤرخين ـ باسم واصل بن عطاء، وهو أول من اعتزل مجلس الحسن البصري بخصوص الخلاف الذي دار بينهما في شأن مرتكب الكبيرة. وأيّاً كان الرأي الأصح في نسبة الاعتزال للحسن البصري أو في نسبته لتلميذه المنشق، واصل بن عطاء، فإن الحسن البصري ممن كان يروي الحديث عن الإمام علي(ع) وينقل عنه الأخبار.. وقد جرت هذه العادة عند أكثر المعتزلة. فهذا ابن سيار النظام أحد أبرز أعلام المعتزلة، كان تلميذاً ممدوحاً لدى الفراهيدي (الخليل بن أحمد) صاحب علم العروض، وهو من أبرز علماء الشيعة. وقد نهل المعتزلة من نمير التشيع، ودأبوا على تمثل أفكاره، حتى صعب على الكثيرين فرز بعضهم عن الشيعة، مثل ما كان من أمر معتزلة بغداد المتشيعين الذين تتلمذوا على التشيع ودافعوا عن كثير من أفكاره، كالإسكافي وابن أبي الحديد.

إن عقيدة الشيعة مستوحاة كلها من نصوص أئمتهم.. وهي الأساس الذي تغذى عليه المعتزلة وأصلوا وفقها أصول اعتقادهم، مع إدخال بعض الأفكار الأخرى لتشكيل بنائهم المذهبي. ومن هنا شك البعض في نهج البلاغة، واعتبره من وضع الشريف الرضي، لأن فيه كلاماً يرتبط بالفترات المتأخرة، مع ظهور مدرسة الاعتزال. وغاب عن هؤلاء أن هذه النصوص كانت في البدء متفرقة، وممن اطلع عليها بعض أعلام المعتزلة. وابن أبي الحديد، وهو من كبار المعتزلة، يدافع بشدة في مقدمة شرح النهج، عن نسبة ذلك الكلام إلى الإمام علي(ع).

وقد خالف الشيعة المعتزلة وغيرهم في الكثير من المعتقدات.. كعدم القول بالنيابة، وكعدم القول بالاختيار المطلق، والملازمة المطلقة، كما خالفوهم في الجدل المشهور الذي دار في عهد المأمون، بين المعتزلة وأهل الحديث، بشأن خلق القرآن!

والخلاف بين الشيعة وغيرهم من أهل الكلام، بشأن الإرادة، والذي تميزت به المدرسة الشيعية الإمامية، يمكن حصره في ثلاثة أبعاد عقائدية:

١ ــ لا جبر ولا تفويض في بحث القضاء والقدر.

٢ ــ مفهوم التكليف والحكم المولوي..

٣ ــ البداء.

بهذه الأبعاد الثلاثة، فتح الشيعة مساحة لاستيعاب إرادة الخالق عزوجل، واقروا بمشيئته المطلقة التي لايزاحمها مبدأ الاختيار وصدور الأفعال عن العباد.. ولنبدأ بكل بعد من هذه الأبعاد.

١ ـ الوسطية في بحث القضاء والقدر:

وقف الأشاعرة بإفراط في مسألتي القضاء والقدر، ووقف المعتزلة بتفريط فيهما.. فالأشاعرة اعتبروا أن الأفعال صادرة عن ا لله ومكتسبة بالنسبة للإنسان.. وعليه، فإن فعل المعصية هو فعل أجبر ا لله به العاصي.. وإن العاصي لا يعصي ا لله باختيار، وكذا المحسن.. فالمشيئة لله تعالى مطلقة، وليس للناس سوى اكتسابها فهم محلها..

وقد تبين لنا من خلال عرض عقيدة الأشاعرة في العدل، أن الاستشكال على أنه تعالى إن كان يجبر الإنسان على المعصية، فكيف يعاقبه؟! غير أن الأشاعرة، اعتبروا ذلك راجعاً إلى إرادة ا لله المطلقة، وأن العدل هو ما صدر عنه تعالى، فهو متصرف في كونه ومريد لا قيد لإرادته.. وأن هذا ليس قبحاً، وإن كان العقل يقبحه..

ولكي يثبت الأشاعرة أن إرادة ا لله مطلقة، وأنه هو السبب الحقيقي والأوحد، أنكروا السببية مطلقاً، كنظام كوني بين الظواهر الطبيعية والأشياء.. واعتبروا أن الخالق هو سبب كل الحوادث التي تقع في العالم. وقد كان أبو حامد الغزالي أحد أعلام الأشعرية من المنكرين للسببية، والمخالفين للفلاسفة في قولهم بقانون العلية.. وقال باضطراد الظواهر وارتباطها من دون علاقة سببية تقتضي ترتب المعلول على علته التامة، وعدم تخلف المعلول عن علته على النحو الذي جرى في مباحث الفلسفة والمنطق.

إن رأيهم في السببية ليس إلاّ محاولة كلامية لحصر السببية في الخالق، وتبرير مبدأ الجبر، مما يترتب عليه نسبة الظلم إلى ا لله تعالى..

أما المعتزلة، فقد قالوا بالتفويض ونسبة الأفعال إلى المخلوقين. وقد تجلى التأثير الأفلاطوني في هذا الاعتقاد، في أن عدم القول بالتفويض يقتضي تدخل الخالق في شؤون خلقه، وهذا سالب لكماله تعالى. فالأفعال كلها صادرة عن المخلوقين،

وإرادتهم في ذلك مستقلة..

أمام هذا الموقف التفريطي وذاك الموقف الإفراطي، حاول الشيعة أن يحددوا إطاراً لإرادة المخلوق، وجعلها بحيث لا تزاحم إرادة الخالق المطلقة.. وكان فهمهم لهذه الازدواجية الإشكالية يستند إلى جملة من النصوص والروايات التي صدرت عن أئمتهم، وأيضاً نصوص الكتاب وأخبار الرسول(ص).. ولهذا، فقد قال الشيعة بالسببية الطبيعية، وجعلوا الأفعال منسوبة للمخلوق، من جهة اختياره لها، ولكنها كلها داخل دائرة الإرادة المطلقة لله تعالى، وهو القادر على منع العباد من الاختيار. وأنكروا عقيدة الجبر، ورأوا أن الخالق لا يعذب المذنب على فعل صادر عنه تعالى.. فوجود التكليف والأمر والنهي.. كلها أمور تدل على ما اقتضته حكمته تعالى من جعل المخلوق مختاراً. ومن هنا جاء قول الإمام الصادق «لا جبر ولا تفويض، ولكن أمر بين أمرين».

فعقيدة الشيعة في الأفعال أنها صادرة عن المخلوقين، وبهذا يرتفع الظلم عن الله، وهي في ذات الوقت ليست خارجة عن مشيئة الله وليس هناك تفويض. وبهذا يثبت سلطانه تعالى على مخلوقاته.. فإن سأل البعض عن كيفية هذا الجمع، قلنا أن استنكاره هو عقلي.. وقد تبين من قول الأشاعرة أن العقل لا يحسن ولا يقبح في هذا المورد.. وقدرة الله مما لا يُدرك بالعقول.. وأن هذا الجمع هو ما يفسر لنا غموض مبحث القضاء والقدر، ويجعل إرادة الله المطلقة حاضرة في العقيدة الشيعية.. فإن قالوا، إنكم توجبون على الله الأمر بالحسن والنهي عن الظلم.. قلنا إن الوجوب هاهنا بمعنى اللطف، ومما أوجبه كماله، فليس ذلك على نحو الأمرية، وإنما بمقتضى صفات الكمال، وقد اشتهر عند أهل الحديث، أن الله حرم الظلم على نفسه وجعله بين الناس حراماً، وأمرهم بألاّ يتظالموا.. وإن وجوب ذلك على الله هو من سنخ وجوب وجوده.. إذ مقتضى كماله وجوب وجوده، وليس بمعنى التكليف! ونتيجة

البحث، أن الشيعة تميزوا عن المعتزلة في اعترافهم بقدرة الله وعدم قولهم بالتفويض.. وبذلك أقروا بإرادة الله وخفاء سره.

٢ ـ مفهوم التكليف والحكم المولوي..

إن القول بالملازمة بين حكم العقل وحكم الشرع على نحو الإطلاق، لا تفسح للخالق مساحة إبداء إرادته المطلقة التي يجهل العقل عنها الكثير ويخفى عليه من أسرارها مالا حدود له.. فإن كان العقل يستطيع أن يدرك كل علل الشرائع ومناطات الأحكام، إذن لما كان للخالق تعالى سوى وضع الأحكام الإرشادية التي حكم بها العقل. وقد خالف الشيعة من قال بهذا الرأي واعتبروا أن من الأحكام ما خفيت علله ومناطاته، وأن امتثال المكلف به يتم على نحو التعبدية لا الإرشادية، على غرار أكثر الأحكام التي خرجت بالدليل، وإن خالفت المناط.

إن مسألة الحكم المولوي، هي المساحة التي انفتحت في العقيدة الشيعية، حيث تتجلى إرادة الله المطلقة وألطافه الخفية.

٣ ـ البداء:

في سياق الكلام حول القضاء والقدر، لا نرى البداء سوى فسحة أخرى أمام إرادة الله المطلقة والأسرار التي تحيط بأقداره تعالى.. فليس كل ما يقدره الله تعالى على المخلوق بادياً له. وليس من حق المخلوق أن يستشكل إن كان الله قد أخفى بعض أقداره على المخلوقين.. إن البداء هو أعظم عقيدة تعبد بها الشيعة، وبها كانوا أكثر تقديراً لإرادة الخالق. ولا أجد فيما ذهب إليه الأشاعرة أو عموم أهل السنة خلافاً حقيقياً بينهم والشيعة.. فكلهم يؤمن بأن الله يغير في أقداره.وينسخ قدراً بقدر تكوينياً مثلما ينسخ حكماً بحكم تشريعاً. فإذا جاز القبح هنا فأولى أن يجوز هناك حيث أحكام الشريعة. ولعل شبهة المنكرين للبداء عند الشيعة، تكمن في فهمهم

الخاطيء للبداء، إذ اعتبروا ذلك قولاً يستلزم القول بالجهل عليه تعالى، إذ يبدو له بعد أن يجهل بالأمر.. وقد سبق أن عرفنا بعقيدة الشيعة في التوحيد والصفات، وبأن الله علمه مطلق. ولكن البداء هنا يتجه إلى المخلوق، الذي يبدو له الحكم بعد أن خفي عنه. من هنا جاء في قول الإمام الصادق(ع): «من زعم أن الله تعالى بدا له في شيء بداء ندامة، فهو عندنا كافر بالله العظيم»[1]

إن للبداء مضموناً عقائدياً غنياً.. فتارة هو بُعد من أبعاد العدل الإلهي.. إذ من عدله سبحانه ألاّ يجبر المخلوق على قدر واحد. فإذا تصدق المرء بصدقة، فبحكم البداء يزيد الله في عمره وكذا لو تعلق الأمر بزيارة الأرحام كما في الحديث. كما أنه تعالى يبدو له في الزنا الذي يورثه الفقر وينقص من عمره.

وتارة، يتعلق بإرادة الله في أن يغير في شؤونه، ويتحكم في خلائقه، ويخفي أسراره عن خلقه لمقام الخالقية والحاكمية.. وتارة تتعلق بكونه موجوداً معنا، يدبر الكون ولا يستدبره، أو يفوضه.. إن عقيدة الشيعة في البداء، من أحسن ما تعبد به الشيعة ـ إذن ـ! وسوف نستعرض جملة من الروايات والأخبار في هذه المباحث الثلاثة، العدل والقضاء والقدر، والبداء.. لنعرف عقيدة أئمة الشيعة فيها:

ـ عن جعفر عن أبيه قال: «قيل لرسول الله(ص) يارسول الله رُقىً يُستشفى بها هل تردّ من قدر الله؟ فقال: إنها من قدر الله»[2].

ـ عن علي بن موسى الرضا(ع) عن أبيه، عن آبائه، عن علي(ع) قال: قال رسول الله(ص): «إن الله عزوجل قدّر المقادير، ودبّر التدابير قبل أن يخلق آدم بألفي عام»[3].

---

[1] - أصول المظفر ج١ ـ ٢ ص٢١٧ ط٣ مؤسسة إسماعيليان قم ١٤٠٨هـ.

[2] - بحار الأنوار، باب القضاء والقدر ج٥ ص٨٧.

[3] المصدر نفسه ص٩٣.

قال الإمام الصادق(ع) لزرارة حين سأله فقال:

«ما تقول في القضاء والقدر؟ قال: أقول إنّ الله عزوجل إذا جمع العباد يوم القيامة سألهم عمّا عهد إليهم، ولم يسألهم عما قضى عليهم»[1].

وقد سأل رجل الإمام علياً(ع) عن القدر فقال له. بحر عميق فلا تلجه، ثم سأله ثانية فقال: طريق مظلم فلا تسلكه، ثم سأله ثالثة فقال: سرّ الله فلا تتكلفه»[2].

وعن أمير المؤمنين(ع) قال: لكل أمة مجوس ومجوس هذه الأمة الذين يقولون: لا قدر»[3].

ومما يوضح قضية البداء وعلاقته بالقدر ما جاء في الحديث عن زرارة، عن حمران قال، سألت أبا جعفر(ع) عن قول الله عزوجل: «هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً» فقال: كان شيئاً ولم يكن مذكوراً، قلت: فقوله: أولم ير الإنسان أنّا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً» قال: لم يكن شيئاً في كتاب ولا علم»[4].

وعن أبي عبدالله(ع) أنه سئل عن قول الله **﴿يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أمّ الكتاب﴾** قال: إن ذلك كتاب يمحو الله فيه ما يشاء ويثبت، فمن ذلك الذي يردّ الدعاء القضاء، وذلك الدعاء مكتوب عليه: «الذي يردّ به القضاء» حتى إذا صار إلى أمّ الكتاب لم يغن الدعاء فيه شيئاً»[5].

وعن جعفر بن محمد عن أبيه قال: قال رسول الله(ص): إن المرء ليصل رحمه وما بقي من عمره إلاّ ثلاث سنين فيمدّها الله إلى ثلاث وثلاثين سنة، وإنّ المرء ليقطع

---

(1) المصدر نفسه ص٩٧.

(2) المصدر نفسه ص٩٧.

(3) - المصدر السابق ص١٢٠.

(4) - المصدر السابق ص١٢١.

(5) - المصدر السابق ص١٤١.

رحمه وقد بقي من عمره ثلاث وثلاثون سنة فيقصرها الله إلى ثـلاث سنين أو أدنـى. قال الحسين: وكان جعفر(ع) يتلو هذه الآية: ﴿يمحو الله ما يشاء ويثبـت وعنـده أمّ الكتاب﴾[1].

وردّا على من ظن أن عقيدة الشـيعة في البـداء، طعنـة في علـم الله الأزلي، فـإن الإمام الصادق(ع) يقول: «من زعم أن الله بدا له في شيء بداء ندامة فهو عندنا كافر بالله العظيم». وقال: «من زعم أن الله بدا له في شيء ولم يعلمه أمس فأبرأ منه»[2].

◊ النبوة

لقد كثر الطعن في عقيدة الشيعة في النبوة، إذ كثيراً ما تعرض لها أعـداء الشـيعة بالتحريح والتزييف. تارة مشككين في نوايا الشيعة تجاه الأنبياء، وأخـرى بـالتقليل مـن شـأن النبـوة في الاعتقـاد الشـيعي. ولـو شئنا لملأناهـا شـواهد مـن تلـك الافـتراءات والترهات التي لا تليق بمسلم يتوخى ويذرف دمعـه إخلاصـا في طريـق امتـلاك ناصيـة الحق! والمتتبع لعقيدة الشيعة في النبوة يدرك إلى أي مدى يصل اهتمام الشـيعة بـالنبوة. ولعل تمسكهم بالنبوة، هو ما فاض عنه قولهم بالإمامـة. لأن مقـام النبـوة عندهـم مـن الأهمية بحيث لا يشغله إلاّ إمام موصـى بـه، غايـة في التـنزه والعصمـة! فـالنبوة همـزة وصل بين الخالق والمخلـوق. يتولاهـا شـخص مختـار لدنيـاً، تتجلـى فيـه كـل صفـات وخصائص الكمال والعروج الروحي. ينتدب لإرشاد الناس إلى خير ما فيه صلاحهـم، وإثارة عقولهم والعروج بهم إلى حيث الكمال والسعادة في الدارين. ويعلمهم الحكمـة ويزكيهم، ويخلصهم من أوهاق نفوسهم، ويفك عنهم إصرهم والأغـلال الـتي تمنعهـم من الانطلاق. وحيث أن البشر وهم في ظلمة الجهل وعمائه، لا يملكون القـدرة علـى اختيار من هو أنفع لهم، فينتدبوه لهذه المهمة، إذ أكثر الناس لا يعقلـون، ولا يعلمـون،

---

[1] - المصدر السابق ص١٤١.

[2] - عقائد الإمامية/ الشيخ المظفر ص٦٩ دار الحوراء بيروت ط٨/ ١٤٠٩هـ.

بل إن أكثرهم غافلون وضالون. والأنبياء جاؤوا بما يخالف الأهواء، لذا اقتضى الأمر أن يختار الله لرسالته الشخص المناسب، إذ أن الله أعلم حيث يجعل رسالته. وهذه النبوة مسؤولية أدركها النبي بجهاده وتربيته وتزكيته لنفسه.. فهي كفاءة لا يلغيها تكذيب قومه به، ولا يسندها إيمانهم به أيضاً!.ومهمة النبي والنبوة، مما له صلة بلطف الخالق تعالى، إذ مقتضى لطفه أن يبعث للناس من يرشدهم إلى أفضل السبل وأسلم المسالك، ويجنبهم طريق الظلام، ويقودهم إلى حيث مصالحهم.. وليقيم عليهم الحجة، وليبين لهم ما إن خالفوه، فعاقبهم عليه لن تكون لهم على الله بعد ذلك حجة.. بل تقوم الحجة على الخلائق، وترتفع معذريتهم في مقام البيان، إذ من القبح العقاب بلا بيان. ومن هنا اعتقد الشيعة بأصل البراءة في الأصول، بناء على حديث الرفع. ففي موارد الشبهة الحكمية لا خلاف في أصل البراءة. فمن لطفه تعالى أن يبين للناس ما فيه صلاحهم، وهذا لا يتم إلاّ بالرسل والأنبياء، ووجوب اللطف هنا من باب ما أوجبه الله على نفسه، والذي تعبر عنه الآية الكريمة: **﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً﴾!**

ولأن الإيمان بالنبي أمر يتوقف على اقتناع الناس به. فقد اقتضى الحال أن يرفق هذا النبي بدليل على نبوته وبرهان يسند رسالته. فكانت المعجزة خاصية نبوية لإقامة الحجة على المنكرين، إذ المعجزة هي التعجيز، بمخالفة المألوف مما تعارف عليه الناس وأقرّ به العقلاء، بحيث يصعب على الناس الإتيان به، مثلما كان عيسى(ع) يحيي الموتى بمعجزة، أعجزت أطباء عصره، أو موسى(ع) الذي كانت معه معجزة العصى التي أعجزت السحرة وصناع السحر. أو النبي محمد (ص) الذي بعث بمعجزة القرآن وبلاغته التي أعجزت أبناء الجزيرة العربية المدججين بفنون القول وسحر البيان..

ويعتقد الشيعة أن الأنبياء معصومون، ومعناه أنهم منزهون عن كل صغيرة وكبيرة من الذنوب وأيضاً منزّهون عن السهو والخطأ والنسيان. وذلك لأنه لو إن

كان صدر الخطأ عنه والنسيان، لما اطمأن إليه الأتباع، ولكان الأمر في كل صغيرة وكبيرة يقتضي منه سؤالاً، كما إذا كان فعله وقوله وتقريره، سنة تشريعية أم حالة تكوينية لاقيمة لها ولااعتبار..

ولأن حياة النبي هي قرآن ناطق، ونموذج حي للاقتداء.. وبما أن فعله اليومي وتقريره هو جزء لايتجزأ من السنة، بل أغلب السنة من هذا القبيل، فكيف نميز بين ماهو تشريعي وما هو تكويني؟! ولادليل لنا على هذا الفصل بين العصمة التشريعية والعصمة التكوينية.. ولعله أمكن صدور الخطأ والنسيان عقلاً، إلاّ أن الواجب في مقام النبي، هو العصمة من هذه الأمور لدرء الاشتباه في وظيفته النبوية، ولضمان الاطمئنان إلى تبليغه الرسالة للناس.

ولا تكفي العصمة في هذا المقام، فالنبي من الناحية الإيجابية يتحلى بصفات كمالية أخرى تجعله نموذجاً بشرياً أمثل، في كل الصفات التي يجب أن يزكي فيها الإنسان نفسه وحياته. فهو طاهر المولد، إذ لا يجوز خلاف ذلك لما له من أثر على كماله وخلقه، وهو منزه عن سفاسف الأمور والابتذال وعن كل ما من شأنه أن يخل بأخلاقه ومروءته. وعلى ذلك إيمانهم بباقي الأنبياءوبكتبهم جميعها من دون تفريق بينهم.

وقد خالف الشيعة أهل السنة والجماعة أو بعضهم في جواز الخطأ والنسيان على الأنبياء، وقال بعضهم بعصمتهم التشريعية دون التكوينية. وأدلتهم في ذلك أخبار ضعيفة، وأيضاً تناقض حكم العقل في النبوة والقرآن. وقد ذهب بعض السلفيين إلى أن أوردوا حوله أحاديث تنزل من مقامه وتسلب عنه خاصية النبوة. ولكي يقنعوا أنفسهم بأن الرسول والنبي، بشر، أنزلوه منزلة من لاشأن له من دهمائهم. ومن هاهنا جاء موقف السلفية من الاحتفال بالمولد الشريف كما تقدم! مع أن القرآن يثبت أن

النبي شخص عظيم ليس كباقي الأشخاص. فهو عبدا لله لاجدال في ذلك، ولكن عظمته تتجلى في كون هذا العبد، كان أرقى عباده وأقربهم إليه.. وقد مدحه القرآن، وقال فيه: ﴿وإنك لعلى خلق عظيم..﴾ وخصه بدرجة الوسيلة التي لا يزاحمه فيها بشري، مهما علا شأنه. وخصه بحكم مميز في الزواج إذ تزوج تسعة نساء في حين حرمت الشريعة على غيره الزواج بأكثر من أربعة مطلقاً، وأكثر من واحدة إذا ارتفع قيد العدل! كما خصه ا لله بمعجزات. وأهم من ذلك أن ا لله اختاره لهذه الأمانة التي اهتزت لها الجبال، وقربه منه.. فكيف يكون بشراً كالبشر؟! نعم، إنه عبدا لله، مخلوق يأكل الطعام ويمشي في الأسواق، حتى لا يقال إنه ملك في خصائصه التكوينية، وإن كان أعلى شأناً من الملك في مقامه وقربه من ا لله تعالى. وهنا سوف ندرج بعض الروايات والنصوص للأئمة من أهل البيت، لبيان مقام النبي(ص) عند الشيعة:

ـ عن الحسين بن عبدا لله قال: قلت لأبي عبدا لله(ع): كان رسول ا لله(ص) سيد ولد آدم؟ فقال: كان وا لله سيد من خلق ا لله، وما برأ ا لله بريّة خيراً من محمد(ص)»[1].

ـ وعن أبي عبدا لله(ع) وذكر رسول ا لله(ص) فقال: قال أمير المؤمنين(ع): ما برأ ا لله نسمة خيراً من محمد(ص)»[2].

ـ عن أبي عبدا لله(ع) قال: لمّا عرج برسول ا لله(ص) انتهى به جبريل إلى مكان فخلى عنه فقال له: ياجبريل تخليني على هذه الحالة؟ فقال: امض فوا لله لقد وطئت مكاناً ما وطئه بشر وما مشى فيه بشر قبلك»[3].

---

(1) - مرآة العقول/ كتاب الحجة ج٥ ص١٨٥.

(2) - المصدر السابق/ ص١٨٦.

(3) - المصدر السابق/ ص١٩٩ ـ ٢٠٠.

ـ وعن أبي عبدا لله(ع) قال: كان رسول ا لله(ص) إذا رئـي في الليلـة الظلمـاء رئي له نور كأنه شقة قمر»[1] .

ـ وعن أبي عبدا لله(ع) قال: نزل جبريل(ع) على النبي(ص) فقـال: يـامحمد إنّ ربّك يقرئك السلام ويقول: إنّي قد حرّمت النّـار علـى صلـب أنزلـك وبطـن حملـك وحجر كفلك، فالصلب صلب أبيك عبدا لله بـن عبدالمطلـب، والبطـن الـذي حملـك فآمنة بنت وهب وأمّا حجر كفلك فحجر أبي طالب»[2] .

أقول وأين هذا من كلام العامة التي تقول بشرك آباء النبي؟ وتـورد حديثـاً عـن كفر أبي طالب كافل الرسول(ص) ونصـيره، حديـث الضحضـاح. يقـول الـرازي في التفسير: قالت الشيعة: إن أحـداً مـن آبـاء الرسـول(ص) وأجـداده مـا كـان كـافراً، وأنكروا أن يقال: إن والد إبراهيم كان كافراً، وذكـروا أن آزركـان عـم إبراهيـم(ع) واحتجوا على قولهم بوجوه: الأول: أن آباء نبينا ما كانوا كفّاراً ويـدل عليـه وجـوه، منها: قوله تعالى: ﴿الذي يراك حين تقوم وتقلبـك في السـاجدين﴾ قيـل: معنـاه أنّـه كان ينقل روحه من ساجد إلى ساجد، وبهذا التقدير فالآية دالـة علـى أن جميـع آبـاء محمد(ص) كانوا مسلمين، فيجب القطع بأن والد إبراهيم كان مسلماً، ومما يدلّ على أن أحداً من آباء محمد(ص) ما كانوا من المشركين قوله(ع): لم أزل أنقل من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات وقال تعالى ﴿إنما المشـركون نجس﴾ ثـم قـال: «وأمـا أصحابنا فقد زعموا أن والد رسول ا لله(ص) كان كافراً، وذكروا أن نص الكتاب في هذه الآية تدل على أن آزر كان كافراً وكان والد إبراهيم»[3] .

وعن أبي عبدا لله(ع) قال، قال رسول ا لله(ص): «خلـق ا لله العقـل فقـال لـه،

---

[1] ـ المصدر السابق/ ص٢٣٢.

[2] ـ المصدر السابق/ ص٢٣٣.

[3] ـ نقلاً عن العلامة باقر المجلسي/ مرآة العقول ص٢٣٣ ـ ٢٣٤. كتاب الحجة.

أدبر، فأدبر ثم قال له أقبل فأقبل ثم قال ما خلقت خلقاً أحب إلي منـك، فـأعطى ا لله محمداً تسعة وتسعين جزءاً ثم قسم بين العباد جزءاً واحداً»[1] .

ـ وعن علي(ع) قال: «الكلمات التي تلقاها آدم من ربه قال يارب بحق محمـد لما تبت عليَّ قال: وما علمك بمحمد؟ قال: رأيته في سرادقك الأعظم مكتوبـاً وأنـا في الجنة»[2] .

ـ وعن فضيل بن عثمان قال: سمعت أبا عبدا لله(ع) يقول: اتقوا ا لله وعظمـوا رسوله، ولا تفضلوا على رسول ا لله(ص) أحداً، فإن ا لله تبارك وتعالى قد فضله»[3] .

ـ وقال مصعب بن عبدا لله قال مالك: ولقد كنـت أرى جعفر بـن محمـد(ع) وكان كثير الدعابة والتبسم، فإذا ذكر عنده النبي(ص) اصفـر، ومـا رأيتـه يحـدث عـن رسول ا لله(ص) إلاّ على طهارة»[4] .

كذلك هو النبي محمد(ص) عنـد الشيعة، معصـوم عصمـة تكوينيـة وتشـريعية، وعارف، عالم.. لا يخفى عليه شيء من أمـور الدنيـا والديـن، طيـب المولـد، لا يـزال يتقلب في الأصلاب الطاهرة من لدن آدم حتى أبيه عبد ا لله بن عبد المطلـب. كـل مـا فيه مقدس، وهو خير خلق ا لله جميعاً، وهو عظيم حياً وميتـاً! غـير أنـه عنـد الجماعـة السلفية، ينزل دركاً لا يليق بمقامه الشريف عند رب العالمين. فهو في أفضـل التقـادير، معصوم فيما يبلغه من أحكام. وهو ما عدا ذلـك ليـس لـه مـا يميزه عـن عامـة القـوم ودهمائهم.. مجرد شخص أمي، جاهل بالحياة ـ حاشـاه ـــ طفـل غريـر أمـام أعـراب الجزيرة العربية.. فيخطىء في مسألة تأبير النخل، ويخطىء فيصيب عمر.. أمـه كـافرة،

---

[1] - بحار الأنوار المجلسي ج١٦ ص٢٢٤.

[2] - المصدر السابق ج١٦ ص٣٦٧.

[3] المصدر السابق/ ج١٦ ص٣٦٧.

[4] - المصدر السابق/ ج١٧ ص٣٣.

أبوه كافر وعمه كافر، وأحفاده من أهل البيت فتانون لا يفقهون.. ولو أن رب العالمين قضى بهلاك من في الأرض وفيهم رسول (ص) لنجّى عمر فقط.. وأنّ في الجنة قصراً لعمر بن الخطاب، يغبطه عليه رسول الله(ص) وهو صاحب الوسيلة الرفيعة.. هذا حيّاً. أما ميتاً، فقبره مجرد تراب لاينفع ولايضر.. وإذا كانت زيارة مسجده، بنية زيارة قبره، فتلك بدعة، لايجوز معها القصر، وقد تدخل صاحبها النار. وهو صاحب الخلق العظيم الذي يروون عنه التبول واقفاً، ويدخل عليه الشيخان وهو كاشف عن فخذه، حتى يدخل عثمان، فيستتر منه الرسول (ص) حياءً. ويستمتع بسماع الدف والغناء حتى يدخل أبوبكر فينكر ذلك .. وهو في نهاية العمر وعند إقباله على الرحيل إلى الرفيق الأعلى، كان يهجر ويخرف..

هذا هو رسول الاسلام عند الإخوة العامة، وهو القداسة نفسها عند الشيعة.. ترى، هل بقي من مبرر لأعداء الشيعة في أن يشككوا في احترام الشيعة لنبي الإسلام(ص) وهم من تمسك بسنته ووصيته، وخالف كل من خالفه من الأصحاب .. وهم من التزموا طريقه وطريق أوصيائه، وعظموا أهل بيته وحملوا مصيبتهم.. فهل بعد الحق إلاّ الضلال!

٥ الإمامة

اختصت أصول الدين عند الشيعة بهذا الأصل الخامس، بعد الأصول الأربعة الأخرى. وخالفهم غيرهم، فاعتبروها فرعاً وليس أصلاً. والذين اعتبروها فرعاً استندوا إلى واقع الإمامة في تاريخ الإسلام، وأنشأوا ما يبرر عدم أصالتها. وامتد الإشكال أكثر من ذلك، إذ اختلف الشيعة في هذا الأصل بعد اعتباره من الأصول. وهل هو من أصول الدين، أم من أصول المذهب. لعل بعض إخواننا العلماء من الشيعة أرادوا بذلك رفع الإلزام عمن لا يتقيد بمذهب الشيعة، فيكون مؤمناً. إذ القول

بالإمامة يلزم التكفير وسلب الإيمان عن غير المعتقدين بها.

والحال أن الإمامة أصل من أصول الدين لا يقوم إيمان بدونها. نعم من لم يستبينها و لم تبلغه، لأسباب وظروف ما، فذلك في حكم من ارتفع عنه الإلزام، على أساس البراءة: ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً﴾ و (رفع عن أمتي ما لا يعلمون.. الحديث) وبيان أمر الإمامة وإزالة الشبهات حولها أصبح أصعب بكثير من أي وقت مضى، لما شهدته من تلبيس وشبهات. ويقوم البيان فيها على عرض النصوص والأدلة العقلية. ولا يجوز التقليد فيها، شأنها في ذلك كالتوحيد وغيره من الأصول. ويعتقد الشيعة أن الإمامة أصل من أصول الدين لا يقوم بدونها إيمان المؤمن.. وهي واقعة في طول النبوة، إذ هي استمرار للبيان الشرعي، وامتداد للنبوة، وهي أيضاً من باب اللطف، إذ لا يعقل ثبوت اللطف في النبوة وارتفاعه في الإمامة، مع أن هذه الأخيرة هي استمرار لنفس الحقيقة.. فلا يعقل أن يحظى عصر النبوة بهذا اللطف، ويغيب ذلك عن باقي الأجيال، وتحال على احتهاداتها في الدين والشريعة. ويؤكد ذلك ما آلت إليه أمور الشريعة ونظام الملة، من أحكام تقوم كلها على الظنون. واختفت الأحكام الواقعية، وبقي الأمر يقوم على إنشاء الوظائف العملية، وتحقيق الأحكام الظاهرية، فكيف يكون من لطفه تعالى أن يبعث النبي في جيل، ليبين لهم الأحكام على النحو الواقعي واليقيني، ويترك الأجيال الأخرى تهيم في أحكام ظاهرية ظنية ضمانها الاطمئنان والقطع!.

ويعتقد الشيعة أن النبي حين توفي أوصى بإمامة علي بن أبي طالب، وأوصى بولاية أهل بيته، وأنذر الأمة من شر ما يلحقها إن هي أقصت أهل البيت عن الخلافة.

ولأن الإمامة هذا شأنها، فإنها كالنبوة من حيث الاختيار. فهي تعين بالنص من الله سواء أكان التعيين على لسان النبي، أو على لسان الإمام السابق له. وبما أن الإمامة لطف فيترتب على ذلك أن لا يخلو منها عصر، إذ كل عصر يقتضي من

اللطف ما يرفع عنه الضلال ويهديه إلى النور: ﴿وإن من أمة إلاّ خلا فيها نذير﴾[1] .

ويستدلون على الاختيار المولوي للإمامة، بما ورد عن إبراهيم ﴿وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن، قال إني جاعلك للناس إماما، قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين﴾ (سورة البقرة: آية/١٢٤).

فجعل الله أمر اختيار الإمامة بيده، ولكنه استجاب لدعوة إبراهيم،وجعل منهم أئمة هادين في أقوامهم.

والإمامة ضرورة، ومن مات وليس في عنقه بيعة لإمام زمانه مات ميتة جاهلية. ويستوي في ذلك حضور الإمام أو غيابه..

وكما أن العقل حكم بعصمة الأنبياء في مقام تبليغ الوحي، فإن نفس الحكم ينطبق على الإمام في مقام بيان الأحكام وتأويل الكتاب. وهو غاية في العلم، إذ يستقي علومه كلها من النبي أو الأئمة السابقين له والإلهام فيما استجد عليه.وتجب طاعة الأئمة كطاعة الأنبياء.. وعصيانهم عصيان لأمر الله تعالى. وقد جاء في الأحاديث وصية النبي في أهل البيت «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي».

وعدد الأئمة عند الشيعة إثنا عشر إماماً أولهم علي بن أبي طالب وآخرهم الحجة المنتظر. وذلك طبقاً لما ورد في صحاح السنة، من أن أمر الأمة لايزال بخير ما ولي أمرها اثنا عشر. وقد أوصى كل إمام بإمام بعده حتى عصر الغيبة. وهم على هذا الترتيب:

١ ـ علي بن أبي طالب ابن عم الرسول وزوج الزهراء(ع) وأبو الحسنين!.

٢ ـ الإمام الحسن بن علي.

---

[1] - سورة فاطر/ آية/٢٤.

٣ ـ الإمام الحسين بن علي.

٤ ـ الإمام زين العابدين علي بن الإمام الحسين المكنى، بالسجاد.

٥ ـ الإمام أبو جعفر محمد بن علي الباقر.

٦ ـ الإمام جعفر بن محمد الصادق.

٧ـ الإمام موسى بن جعفر الكاظم.

٨ ـ الإمام أبو الحسن علي بن موسى الرضا.

٩ ـ الإمام محمد بن علي الجواد.

١٠ ـ الإمام أبو الحسن علي بن محمد الهادي.

١١ ـ الإمام الحسن بن علي العسكري.

١٢ ـ الإمام أبو القاسم محمد بن الحسن المهدي الحجة الغائب(عج).

وقبل إيراد النصوص حول هذه العقائد الشيعية في الإمامة، نحب أن نتوقف عند قضية المهدي عند الشيعة والمسلمين جميعاً..

الإمام المهدي في عقيدة الشيعة

يصف الجبهان عقيدة الشيعة في الإمام المهدي، بنوع من التهكم والجرأة والتجديف: «أظن هذا القائم: قد أصيب بالشلل من كثرة القيام فاضطر إلى القعود لذا أقترح عليكم أن تسموه (القاعد) بدلا من (القائم)»[1] .

مع أن قضية المهدي، مما أجمع عليه رواة الأخبار سنة وشيعة، وجعلوه من علامات الساعة.. وقد حفلت صحاحهم جميعها بأخبار تتعلق بزمن ظهوره، وأوصافه وصفاته، والعالم غداة ظهوره وقبله وبعده.. ولا أرى من علماء المسلمين ومصنفيهم الكبار من أنكر ذلك. إنما الخلاف بين الشيعة والسنة، هو أن الإمام المهدي ــ عند السنة ــ سيولد آخر الزمان في حين يعتقد الشيعة أن الإمام المهدي، من أبناء فاطمة وهو محمد بن الحسن الذي اختفى و لم يسمع له خبر في العصر العباسي، وهو إمامهم الثاني عشر وسيعود في آخر الزمان، حين يوجد له الأنصار الأكفاء والمؤمنون به، ليعيد العدالة إلى مجراها ويصحح دنيا الناس!.

والناظر في هذه القضية، لا يجد فارقاً جوهرياً بين عقيدة الشيعة وعقيدة السنة بخصوص الإمام المهدي..إذ أن الإشكال إن ورد على غيبته بعد ولادته فإن نفس

---

[1] - تبديد الظلام ص٣٥٣.

الإشكال يمكن إيراده على ظهوره وإعجازه في آخر الزمان ويمكننا حل الأمر بنوع من اليسر.

يعتقد العامة أن الإمام المهدي من أهل البيت ومن أبناء فاطمة ويطابق اسمه اسم النبي(ص) وهو يحمل أوصافه، وأنه سيظهر في نهاية الزمن ليقود الناس، وغيرها من الأخبار التي أوردوها عنه كما سنبين.. وهنا يمكننا القول أن كلامهم بولادته المتأخرة لا ينسجم مع فلسفة ظهوره أصلاً..

يقولون أنه سيولد وليس «يظهر» فنقول، نعم فهو قد ولد واختفى. فإن كان الإشكال حول إمكانية خفائه، فبإمكاننا أن نستشكل ذلك على معجزات أخرى حدثت، كرفع الله لنبيه إدريس وعيسى بن مريم واختفاء الخضر!

وفلسفة الشيعة في الإمامة واضحة جداً.. إذ لابد من إمام لكل زمان ومكان.. وضرورته ليست مرتبطة بنهاية الزمان، إذ كل عصر معرض للمفاسد والمظالم، و لم يكن اختفاؤه إلاّ بعد أن همت السلطة العباسية بالإمساك به وقتله..

فظهوره في آخر الزمان، معناه العودة إلى ممارسة مهمته الإمامية، لأنه هو الإمام الثاني عشر، وهذه العقيدة تنسجم مع الحديث: مازال هذا الأمر بخير ما وليكم إثنا عشر.. فالإمام المهدي لن يكون حالة يتيمة في تاريخ الإسلام والإنسانية بل هو متمم مسيرة كان من المفترض أن تستمر لولا اغتصاب الخلافة، وإسقاط خيار الإمامة!

فأسباب ظهوره قبل كل شيء هي أسباب غيبته! وعندما ندقق في الأخبار، نجد أن هذا الإمام هو ابن فاطمة الزهراء، وأحد الأئمة الإثني عشر الذي اختفى و لم يسمع له منذ العصر العباسي خبر. وقد جاء في الخبر الذي رواه أحمد بن حنبل، أن الرسول(ص) قال لابنه الحسين: من صلبك تاسعهم قائمهم.

واسمه «محمد» وهو يطابق اسم رسول الله(ص). فالمشكلة من الأساس مرفوعة..

والخلاف ناشيء من أن العامة رفضت بحمل الإمامة.. ولما كان الإمام المهدي شوطاً أساسياً في مسيرتها المستقبلية حاولوا أن يعتقدوا به على نحو مفصول عن سياق فكرة الإمامة مما أوقعهم في هذا النوع من التسطيح. مع أنه لا دليل لهم على أنه لا ينطبق على شخص محمد بن الحسن.

وقد جاء في مصنفات أهل السنة، خبر الظهور ومواصفات الإمام المهدي(ع) ومنه:

ـ عن عثمان بن أبي شيبة عن معاوية بن هشام عن علي بن صالح عن يزيد بن أبي زياد عن إبراهيم عن علقمة عن عبدا لله قال: بينما نحن عند رسول ا لله(ص) إذ أقبل فتية من بني هاشم، فلما رآهم النبي(ص) اغرورقت عيناه، وتغير لونه قال: فقلت، ما نزال نرى في وجهك شيئاً نكرهه فقال: إنا أهل بيت اختار ا لله لنا الآخرة على الدنيا وإن أهل بيتي سيلقون بعدي بلاءً وتشريداً وتطريداً حتى يأتي قوم من قبل المشرق معهم رايات سود، فيسألون الخير فلا يعطونه فيقاتلون فينتصرون فيعطون ما سألوا فلا يقبلونه حتى يدفعوها إلى رجل من أهل بيتي فيملؤها قسطاً كما ملؤوها جوراً فمن أدرك ذلك منكم فليأتهم، ولو حبواً على الثلج»[1] .

ـ عن أبي سعيد الخدري أن النبي(ص) قال: «يكون في أمتي المهدي. إن قصر فسبع وإلاّ فتسع فتنعم فيه أمتي نعمة لم ينعموا مثلها قط تؤتي الأرض أكلها ولا تدخر منه شيئاً. والمال يومئذ كدوس فيقوم الرجل فيقول: يامهدي اعطني فيقول: خذ»[2].

ـ وعن علي قال: قال رسول ا لله(ص) «المهدي منا أهل البيت يصلحه ا لله في ليلة»[3].

ـ عن سعيد بن المسيب قال: كنا عند أم سلمة فتذاكرنا المهدي، فقالت: سمعت رسول ا لله(ص) يقول: «المهدي من ولد فاطمة»[4] .

ـ عن أنس بن مالك قال سمعت رسول ا لله (ص) يقول: «نحن ولد عبدالمطلب سادة أهل الجنة، وحمزة وعلي وجعفر والحسن والحسين والمهدي»[5] .

---

(1) - سنن ابن ماجة ج٢ كتاب الفتن، باب خروج المهدي ص١٣٦٦.

(2) - المصدر نفسه ص ١٣٦٦.

(3) - المصدر نفسه ص ١٣٦٧.

(4) - المصدر نفسه ص ١٣٦٨.

(5) - المصدر نفسه ص ١٣٦٨.

ـ عن علي رضي الله تعالى عنه عن النبي(ص) قال: «لو لم يبق من الدهر إلا يوم لبعث الله رجلاً من أهل بيتي يملؤها عدلاً كما ملئت جوراً»[1] .

ـ عن أبي سعيد الخدري قال، قال رسول الله(ص): المهدي مني أجلى الجبهة أقنى الأنف يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً ويملك سبع سنين»[2] .

لقد حفلت كتب الصحاح عند العامة بأخبار كثيرة عن ظهور الإمام المهدي وعن زمن الظهور، وقد أخرج أحاديث المهدي كل من الترمذي في السنن وأبي داود في الصحيح وأحمد بن حنبل في المسند والحاكم في مستدرك الصحيحين، والسيوطي في الدر المنثور والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد، وآخرون!.

(1) - سنن أبي داود ج٢ كتاب المهدي ص٥٠٨.

(2) - المصدر السابق ص٣٠٩ ـ ٣١٠.

لماذا الإمام المهدي

لا أنوي الإطالة في هذا المبحث بعد أن أشبعه غفير من العلماء والمفكرين بحثاً وتحقيقاً. وقد ألف فيه محمد الصدر موسوعة بحثية قيمة، كما تعرض له السيد الصدر(رض) في بحثه حول الإمام المهدي، برؤية علمية نافذة. إنما أريد أن أضيف هنا، بأن قضية المهدي، وضرورة الظهور، هي قضية الإسلام ذاته، وقضية الإنسانية كلها. فلا يخفى أن البشرية اليوم بدأت تتطلع إلى مستقبل أفضل تتخلص فيه من كل عذاباتها الراهنة. وهذا المستقبل لا تريد أن تصل إليه بوساطات واقعية، بعد أن أخفق العالم في صياغة مضمون تقدمي لمسيرة البشرية، وبعد أن أضحت فكرة التقدم والتطور لا تقل وهما عن الفكر السحري. إنها تتطلع إلى غد مشرق ومستقبل أفضل على نحو معجز. فالمشكلة هي فيمن يقود هذه الإنسانية الشاردة الضالة، بعد أن تقطعت بها الأسباب و لم تجد لها مخرجاً في ما هو معروض أمامها من خيارات.. وما أكثر خيارات الإنسان وما أكثر ما حفلت به فلسفات البشر من أفكار حالمة.. فكلما استشرف الإنسان وضعاً أفضل لمستقبله، كلما ازداد غرقاً في الطوباويات، وقلل من إمكانية تحقيق مثل هذا المستقبل.. بمقدار ما يحلم الإنسان بمقدار ما يبعد عن واقعه.. وإذا كان حلم البشر بمستقبل أفضل يدل على ضرورة الخلاص، فإن هذا الحلم أيضاً

دليل على انفلات هذا المستقبل من خيارات الإنسان.

إن الحاجة إلى المخلص، تجسدت في مختلف خطابات البشر.. وتعرضت لها الديانات والفسلفات.. فقد كان من دأب الفلاسفة والأدباء السياسيين أن ينسجوا صوراً عن عوالم ومجتمعات خيالية، يعطونها صبغة الواقع، منذ أفلاطون وجمهوريته الفاضلة، والفارابي وآراء أهل المدينة الفاضلة، وانتهاء بمدينة الله للقديس أوغسطين، ومدينة الشمس لكومبانيلا، ويوتوبياتوماس مور.. وأخيراً وليس آخرا يوتوبيا ماركس، ومجتمع اللادولة واللا طبقة.

وإذا كانت الترسيمة الماركسية، على الرغم من ماديتها وواقعيتها المزعومة أخفقت في تحقيق حلمها، فهذا يدل على أن خيار البشر غير البصير بظواهر وبواطن هذا العالم قد لا يفلح في تخليص الإنسانية المعذبة من آلامها.. خصوصاً وأننا نشهد أن العالم كلما تقدم، كلما ازداد همجية وبعداً عن قيم الحضارة الإنسانية.. فلا أحد من العقلاء في هذا العصر يحس برضى عن هذا العالم، والكل يلاحظ تراجع العقل، وحلول ذهنية الطغيان والفساد في الأرض، وعلى تخوم هذا الوعي المأساوي برزت فلسفات تشكك في إمكانية قيام مجتمع العدالة الاجتماعية وتحرر الإنسان.. ودعت إلى نوع من الواقعية والتعايش بين قيم العلم وقيم السحر، قيم التحضر والتخلف. لا بصيص من نور تراه خلف هذه الأطر المستغلقة..

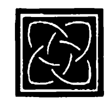
إن رسالة المهدي هي الخلاص.. وهي رسالة الإنسان بلا شك، رسالة الفرد الذي اختير لقيادة هذا المستقبل.. رسالة الإنسان لكنها مطعمة بكتاب سماوي معصوم.. أي القرآن الحقيقي. والقرآن الحقيقي هنا هو التأويل الذي غاب، ولم يُغن عنا وجود القرآن المكتوب في دنيا المسلمين.. إن قيمة الإمام المهدي تكمن في إظهار التأويل الصحيح لهذا القرآن المضموم بين الدفتين! والحاجة إلى الإمام المهدي، هي حاجة إسلامية أيضاً.. بما أن إجماع المسلمين بعد الغيبة يعترف بنهاية الحكم الواقعي.

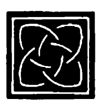
ومع تطور الوقائع والأحداث، أصبح معظم الشريعة قائماً على الأدلة الأصولية الظنية. ولا شك أن الأدلة الأصولية لم تكن سوى حاجة تاريخية، كما يقول السيد الصدر(رض) هذه الحاجة التي كانت تهدف إلى حفظ الشريعة من الاندراس. والأحكام الظنية والأصول الوظيفية لا تفيد واقعاً، وإنما يترتب عليها قطع من شأنه إثبات المعذرية للمكلف، وتنجيز الأحكام. ولا يخفى أن تعبد الأمة على الأحكام الظاهرية، هو تعبد مقبول، لأنه تَحَرٍّ واحتياط في الامتثال لأمر المولى جل وعز.. ولكن هذا لا يغني عن الحكم الواقعي، بالإضافة إلى الكثير من الوقائع التي لا تزال بدون حكم شرعي، واقعة في دائرة الاحتياط أو البراءة.

إن ظهور الإمام هو ضرورة فقهية وتشريعية بالدرجة الأولى.. ولا شك أن الإمام(ع) سوف يقلب مجرى هذه الأصول الاستنباطية التي توسل بها العلماء احتياطاً واجتهاداً، ليحل محلها منهج جده علي بن أبي طالب، وهو التأويل الذي قال عنه الرسول(ص): «ياعلي ستقاتل على التأويل مثلما قاتلت على التنزيل». وكما جاء في القرآن الكريم: ﴿**وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم**﴾ قال الإمام الصادق: «نحن الراسخون في العلم»! ولا أحد يستطيع أن يصادر أهل البيت هذه الأعلمية. والتأويل هو منهج الإسلام الحقيقي في استنباط الأحكام، وهو الإمكانية الوحيدة للنص القرآني كي يجدد معناه ويبين كل الأشياء: «فيه تبيان لكل شيء».

ولعل ما يسميه الشيعة قرآن علي، والذي حاك حوله أعداؤهم تلك الاتهامات المغرضة، هو نفسه القرآن الذي سيأتي به الإمام المهدي(ع)؛ أي ذلك التأويل الذي ضمنه علي القرآن، وأحرقه عثمان فيما أحرقه من القرائين.. والواضح أن عثمان لم يحرق القرآن، قرآن ابن مسعود، أو ابن عباس، وإنما أحرق التأويل، فكأنما بذلك أحرق القرآن. فهل يستطيع أحد أن يزعم من دون تلبيس بأن القرآن اليوم، فيه تبيان لكل شيء، وهل نستطيع بثقافة الشروح والتفاسير القاصرة هذه أن نجعل القرآن

معاصراً لنا.. إن المشكلة تكمن في أن التأويل هو الضمانة الوحيدة للقرآن كـي يخـرج من سجن الماضي وتلبيس الشـراح وأهـل اللغـة الذيـن حرفـوا الكثـير مـن معانيـه! إن القرآن قد عطل و لم يعد هناك من إمكانية لتحريره مـن عقـول تحجـرت علـى شـروح الأجداد وتفاسيرهـم السطحية التي لم تتجاوز إلاّ بعض وجوه هذا القـرآن الـذي اعتـبر حمالاً ذا وجوه. فهل نستطيع القول بأننـا حيـن نشـرح القـرآن أو نفسـره نفعـل شـيئاً جديداً عن الأسلاف المفسرين! إن أعلم الناس بـالقرآن اليـوم، أصبحـوا هـم الحفـاظ، ومعنى ذلك أن الحفظ أصبح يملأ مكان العلم بالقرآن من حيث هو علـم بوجوهـه أي بتأويله. هذا العلم الذي غاب ـ للأسف ـ مـع آخـر الأئمـة مـن أهـل البيـت، وإنـي لأعجب أن يقضي الرجل سنين طويلة في حفظ القرآن حرفياً، فلا يفيد شيئاً سوى أنه يتحول نفسه إلى نسخة جديدة. وفي هـذه السـنوات الـتي يقضيهـا في حفـظ حـروف القرآن بإمكاننا أن نطبع أو نبرمج ملايين الملايين من النسخ. ولا أعـني بذلـك الدعـوة إلى العزوف عن القرآن وحفظه لأسباب تعبدية، وإنما يجب أن لا نغفل أن القـرآن هـو في حاجة إلى علم التأويل؛ فالأعلم بالقرآن هو الأعلم بالتأويل، والأحفظ لـه هـو مـن حفظه حفظ دراية! وعلى هذا الأساس، نقول أن العالم اليوم كله أصبح مهدويا، مـن حيث تطلعه الدائم إلى المخلص المجهول، وتعليقه كل الآمال علـى المستقبل علـى نحـو غامض!



المهدوية في الفلسفة

لم يخل زمن من الأزمنة من تطلع إلى غد مشرق وخلاص جميل! ففي كل حضارة، كان هناك أدبٌ لليوتوبيا، يمثل طموحاً إنسانياً خلاصياً. في العصر الإغريقي تنهض اليوتوبيا مع أفلاطون، لتكون بمثابة نموذج لتغيير المجتمع الأثيني، إذ أن الهاجس السياسي الفلسفي عند أفلاطون جعله يتخذ من جمهورية أطلنطا، نموذجاً لنظام سياسي بديل عن النظم الإقطاعية والعبودية المعاشة في عصره.. وفعلاً كانت الديمقراطية وإن في شكلها الأول البسيط، أساساً لكل النظم الديمقراطية حتى عصرنا، وقد كانت حلماً بالنسبة للإنسان غير أن النظم الديمقراطية إلى يومنا هذا لم تستطع أن تخلص الإنسان من كبواته وشقائه، لأنها تتناقض مع البعد الاجتماعي للإنسان، ولأنها لاتحل الأسئلة الكبرى للإنسانية، وإن تجلت فيها نوعاً ما حرية الأفراد. ومثلها جمهورية الفارابي التي كانت تصميماً خيالياً لمجتمع إسلامي يحكمه رجل له من القوة والحكمة ما يعصمه عن الظلم، جمهورية لايستقيم أمرها إلاّ في ظل حكم نبي أو فيلسوف، أي الحكيم! وكأن الفارابي هنا يقصد الشخص الكامل، وليس هناك إلاّ الإمام، إنساناً كاملاً!

ويتجلى الفكر المهدوي في أحد أكبر فلاسفة أوروبا، وأكثرهم شراسة وقسوة على العقل الأوروبي وهو الفيلسوف الألماني فريدريك نيتشه، الذي نذر نفسه لتفكيك العقل الأوروبي وزعزعة أبنيته الشامخة، والتوجه إلى نقد الحقيقة في ذاتها،

تلك الحقيقة التي تنوء بثقل التضليل والتلبيس والحجب التي تكرسها الميتافيزيقا الغربيـة. كان نيتشه الملحد والكافر بكل نظـم عصـره الفـارق في التلبيـس والخـداع، وقـد أدار ظهره لكل ماله صلة بنظام الميتافيزيقا الغربية.. وآمن بشيء واحد فقط، هو الإنســان. والإنسان هنا هو الإنسان المتفـوق، أو الإنسـان الأخـير. وقـد اختـار نيتشـه شـخصية زرادشت مبشراً بهذا الرجل الأخير، الذي قال عنه نيتشه أنه أطول الناس عمراً.. لقـد عايش نيتشه تناقضات الميتافيزيقا الغربية.. شاهد تسلط الكنيسـة علـى أتباعهـا، ورأى مفارقة المعذبين والعبيد وهم يسـتكينون لضعفهـم، فدعـى إلى الرجـل الأخـير، وبشـر بحلول عصر العدمية. وعصر العدمية يبدأ من عصرنا.. عصر ما بعد الحداثة. حيث تيه المعرفة وزعزعة مواقعها.. حيث الفكر يدور حول نفسه، وينهك نفسـه ولا يخـرج إلا بالتيه والعماء! لقد أحيا جيل كامل من الفلاسفة الغربيين هذه التشوية، ليحبكـوا بهـا نظاماً للمعرفة يقوم علـى اللاانتظـام، وينتهـي إلى العبـث! إننـا بـلا شـك نواجـه عصـر العدمية، وهو في ظني عصر الظهور!

وأحب أن أشير إلى مسألة أخرى بخصوص مبحـث الإمـام المهـدي(عـج). لقـد لاحظـت أن نيتشـه وهـو يتحـدث عـن الرجـل الأخـير، اختـار لكتابـه: هكـذا تكلـم زرادشت شخصية فارسية. وقبلـه كـان تومـاس مـور، قـد اعتـبر لغـة جزيـرة يوتوبيـا منحدرة عن الفـارسية.. إن هذه اللّغة العجيبة، تتعلق بتلك العلاقة التي تربط بين الفرس والمهدوية.. والفرس هنا مؤولة بالإسلام، إذ هو مصداق قول الرسول(ص): «لو كان الإسلام في الثريا لناله رجال من فارس»!

وفارس مؤولة بالتشيع أيضاً، ويزيد في ذلك وضوحاً قوله تعالى: **﴿فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أعزة على الكافرين أذلة على المؤمنين يقاتلون في سبيل الله لا يخافون في الله لومة لائم﴾** في التفاسير أنها نزلت في أهل فارس، ومقامها الحديث المذكور!

هذا المزج العجيب، يجعلنا نحس بقضية المهدوية الإسلامية الشيعية وهي تجد لهـا مصاديق في إلهام الفلاسفة والمفكرين. إنها حقاً مفارقة، لكنها مفارقة عجيبة!

المهدوية وعلم الفلك

هذا علم ينطوي على أسرار عظيمة، ويندر من هو محيط بمكنوناته. وقد نهى الإمام علي(ع) عن تعاطيه خوفاً من الخلط، إذ يصعب إحراز الدقة فيه. مع أن الأئمة كانت لهم روايات جمة في هذا العلم، وهو علم الأنبياء!

ولا يخفى على أحد ما يبديه علم الفلك من اهتمام بقضية المستقبل، وفكرة المخلص. وقد تبين أن بداية الثمانينات حين قام أحد المتخصصين الفرنسيين بترجمة مجموعة من رباعيات وسداسيات نوستراداموس من اللغة اللاتينية إلى اللغة الفرنسية (شارل دي فونتبرون) (CHALE DE FOUNTBRUN) كانت تشكل صدمة جديدة للعالم الغربي. خصوصاً وأنهم اكتشفوا أن هذه النبوءات الألف التي خلفها نوستراداموس، تتضمن حقائق ووقائع حدثت في العالم، ابتداء بالثورة الفرنسية حتى حرب الخليج، بل إلى تكهنات أخرى تتعلق بمستقبل الشرق الأوسط ودول البلقان وشمال أفريقيا والاتحاد السوفياتي.. وقد أخرجت هذه النبوءات ضمن شريط — فيلم — بهوليود. وما يهمنا هنا هو أن نبوءات نوستراداموس، تضمنت قضية المهدي المنتظر. المهدي العربي ابن الجزيرة العربية، الذي سيكون على يده وأتباعه سقوط الولايات المتحدة الأمريكية. وقد تبين من خلال «النبوءة والتوراة» أن الاستراتيجية الأمريكية تأخذ بعين الاعتبار الكثير من النبوءات التوراتية. أما ربيبتها إسرائيل فهي تستوحي أكثر سياساتها وخططها من هذه النبوءات التي حفلت بها أسفارها المقدسة.

إن ما نشاهده اليوم من اهتمام بقضية الشرق الأوسط، والجهود الأمريكية لمحاصرة العالم الإسلامي، ما هي إلاّ مصداق لهذا التخوف الخفي الذي تشعر به الولايات المتحدة، ويخطط له كهنتها في البيت الأبيض والكنيست الإسرائيلي!

وإنه لمن المعجزات حقاً، أن يتحدث نوستراداموس عن الإمام المهدي أو العربي (NOBLE MAN)، الذي يرتدي عمامته الشرقية، في حين لازلنا نحن العرب والمسلمين، نعتبرها من القضايا الخيالية أو الخرافية!

وقد حاول أحد الفلكيين الكبار «إرنست ويب» (ERNEST _ WEBB) أن يخطىء نبوءات نوستراداموس انطلاقاً من تكهن جديد يقوم على فهم معين لما أسماه بالحقبة الدلوية، وما تتميز به هذه الأخيرة من استقرار وسلم. وهو بذلك كان يحاول التهدئة من روع المجتمعات الغربية المتوجسة خيفة من المستقبل أكثر من أي شعب آخر. وهذا كله يؤكد بأن طرائق نوستراداموس لم تكن كلها تقوم على المعايير الفلكية، بل أيضاً تقوم على استكشافات داخل الكتب والأسفار المقدسة والمقارنة بينها ودراسات المستقبل بعين الماضي والحاضر، وأيضاً، وهذا هو الأهم، بواسطة الإلهام، فقد كانت له هذه الخاصية الغريبة كما يحكي عنه معاصروه!

لقد جاء في الأخبار أن الإمام لن يظهر حتى تجرب الإنسانية كل الخيارات المطروحة وكل الاتجاهات وكل الأفكار.. وعندما أربط بين عصر العدمية وعصر الظهور، فذلك راجع في اعتقادي إلى أن البشرية اليوم تعيش عصر التفكيك. التفكيك لكل ما هو قائم، والهدم لكل ما هو مشيد، ليفسح المجال إلى بديل أعم وأشمل، هو بديل الخلاص الأخير..

إن العدمية في اعتقادي، تبقى مرحلة أساسية، وضرورية، وحتمية لعصر الظهور! وما نريد الوصول إليه في هذا المطلب، هو أن الشيعة ليسوا هم وحدهم من يعتقد بالمهدوية، إذ أن هذه الفكرة لها مساحة في كل الأديان والمذاهب الفلسفية، بل إنها هي فكرة العالم وحلم الإنسانية قاطبة!

الإمام المهدي والإعجاز العلمي

عقيدة الشيعة في الإمام المهدي، كعقيدة باقي المذاهب الإسلامية، هو أنه إمام شخص، بلحمه ودمه. وليس محض فكرة. وإن كانت الفكرة جانباً أساسياً في هذا التصور الذي يعتبر أهم تصور حضاري عند الشعوب الطامحة نحو المستقبل الأفضل!

وقد حاول الكثير أن يؤولها بالفكرة ويقلل من أهمية الشخص. في حين أن ما تدل عليه الأخبار، هو أنه الشخص الواقعي الذي تتوفر لديه كفاءة القيام بهذه المهمة التنفيذية. فهو شخص منسوب إلى آبائه ويحمل صفات بدنية وجسمية معينة، ويظهر ثم يموت.

وقد أكثر الباحث النفساني د.علي زيعور في إخفاء الجانب الواقعي من عقيدة المهدي، وركز على البعد المعنوي منها. وقد فعل ذلك قبله الكثيرون، وتبعه فيها آخرون.. وعليه، فتلك لم تكن سوى تأويلات، الغرض منها هو إعطاء الصفة الرمزية والمعنوية، وإيجاد نوع من المسوغات لمثل هذه التصورات التي يعز عليهم تصديقها، لأنها وإن كانت ضرورة يقرها العقل إلاّ أنها ليست تجريبية أو محسوسة.وهنا أحب أن أضيف مرة أخرى، أن عصر التفكيك والعدمية الذي بدأ في الفترات الأخيرة يشهد ازدهاراً وتطوراً ملحوظين في دنيا الفكر الأوربي، وبالتالي الإنساني، يعتبر تمهيداً لعصر الظهور، إذ أن كثرة الشك ويأس البشرية من كل الحلول والخيارات المطروحة هي إحدى أسباب ظهور المهدي(ع)، خصوصاً وأن على هامش هذه العدمية، يقف

التأويل كخيار واعد ولكنه غير مؤسس على النحو الدقيق والشامل. كل ما في الأمر أن العصر الآن أصبح يتجه نحو التأويل، ويكيف عقليته على وفقه، وينشىء علاقات مع المعنى تختلف عن السابق. هذا بالإضافة إلى أن قضية الإمام المهدي ترتبط أساساً بالتأويل.. ولكنه التأويل المعصوم من تيه العقول وغلبة الأهواء.. فكما أن العدمية هي مقدمة ضرورية للظهور، فإن ما يشهده العالم من تقدم علمي يتجلى في ثورة المعلومات وتطور المعلوماتية، يعتبر مقدمة لذلك.

لقد شاع في العقائد الإسلامية أن كل نبي يأتي بمعجزة تخص فنون عصره وعلومهم.. وأيضاً كرامات الأوصياء.. والإمام المهدي، بلا شك سوف يأتي بمعجزات تخص عصره.. وحينما نستقرىء الأخبار التي تحدثت عن الظهور نكتشف أن إعجازه له رابطة بما يشهده العصر من اكتشافات في حقل المعلوماتية.. إذ لا سبيل إلى تفسير تلك المعجزات إلاّ بإدراجها في خانة الاكتشافات المذهلة في عالم المعلوماتية والمجال التقني الحديث ومظاهر التطور الذي تشهده حضارتنا المعاصرة!

والإعجاز العلمي في عقيدة الشيعة في المهدي ينقسم إلى قسمين:

١ ـ القسم الأول يتعلق بجملة الأحداث التي وقعت والتي تعتبر مؤشرا على عصر الظهور، والتي وقع منها الكثير بشكل لا يستهان به!

٢ ـ القسم الثاني، هي الوسائل المتطورة التي سيستعملها الإمام المهدي، وتظهر في زمانه.. إن أهم إنجاز لعصر الظهور هو التبسيط والاختزال في العلوم.. وهما ـــ في رأي المنكرين ـ عدوّان للفلسفة ـــ. التبسيط والاختزال يجعلان العلم يتحرر من تعقيداته ويصبح في متناول كل الناس، كما أن عملية الاتصال تخضع لمعجزة عجيبة. إن ما تدل عليه أحاديث عصر الظهور، هو أن معجزاته ليست بالمعنى العجائبي الخارق. وإنّما تدل على أن الإمام ـــ كما جاء في الخبر ـــ سيرقى في الأسباب، أسباب السماوات السبع والأرضين السبع، في إطار إنجازات العلم المعاصر، المتكامل

مع ثورة الاتصالات وتطور المعلوماتية والتقدم التكنولوجي. وكل ما اطلعنا عليه من مظاهر حياة عصر الظهور لم نجد له وجهاً خارقاً أو عسيراً على الاستيعاب بالنسبة إلى مظاهر التقدم العلمي المعاصر!

وغاية القول في عقيدة الشيعة في الإمام المهدي، أنه هو الرجل الأخير ـ حقاً ـ الذي سيعود ليقود معركة الحق ضد الباطل، حيث تتوضح فيها المسائل الكبرى وينقسم العالم فيها إلى خندقين اثنين: قوة الحجة والحق، وقوى الباطل!

أما ما ينوء به التراث الشيعي من أخبار تفصيلية في هذا الشأن فهي فعلاً تثير الانتباه، وهي من الدقة والنظام ما يجعلها أخباراً حاكية عن أحداث وقعت بعد أن كانت مجرد توقعات..

وأعجب من حال المثقف العربي ابن هذا المجال الغارق حتى الآن في أوحال التخلف العلمي، يجعل من نفسه نصير العقل التجريبي. وكم يحس بالنشوة وهو يسخف هذا التصور الذي له أكبر مساحة في عالم الصناعة والتكنولوجيا، مع أن أغلب من يرفض هذه التصورات هم من جنس المثقفين الذين لم يقعدوا ولو مرة في حياتهم أمام جهاز مكروسكوب، ولا حل أحدهم معادلة من نوع درجة أولى..

ويؤسفني أن نقول لهم، قدموا أولاً وقبل كل شيء تحليلاً عن الألغاز التي تحيط بأكثر من ظاهرة كونية، تجري أمامكم، ولستم على شيء حتى تحلوا لغز الأطباق الطائرة ولغز مثلث برمودا وألغازاً أخرى.. إن وقوف تلك العقول الصغيرة أمام مثل هذه الألغاز، يسحب كل مصداقية من أي مستثقف في أن ينعت بالخرافة أي ظاهرة لا يجد لها مبرراً في الخبرة العلمية. هؤلاء حقاً يجهلون العلوم البحتة، ويفتقرون إلى العقل العلمي الذي هو من أكثر العقول تواضعاً أمام ألغاز الكون. فلا وجود للخرافة إذا ما أصبحت الأمور داخلة في نطاق الفرضية!

وهكذا فإن ظهور المهدي من أرقى التصورات التي احتوى عليها التراث الشيعي!

٥ المعاد

الشيعة كباقي الفرق والمذاهب الإسلامية، تعتبر المعاد أصلا من أصول الدين. فكلهم يعتقد بأن الله سوف يبعث الناس في يوم موعود، فينال المطيع جزاءه والعاصي عذابه.. فلا شك في أن هناك جنة وناراً، ويوماً للحساب،وأن الله باعث من في القبور.. و لم يشذ عن هذا الاعتقاد أحد من المسلمين، لابل من جميع الأديان على اختلافها. وقد زخرت نصوص الكتاب والسنة بكلام كثير عن يوم الحساب، ويوم البعث.. فكانت نصوصاً واضحة محكمة لا تسمح بأي نوع من التأويل الذي يبعدها عن حقيقتها. فمن أنكر المعاد، كمن أنكر معلوماً واضحاً من الدين، وكمن كفر بالخالق. ولسنا في حاجة إلى أن نتحدث عن قدرة الخالق في إعادة نشأة الخلق حين البعث، إذا ما آمنا بقدرته على خلقهم.. فالقضية من الناحية العقلية لا تحتاج إلى برهان إذ في ذلك إسراف لا فائدة منه في عصر معجزة العلوم. وقد روي عن الأئمة في حق منكر المعاد أخبار كثيرة، منها:

ـ عن علي(ع) قال قال رسول الله(ص): «لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربعة: حتى يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنّي رسول الله بعثني بالحق، وحتى يؤمن بالبعث بعد الموت، وحتى يؤمن بالقدر».[1] .

إنما حصل الخلاف بين جماعة من المتكلمين والفلاسفة حول طبيعة المعاد، هل هو روحي أم جسماني. وقد تذرع القائلون بالمعاد الروحي بحجج، ظاهرها عقلاني وباطنها عذاب، في حين أن القائلين بالمعاد الجسماني تمسكوا بأدلة واضحة وظاهرة، وعلى ذلك جمهور الشيعة. يقول المحقق البحراني الشيخ يوسف: «إن القول بالمعاد الجسماني من ضروريات الدين، وقد اتفق عليه جميع المليين، ومنكره خارج من ربقة المسلمين، والآيات الكريمة به متواترة، والأخبار المعصومة به متكاثرة فيجب التصديق به والاعتقاد»[2] .

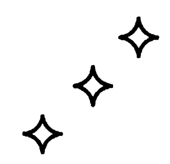
---

[1] بحار الأنوار ج٥ باب القضاء والقدر، كتاب العدل والمعاد ص٧٨.

[2] - عقود الجواهر النورانية (مخطوط) نقلاً عن نهجنا في الحياة، لميرزا محسن آل عصفور، إصدار مجمع البحوث العلمية ج١ ١٢/٦/١٤١٤هـ.

نتيجة المبحث

وهكذا نكون قد وفينا أصول الدين عند الشيعة الإمامية حقها. وقد كان مقصودنا من إيراد هذه الأصول إيصال هذه العقائد إلى أذهان المسلمين من المذاهب الأخرى، ليتعرفوا من طريق مباشر على حقيقة هذه الأصول، فلا يكونوا ضحية التضليل الوهابي المتعسف، الذي طالما أساء في حق هذه الطائفة، وحرف عقائدها أمام الجاهلين بها. وبذلك يتبين لك أخي القارىء، أن هذه الطائفة من المسلمين تتعبد إلى الله بما يتعبد به باقي المسلمين. فإن كان لها موقف خاص في بعض جوانب الاعتقاد، فذلك ـ كشأن مختلف المذاهب والفرق ـ راجع إلى اجتهاد وتصور واعتقاد بحيثيات معينة.



الباب الثالث:

الوجه الآخر للشيعة

دعوتي إلى الأمة، حتى لا أفهم خطأً!

إن الأمر لا يتعلق بقصة يستأنس بها المرء في لحظات من الوحد. ولا هي نوع من الاستيهامات التي اعتاد عليها ضيوف الإمامية الجدد.. ولا هي لبنة تنضاف إلى عشرات اللبنات في ذلك الصرح الضاج بمواقف لانجد لها في نفوسنا إلاّ عناوين، مثل الانتقال الصعب، تلك العناوين التي إن كانت لها دلالة فهي لا تبرح حدود عاطفة جياشة، اختلطت بموضوعية البحث والنظر. حتى لكأنها غدت صرخات احتجاج، أو شماتة هارب من كابوس مزعج لمعانقة فكر جديد من ذات هذه الأمة التي عملت فيها العوامل، حتى فرقت شملها ونخرت بنيانها، وعمقت خلافاتها. وإذا كانت هذه الصرخات تحمل شيئاً من تلك المزاجية التي يجد فيها أصحابها وسيلة للتعبير عما عاشوه وعايشوه من حصار وتعتيم وتضليل. فإنها أيضاً صرخات تحمل دعوة لعودة النضج إلى العقل المسلم أنّى كانت مواقعه، لصياغة موقف أكثر تفهماً وحوارية.

لقد كانت الوحدة الإسلامية ولا تزال همنا الكبير، الذي مهما اختلفنا، لن تكون إلاّ هدفنا المقدس.. وحدة إسلامية ناضجة، تقرب الشقة بين الفرقاء، وتجعلهم بحيث يتفهمون أزمتهم التراثية وضرورة الحسم فيها. إن الوحدة الإسلامية، ليس معناها تجميد الخلاف بإضماره وتأجيله، ليكون كنزاً محفوظاً تتوارثه الأجيال اللاحقة مثلما ورثناه عن أسلافنا.. إن نضجاً كهذا لابد أن نسعى إليه حتى يتولى العلماء مسؤولية البحث في الخلافات التي لن يزيدنا السكوت عنها سوى تأجيجاً لها.

فالوحدة الإسلامية ليست هي موقف الاحتواء المنهي، ولا تأجيل النظر في أزمتنا التراثية. إنما هي وحدة تهدف تبديد ما صنعه السابقون وأورثونا إياه. وأعتقد أن ذلك له صلة بنضج المجتمعات المسلمة، ونضج علمائها ودعاتها، الذين لا يزالون إلى اليوم عاجزين عن استيعاب الاختلاف وسلوك سبيل الحوار. وإننا لنعتقد ـ بكل أسف ـ ما شحنت به كتاباتنا السابقة، تلك التي جاءت حامية، نارية.. وما تركته من صدمات في بعض النفوس، وما أثارته من إرباك في نفوس أخرى.. وأيّاً كان موقفي العقدي، فلست ممن تأخذه العزة بالجهل والجفاء.. لعل الأمر كما سبق رأن قلت عدة مرات، أمر انتقال حرى على ذاتي، وأفقدني هدوئي. ونظراً لما رأيته من فتاوى وتشنيعات، ما كان لي أن أعطيها ذلك الاعتبار.. فإني أعلم حقاً أن من إخواننا أهل السنة من لهم قابلية الحوار. ولقد فوجئت بما أثاره مؤلفي الأول وكذا الثاني، من اهتمام شريحة واسعة من القراء.. منهم المعجب ومنهم المعترض. وأقول بهذا الخصوص، إن كان مبعث اعتراض البعض، موجه إلى الأسلوب القاسي، ولاختراق تلك التابوهات المحرمة الممنوعة، فإن لهم علي أن يؤاخذوني، لأن أسلوباً كهذا لا يمكن أن يؤدي إلاّ إلى ردّة فعل الطرف الآخر، سواء أكان معادياً أو غير متفهم. ولكن الحقائق التي بحثناها، لا زالت تشكل أزمة حقيقية وتحدياً لتراثنا المعرفي بشكل عام.

• الوحدة وإمكانية التقريب

الخطابات والمطارحات التي قدمت في إطار جمعية التقريب، أبانت عن تطلع حقيقي من أبناء المذهبين إلى التوحد في إطار ما بينهم من مشتركات، ونبذ ما من شأنه إثارة الفرقة والخلاف. ولا أحد ينكر جهود العاملين من كلتا المدرستين، من أجل تحرير هذا النزاع التاريخي، وإيجاد أرضية حوارية، تمكن من التقريب بين الإخوة الأعداء، والدفع بهم إلى حيث الواجب والمسؤولية في تحقيق هذه الوحدة التي ظلت حلم الإسلام والمسلمين منذ دبّ فيهم الخلاف، وتملكتهم الفتن.

وقد ظهر في خضم هذا النقاش، ثلاثة اتجاهات في مفهوم الوحدة المتوخاة في حياة المسلمين المعاصرة:

١ ـ اتجاه احتوائي، يرى أن الوحدة تتم بتذويب للمذاهب الأخرى في مذهب واحد.

٢ ـ اتجاه نبذ الخلافات والتوحد على المصلحة العليا للمسلمين والأصول المشتركة وتجميد الخلاف التاريخي.

٣ ـ اتجاه ما يمكن أن ننعته بالتكفير، وهو الذي لا يرى أن هناك أي مجال للقاء والحوار أو الالتقاء.. فهو اتجاه يرى أن الوحدة موجودة وهي التي تتمثل في مذهبه، ويعمل على إقصاء الأطراف الأخرى.

وقد تبين، أن كل هذه الاتجاهات مع تفاوت في الرؤية ومستوى النضج، لم تكن تعبر عن مفهوم الوحدة الإسلامية.

فما يؤخذ على الاتجاه الأول، الاحتوائي، الذي يرغب في تذويب المذاهب في مذهبه الخاص، هو أنه اتجاه متفائل ومثالي، فهو يطمح إلى ما فشل فيه المسلمون عبر قرون من الزمان. وهو يمثل موقفاً غير موضوعي، ينطلق بخلفية حوارية لا تترك للآخر إمكانية الإقناع الإيجابي.

أما الاتجاه الثاني، فهو اتجاه متفائل أيضاً، ويملك شيئاً من النضج، بحيث يدرك مدى فشل المواقف الاحتوائية، فهو يحاول استثمار الواقع الإسلامي على تعدديته في سبيل تحمل المصير المشترك للمسلمين. إلا أنه لا يقدم مشروعاً واضحاً فيما يتعلق بالمعرفة الإسلامية، من حيث هي مجال لتحديات أخرى، تتطلب حسماً معرفياً.

ولسنا بعد ذلك في حاجة إلى الحديث عن الاتجاه الثالث وهو الإتجاه الإقصائي، لأنه لا يحمل أي مبرر معقول في موقفه الهجومي، فهو أحد مظاهر أزمة الأديان والأيديولوجيات جميعاً.

إن الوحدة الإسلامية هي بالدرجة الأساس مطلب معرفي قبل أن يكون سياسياً. لأن الأمة التي تتجلى فيها وحدة الحقيقة، حتماً ستكون أمة موحدة! فإذا ما استطعنا تجميد الخلاف وتأجيل الأزمة، لأهداف نعتبرها عليا، فإن ذلك لن يقدم الأمة خطوة واحدة على طريق الوحدة الحقيقية، مادام أن المعرفة تعاني أزمة مزمنة، وما دام أن تأجيل الأزمة لا يعني نسيانها أو إنهاءها. بل إنه يعني توريثها للأجيال المقبلة، إلى جانب ما سنورثها إياه من مشاكل وأزمات بمزيد من التراكم والتحريف. ومع أن الوحدة المعرفية لا طريق إليها إلاّ بالبحث والدراسة والحوار والإقناع، فإن هذا الأمر من وظيفة النخبة العالمة، بإمكانها أن تواجه هذه المشكلات بكثير من النضج والاستيعاب والتفهم. وذلك عبر مؤسسات للحوار وبحث قضايا الخلاف. ولا شك أن قضية كهذه لها علاقة بنضج المجتمعات، وليس بشيء آخر على الإطلاق.. لأن المجتمع الناضج يسمح بالتعددية والتعايش مع الفكر المخالف مهما كان نوع وحجم هذا الاختلاف. وكما أن القرن الواحد والعشرين يتجه صوب التعددية والتعايش وفكر الخلاف، فأيضاً يتجه نحو نقد الحقيقة وتمحيص المعرفة بقوة وإصرار.

إذا أمكننا أن نتوحد، ونجعل التقارب إطاراً لبحث الخلاف بين الفرقاء، نستطيع أن نتوصل إلى نتيجة إيجابية في إطار وحدة المسلمين.. ومن هنا فإن مشروع التقريب ينبغي أن يكون إطاراً لمعالجة قضايا مثل هذا النوع وليس مشروعاً بديلاً عن وحدة المسلمين التي يبدو أنها أعمق بكثير مما يراه البعض بما أنها تعبر عن ضرورة معرفية!

الوجه الآخر للتشيع

هـــــل التشـــــيع إرهـــــاب؟

هـل العنـف حالـــة مـــن حالاتـــه؟

هـل كـل شـيعي هـو إرهـابي بـالضرورة؟

خلال فترة طويلـة، ارتبـط التشـيع بـالعنف، والإرهـاب، ومـا شـابه ذلـك مـن النعوت التي تحجب الوجه الآخر المشرق له. وهو وجه السلام، والحوار، والتعايش.

لقد ارتبط عنوان التشيع بالعنف، في الحقب التاريخية السـابقة، وفي إطـار زمـني معين. فلقد سلك الكثير من الخلفاء في حق هذه الطائفـة نهجـاً ظالمـاً، مـع أن الوجـه الحضاري المشرق للإسلام، لا يكاد يذكـر دون أن يرتبـط بوجـوه شـيعية علـى شـتى المستويات، في الفكـر والأدب والعلـوم. فـالعنف كظـاهرة اجتماعيـة أو سياسـية، لـه أسبابه الموضوعية المعقولة. فلا يمكننا أن نتصور فكراً عنيفاً دون أن يكون له تاريخه من المظلومية.

فمنذ السقيفة، حينما لم يجد الإمام علي(ع) القدر الكافي لقلب الوضع، لم يشأ

أن يجعلها عنفاً.. وقد فضل هضم حقه على أن يخوضها حرباً ضارية على مناوئيه. حتى إذا جاء الحسن(ع) لم يكن أمامه إلاّ أن يدخل في معاهدة مع معاوية حقناً للدماء، وبعد أن لم يعد له أمل في التغيير. والإمام الحسين(ع) الذي خاض أكبر ثورة في التاريخ، لم يكن يهدف إلى هذا الوضع، بل خيرهم بأن يتركوه ينطلق إلى إحدى الثغور ليقاتل حتى يموت، فرفضوا عليه إلاّ البيعة أو القتل، مما اضطره إلى المواجهة. وهذا حال باقي الأئمة الإثني عشر، لم يحص لهم التاريخ أعمالاً للعنف مشهورة، بل عرفوا بالعلم والتقوى والدعوة بالتي هي أحسن. وقد استطاع الشيعة خلال القرن الرابع الهجري، تشكيل دولتهم على مساحة تمثل أغلبية المجال الإسلامي، من خلال ثلاث دول قوية، «البويهيون والفاطميون والقرامطة». و لم يحص التاريخ في هذه الدول بما فيها الدولة القرمطية مثالاً عن عنف الشيعة وإرهاباً على نحو أسوأ من نظرائهم السابقين.

وإذا كان التاريخ يحكي عن حركة الحشاشين في «ألموت»، فإن ذلك راجع إلى مجازر الأيوبيين في حق الدولة الفاطمية، والمجازر التي قاموا بها في حق كل الشيعة. وقد أفتى بعض المتشددين بكفر الشيعة، مما ترتب عليه القول بإباحة دمائهم وأموالهم ونسائهم.. وفي عهد الحجاج، لم يكن أحد يجرؤ أن يعلن تشيعه، بل لقد كان الناصبي ينادي باسم علي، فإذا التفت أحد من المارة قتله.. إذ حتى اسم علي أصبح جريمة يحكم على صاحبها بالارتداد.. وذلك خلال قرن من الزمن كان علي يلعن من على المنابر. ولعل شهادة حجر بن عدي الذي قتله معاوية لرفضه سبّ عليّ بن أبي طالب، أكبر دليل على حالة الأمة في العصر الأموي..

إن العنف والعنف المضاد، ظاهرة لها أسبابها الموضوعية. ومع ذلك يمكننا القول بأن الشيعة لم يخوضوا إلاّ معارك مفروضة، ودفاعاً عن حقوقهم. و لم يكن جهادهم همجياً أو دموياً، بل كان إنسانياً ومشروعاً، سواء في الماضي أو في التاريخ المعاصر.

ولو تأملنا التاريخ على نحو أعمق من المألوف، لرأينا حقاً أن الشيعة أكثر الفرق الإسلامية حباً للحوار والسلام والتعايش. إذ من المفترض من المظلوم إذا تمكن من أسباب القوة أن يعيث فساداً في الأرض، وأن يقيم مجازر ضد العدو والصديق لا يفرق في ذلك بين ناقة وجمل. فشأن المظلوم إذا تمكن من أسباب الانتقام أن لا يرحم. وهذا ما لم يفعله الشيعة في مختلف الأطوار التاريخية، حيث تمكنوا من إقامة دول ووجدوا فرصاً وإغراءات جمة، لكنهم ثبتوا على المبدأ. وفي تاريخنا المعاصر، رأينا كيف أن الشيعة لم يكونوا أبداً متآمرين بل كانوا دائماً مناصرين للقضايا الإسلامية الكبرى، ومناصرين لقضايا إخوانهم من المذاهب الأخرى.. ففي العراق حيث الأغلبية شيعية، لم يثبت مرة أن صدر عن أحد الشيعة ذكر ما من شأنه القضاء على إخوانهم من السنة.

وقد حاول الإنجليز أكثر من مرة أن يفرقوا بين الشيعة والسنة، لولا علماء الشيعة مثل صاحب ثورة العشرين، السيد الميرزا الشيرازي، وأيضاً آل كاشف الغطاء النجفي. ونفس الشيء حصل مع العلويين بسوريا إبان الاحتلال الفرنسي حينما حاولت فرنسا خلق ما يسمى بـ دولة العلويين المستقلة، فتصدى لها العلويون بعنف، وأعلنوا انتسابهم لباقي المسلمين واعتمادهم شريعة الإسلام وفق المذهب الجعفري فجاء في البند الثاني الذي ضمنوه كراسهم سنة ١٩٣٦م قولهم: «كل علوي لا يعترف بإسلاميته، أو ينكر أن القرآن كتابه وأن محمداً نبيه، لا يعد في نظر الشرع علوياً، ولا يصح انتسابه للمسلمين العلويين». وهو نفس الموقف نجده عند الشيعة في إيران ولبنان والقطيف وغيرها من البلدان الإسلامية. وليس هناك من علمائهم من يكفر أحداً من المسلمين، غير أهل النصب الذين لا وجود لهم في تاريخنا المعاصر، وإن وجدلهم نفر هنا أو هناك، فهم خارجون عن إجماع المسلمين جميعاً في تقديم المودة لمحمد وآل بيته.

ففي الاعتقاد الشيعي، لا يجوز تكفير أحد من المسلمين ما لم يعلن نصبه لآل البيت(ع) أي ما لم يجاهر بعدائه لآل محمد(ص).

إن الوجه الآخر للشيعة، هو وجه الاجتهاد والعمل الصالح، العطاء والبذل لما يصلح أمر الإسلام والمسلمين. لقد كانوا دائماً منارات العلم والمعرفة، ورواد العقلانية الإسلامية، والعرفان الإسلامي. لا تكاد تذكر مفخرة للمسلمين إلاّ وفي طليعتها شيعي. إن إسهامات الشيعة في تراثنا العربي الإسلامي واضحة لكل باحث منصف. وقد استمرت إسهامات الشيعة وطليعتهم على صعيد العلوم الإسلامية، حتى حدود عصرنا، حيث فجر السيد جمال الدين الأفغاني وهو شيعي إيراني أسد آبادي، فتيل النهضة العربية تلك التي استمرت مع محمد عبده، فأثمرت ما من شأنه أن يرفع الأمة العربية والإسلامية. ففي كل عصر وفي كل جيل، كان هناك شيعي بارز، يقدم إسهاماته الرائدة ويحدث إصلاحاً واسعاً ويقوم بأدوار طليعية. وحتى نستطيع حقاً أن نتعرف على الوجه الآخر للشيعة، وجه العلم والمعرفة والإسهام في تقدم حضارتنا وازدهارها، يجدر بنا أن نقدم نماذج منهم ومن تلك العلوم والاختصاصات التي برعوا فيها وشهادات الأغيار حولهم.

أعيان الشيعة منارات خالدة

أي مكابر من أدعياء العلم، يجرؤ على إقصاء هذه الواحة الخضراء من حظيرة التراكم العلمي والمعرفي العربي والإسلامي؟

وماذا كان هذا العقل الشيعي الجبار قادراً أن يفعل لو لم يشغله بطش الخلفاء وملاحقتهم؟ وماذا كان سيقدم للأمة لو خلي له السبيل إلى تفعيل مهارته بشكل أكبر؟!

أو بتعبير أوضح، ماذا خسر المسلمون بحصار الشيعة؟!

ألم يخسروا الكثير من الكنوز، والإمكانات العلمية؟!

لقد قدم العقل الشيعي أخصب مادة أدبية في تاريخ المسلمين، إذ أن الأدب المأساتي الذي تولد عن وعيهم المأساتي، جعلهم يقدمون أعظم روائع الأدب، خصوصاً في الشعر خلال العصرين الأموي والعباسي! أما الفلسفة، فقد كانت تشق طريقها داخل هذا العقل، حتى وصلت قمتها مع أعلام، مثلوا قمة الهرم الفلسفي في العصر الوسيط، وأعظم شراح الفلسفة اليونانية. وكذا في سائر العلوم الطبيعية. فعلى مستوى الشعر الذي يعتبر أفضل فنون القول عند العرب، إذْ لم يدانيهم فيه شعب من الشعوب، ولانافستهم في مضماره أمة من الأمم. وقدكان التراث العربي الشعري، تراثاً حياً ومزدهراً. وازداد إشراقه مع العصرين الأموي والعباسي. خلال هذه الفترة، ظهر شعراء أهل البيت، وشعراء آخرون من عموم الشيعة، كانوا فرساناً في الميدان..

حتى غدا من الصعوبة بمكان، الحديث عن الشعر العربي في هذين العصرين، دون ذكر هذه الأسماء المرموقة، ومنهم الفرزدق والكميت، ودعبل الخزاعي والشريف المرتضى وأخوه الرضي، والسيد الحميري، وصفي الدين الحلي... من شعراء أهل البيت، وآخرون بارزون كأبي الطيب المتنبي، وأبي نواس، وأبي العتاهية وأبي فراس الحمداني، وأبي تمام، وديك الجن، وأبي العلاء المعري..

ولاشك في أن موجة الشعر والشعراء لاتزال ممتدة في العالم العربي والإسلامي حتى في ظل هذا الوضع الرديء من وجودنا العربي، ويمثلها جيل من الشعراء الذين نبتوا في بيئة شيعية، وتغذوا من ثقافتها، شعراء معاصرون مثل الجواهري، والبياتي، وبدر شاكر السياب، ونازك الملائكة، ومظفر النواب، والسيد مصطفى جمال الدين، وعبدالحميد الخطي، وسعيد أبو المكارم.. وعشرات الشعراء الذين تزخر بهم النجف الأشرف والبصرة والقطيف والأحساء والبحرين وغيرها من الحواضر الشيعية.

أما على صعيد الفلسفة فقد تبلورت داخل الفضاء الشيعي بشكل كبير، حتى كان الشيعة أكبر عقل فلسفي، في تاريخ الفكر الإسلامي، بامتياز! ويكفي المسلمين فخراً أن كان من حظيرة هذا العقل الشيعي، قد برز المعلم الثاني الفيلسوف الفارابي، الذي اعتبر محطة تاريخية بارزة في الفلسفة المشائية. وقد بدأت أولى ملامح التفلسف مع متكلمي الشيعة الكبار، مثل هشام بن الحكم، ومؤمن الطاق. وبرز من صفوف الشيعة فلاسفة كبار ومشهورون، كالفارابي وابن سينا، والخواجة نصير الدين الطوسي، والسهروردي وميرداماد، وصدر المتألهين الشيرازي والسبزواري.. وقد كان للشيعة سبق وريادة في مجال تطوير الكثير من المفاهيم الفلسفية، كتلك التي تتعلق بالعلاقة بين الوجود والماهية، ومسألة أصالة الوجود كما بلور مفهومها صدر المتألهين الشيرازي، وهي أهم انقلاب في الفلسفة الوجودية، والتي لا تزال أساساً للوجودية المعاصرة بما فيها السارترية الظاهراتية!.

وفي العلوم الطبيعية والطب والكيمياء والفلك، نلاحظ أن المسلمين، خلال العصر العباسي، أصبحت لهم دورة حضارية. نتيجة اشتغالهم بهذه العلوم ونبوغهم في ميادينها. وقد اشتهر المسلمون يومها بعبقريتهم وانجازاتهم العلمية في الطب والكيمياء والجغرافيا والفلك والحساب. وهنا كان حظ الشيعة بارزاً، وإسهاماتهم مشهورة. وقد اشتهر الإمام الصادق(ع) إمام الشيعة السادس ـ بخبرته الواسعة وعلمه بالكيمياء الذي علمه تلميذه الشيعي، جابر بن حيان، كما لايخفى على أحد تلك الفتوحات التي حققها الرئيس ابن سينا في الطب، حيث غدا مرجعاً أساسياً في هذا الاختصاص، لفترة طويلة في أوروبا. ونماذج كثيرة كالرازي في الطب والفلك، الذي أحدث انقلاباً في الفلك لا يقل عن الانقلاب الكوبرنيكي في أوروبا.

كما نجد للشيعة إسهامات في التاريخ ففي هذا الحقل المعرفي، نجد مجموعة من المؤرخين الكبار من أمثال اليعقوبي والمسعودي، والنوبختي وأمثالهم ممن يشهد بنبوغهم في هذه الصناعة..

أما في علوم اللغة، فإن الفضل يعود إلى علماء الشيعة في نظمها وتقعيدها، منذ أن أملى الإمام علي(ع) على أبي الأسود الدؤلي بعض المحددات اللغوية مثل التقسيم النحوي المشهور للكلمة (الاسم، والفعل، والحرف). وقد استطاع الشيعة بعد ذلك أن يؤسسوا لعلم اللغة وجعلها بحيث تصبح مادة قابلة للتعليم، فظهرت علوم وصناعات في الميدان نفسه، كالنحو والصرف والبلاغة.... فكان الخليل بن أحمد الفراهيدي وهو عالم شيعي أول من أسس علم اللغة ووضع علم العروض، وهو أستاذ سيبويه. كما يعتبر قاموس «لسان العرب» أكبر قاموس عربي، من تأليف ابن منظور العالم الشيعي الكبير..

هذا وفي باقي العلوم الإسلامية، كعلم الفقه وأصوله وعلم الحديث.. فقد كان للشيعة فضل كبير على الكثير من علماء العامة. وقد مدح بعضهم هؤلاء الأعلام

وشهدوا على ثقتهم وغزارة علمهم. ويكفي أن يكون أئمة المذاهب الأربعة ممن تتلمذ على يد الأئمة الشيعة. وقد شهدوا أكثر من مرة على ذلك. فالإمام مالك، حينما يسأل عن الإمام الصادق: يجيب، بأنه أفقه من في المدينة. وقد قال أبو حنفية «لولا السنتان، لهلك النعمان»، أي السنتان اللتان قضاهما تلميذاً للإمام الصادق. هذا مع أن من المحدثين العامة من كان يتتلمذ على علماء الشيعة مثل الكليني الذي شهد دروسه كثير من علماء العامة! وأيضاً الشريف الرضي. وقد خلف أعلامهم رسائل في علم الفقه والأصول والرجال وغيرها من العلوم ما يضيق المقام عن ذكره.

وأعتقد أن الكثير مما حار فيه العامة، له حلول في الفقه الشيعي. ولو انفتحوا على هذه المدرسة لوجدوا أجوبة واضحة عن كثير من الإشكالات الغامضة، ولكن هذا ما خسر المسلمون بحصار الشيعة..

◆ وبعد:

هذا هو الوجه الآخر للشيعة؛ بناءً وعطاءً، ونبوغاً حضارياً مشهوداً في أكثر الميادين. أما على المستوى الآخر، فللشيعة تراث كبير في تقنين علاقة المسلم بالآخر، التي هي علاقة تكافؤ واحترام. فليس هناك شيء أدعى للاحتياط من مسائل الفروج والدماء. إذ من الصعوبة بمكان، أن يتساهل الفقيه في هذه الأمور أو أن يتسرع في إصدار الأحكام حولها.

وقد أصبح شعاراً مقروءاً ومحفوظاً لدى كل الشيعة، بأن الإنسان إمّا أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق. وهو من كلام الإمام علي(ع) لليهودي الذي صاحبه في طريقه إلى الكوفة. إن سيرة الأئمة، وتعاليمهم لشيعتهم، تعتبر تراثاً أخلاقياً نادراً في تاريخ البشر. ووسيلة للتعايش والحوار مع كل الملل والأديان. ويكفي أن انتهى الفقه الشيعي بالقول بطهارة أهل الكتاب، وفي ذلك ما فيه من تيسير على المسلمين المندفعين إلى التعايش السلمي. فإذا كان أمر فقههم كهذا، فليس معقولاً أن يحكم

الشيعة بطهارة أهل الكتاب ولا يرون ذلك لإخوانهم السنة.

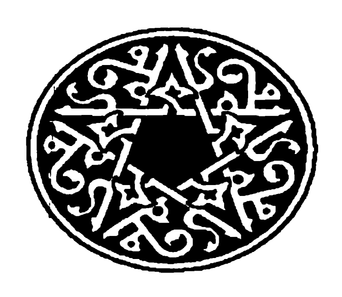
ليس في الفقه الشيعي ولا في فكره ما يفرق ولا ما يدعو للعداء. وليس من تعاليمه السمحة وإنسانيته الرحيبة ما يدعو إلى هجرة وتكفير، أو قتل الأبرياء، أو زعزعة النظام العام والإخلال بالأمن لصالح الفوضى وهوس الاقتتال.

لم يكن التشيع يوماً نهجاً في الإرهاب، ولا مأوى للتآمر، ولا فكراً مغذياً للمراهقة السياسية وعنف المجرمين وعبث العابثين.

كان هناك فقه يوجه كل حركة المسلمين الشيعة. فقه محكم ودقيق.

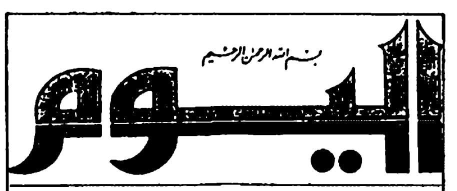
ذلك هو الوجه الآخر للشيعة!

ونسأل الله السلامة!



ملحق الوثائق

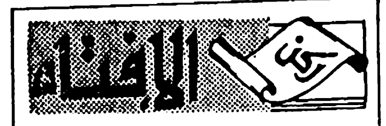
◆ الوثيقة رقم (١)



جريدة يومية تصدر عن دار اليوم للصحافة والطباعة والنشر بالدمام



الجمعة ٢٥ محرم ١٤٠٨هـ ١٨ سبتمبر ١٩٨٧م العدد ٥٢٠٨



اجاب على هذه الفتاوى
اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والافتاء

الحمدلله و الصلاة والسلام على من لانبي بعده و اله وصحبه وبعد .

عليك باتباع احد المذاهب الاربعة

السؤال : ان بعض الناس يرى انه يجب على المسلم لكي تقع عباداته ومعاملاته على وجه صحيح ان يقلد احد المذاهب الاربعة المعروفة وليس من بينها مذهب الشيعة الامامية ولا الشيعة الزيدية فهل توافقون فضيلتكم على هذا الراي على اطلاقه فتمنعون تقليد مذهب الشيعة مثلا .

والجواب : على المسلم ان يتبع ماجاء عن الله ورسوله اذا كان يستطيع اخذ الاحكام بنفسه واذا كان لايستطيع ذلك سأل اهل العلم فيما اشكل عليه من امر دينه ويتحرى اعلم من يتحصل عليه من اهل العلم ليسأله مشافهة او كتابة .

ولايجوز للمسلم ان يقلد مذاهب الشيعة الامامية ولا الشيعة الزيدية ولا امثالهم من اهل البدع كالخوارج والمعتزلة والجهمية وغيرهم واما انتسابه الى بعض المذاهب الاربعة المشهورة فلا حرج فيه اذا لم يتعصب للمذهب الذي انتسب اليه ولم يخالف الدليل من اجله .

نشرت هذه الفتوى في جريدة اليوم قبل يوم من لقاء وجهاء شيعة الاحساء والقطيف مع الملك في ١٤٠٨/١/٢٦هـ .

عليك باتباع أحد المذاهب الاربعة

السؤال : إن بعض الناس يرى أنه يجب على المسلم لكي تقع عباداته ومعاملاته على وجه صحيح أن يقلد أحد المذاهب الأربعة المعروفة وليس من بينها مذهب الشيعة الامامية ولا الشيعة الزيدية ... توافقون فضيلتكم على هذا الراي على إطلاقه فتمنعون تقليد مذهب الشيعة مثلاً ؟

والجواب : على المسلم أن يتبع ماجاء عن الله ورسوله إذا كان يستطيع أخذ الأحكام بنفسه وإذا كان لايستطيع ذلك سأل أهل العلم فيما اشكل عليه من أمر دينه ويتحرى أعلم من يتحصل عليه من أهل العلم ليسأله مشافهة أو كتابة .

ولايجوز للمسلم أن يقلد مذهب الشيعة الامامية ولا الشيعة الزيدية ولا أشباههم من أهل البدع كالخوارج والمعتزلة والجهمية وغيرهم . وأما إنتسابه الى بعض المذاهب المشهورة فلا حرج فيه إذا لم يتعصب للمذهب الذي إنتسب إليه ولم يخالف الدليل من أجله .

حاصلات

KINGDOM OF SAUDI ARABIA
MINISTRY OF P.T.T.

المملكة العربية السعودية
وزارة البرق والبريد والهاتف

ORDINARY — برقية عادية

Prefix No. — الرمز والرقم				رقم الحاصلات
PILOT LINE	WORDS	DATE	TIME	
				تعليمات مصلحية
الوقت	التاريخ	الكلمات	السطر الارشادي	
				INSTRUCTION تعليمات عامة

ختم أو تاريخ

مسلسل المخابرة

وقت الارسال

NAME OF ADDRESSEE — اسم المرسل اليه :

ADDRESS — العنوان :

OFFICE OF DESTINATION — اسم الدولة — اسم الجهة

صاحب المعالي وزير المعارف ... سلمه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. وبعد

ان حكمة وسياسة حكومة خادم الحرمين الشريفين جمع شمل المسلمين وتوحيد كلمتهم بعدما ماتقوم عليه تعاليم الاسلام وتزداد ضرورة في هذه الحقبة تصديا للخطط الرامية الى تبديد قوى المسلمين وتشتيت وحدتهم عبر اهم كتاب التوحيد للصف الثالث الثانوي التي قررت الوزارة تدريسه لهذا العام يجب جعله في المسار المخالف لوحدة الأمة فكيف بوحدة الوطن التي يجب ان ترعى وزارتكم وهي وزارة تربية وتعليم هذا الجانب الهام فبلادنا بحاجة الى وحدة أمة لا الى تمزق وتشتت فالمؤلف يقول (ان التشيع بدعة) فما من مسلم منصف يقبل بذلك واذا كان علماء المسلمين يحتفلون لأنهم يحتفلون بذكرى مولد الرسول الأعظم (ص) غير محتفلين الذين يسمونه كذلك (على حد تعبيره) فهل المبادرهم بالتضليل من منطلق الجهاد الاسلامي والدعوة الى الله ؟! هذا مدى مايثيره المؤلف من البراءة من الرافضة لأنهم يطلقون بعصمة أهل البيت (ع) فهل تتصورون معاليكم ان طالبا شيعيا يجيب على أسئلة في امتحان مدرسي هو طعن في معتقده أليس هذا في حد ذاته خلق للفرقة والعداء بدلا من زرع المحبة والوئام بين ابناء الأمة والوطن الواحد .

انما اذ نرفع لمعاليكم لنا وطيد الأمل في حكمتكم وبعد نظركم فنأمل رفع هذا الكتاب من المنهج جملة وتفصيلا

NAME, ADDRESS, PHONE-NUMBER OF SENDER, AND SIGN. — اسم وعنوان ورقم هاتف المرسل مع توقيعه

PLEASE WRITE THE TELEGRAM IN BLOCK LETTERS
DESTINATION SHOULD BE IN THE END OF ADDRESS

- الرجاء كتابة البرقية بخط واضح
- الرجاء كتابة جهة الورود كآخر كلمة في العنوان
- رقم الهوية الشخصية — تاريخها — مصدرها — نوعها

صاحب المعالي وزير المعارف سلمه الله
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :ـ

إن حكمت وسياسة حكومة خادم الحرمين الشريفين جمع شمل المسلمين وتوحيد كلمتهم وهذا ما تقوم عليه تعاليم الإسلام وتزداد ضرورته في هذه الحقبة تصدياً للخطط الرامية الى تبديد قوى المسلمين وتشتيت وحدتهم غير أن كتاب التوحيد للصف الثالث الثانوي التي قررت الوزارة تدريسه لهذا العام يصب بجملته في المسار المخالف لوحدة الأمة فكيف بوحدة الوطن التي يجب أن ترعى وزارتكم وهي وزارة تربية وتعليم هذا الجانب الهام فبلادنا بحاجة الى وحدة أمة لا إلى تمزيق وتشتيت فالمؤلف يقول (أن التشيع بدعة) فما من مسلم حصيف منصف يقول بذلك وإذا كان علماء المسلمين مضلين لأنهم يحتفلون بذكرى مولد الرسول الأعظم (ص) غير جهلتهم الذين يـ كذلك (على حد تعبيره) فهل إشهارهم للتضليل من منطلق الجهاد الإسلامي والدعوة الى الله ؟! هذا عدا ما يقرره المؤلف من البراءة من الرافضة لأنهم يقولون بعصمة أهل البيت (ع) فهل تتصورون معاليكم أن طالباً شيعياً يجيب على أسئلة في امتحان مدرسي هو طعن في معتقده أليس هذا في حد ذاته خلق للفرقة والبغضاء بدلاً من زرع المحبة والوئام بين أبناء الأمة والوطن الواحد .

إننا إذ نرفع لمعاليكم لنا وطيد الأمل في حكمتكم وبعد نظركم فتأمروا برفع هذا الكتاب من المنهج جملة وتفصيلاً فنحن اليوم بحاجة ماسة لوحدة المشاعر والتغلب على الفرقة وهذا مايؤكده دائماً قائد مسيرة العلم والتعليم خادم الحرمين الشريفين . وفقكم الله .

بســـم الله

لمكة العربية السعودية
رة الشئون البلدية والقروية
لة الوزارة للشئون الفنية
محـ البيئة

تعميم لجميع الأمانات والمديريات وبلديات المناطق والبلديات والمجمعات القروية المرتبطة بالوزارة

معالي

سعادة / أمين مدينة الدمام

بعد التحية،

إشارة إلى خطاب سماحة الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد رقم ٢/١٢٥ في ١٤٠٩/١/١٩هـ حول طلب توجيه الأمانات والبلديات بمراقبة ومتابعة الجزارين العاملين بالمسالخ وإلزامهم بمعرفة أحكام الذبح الشرعي وأن لا يمكن من ممارسة هذا العمل، إلا من يثبت أنه مسلم صحيح المعتقد ينكر الخرافات كعبادة القبور وغيرها مما يعبد من دون الله وينكر جميع المعتقدات والبدع الكفرية كمعتقد القاديانية والرافضة وغيرها ويعرف بالمحافظة على الصلاة وعدم التساهل بشأنها لكونها عمود الإسلام وتركها كفر أكبر على أصح قولي العلماء. كما ينبغي تهيئة مكانه في ... خاص للصلاة يؤدي فيه الجزارون وغيرهم الصلاة في أوقاتها.

نرغب إليكم الاطلاع والحرص على تنفيذ ما تضمنه خطاب سماحته.

ولكم تحياتنا ... ...

وزير الشئون البلدية والقروية

إبراهيم بن عبد الله

ع/ف

١٦/٢/١٤٠٩

الرقم ٩٩٩/٥/و ف التاريخ ... المرفقات ...

وزير البَلديات يصادق في ١٤ / ٢ / ١٤٠٩ هـ على فتوى بن باز بمنع الشيعة ممارسة مهنة « الجزارة » لانهم كفار ، وطبّق ذلك في مناطق يسكنها الشيعة وحدهم ! .

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
وزارة الشؤون البلدية والقروية
وكالة الوزارة للشؤون الفنيّة

تعميم لجميع الأمانات والمديريات وبلديات المناطق والبلديات والمجمعات القروية المرتبطة بالوزارة

سعادة / أمين مدينة الدمام
بعد التحيّة ،

إشارة الى خطاب سماحة الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد رقم ١٤٥ / ٢ في ١٩ / ١ / ١٤٠٩ هـ حول طلب توجيه الأمانات والبلديات بمراقبة ومتابعة الجزارين العاملين بالمسالخ وإلزامهم بمعرفة أحكام الذبح الشرعي ، وأن لا يمكّن من ممارسة هذا العمل إلّا من يثبت أنّه مسلم صحيح المعتقد ، ينكر الخرافات كعبادة القبور وغيرها ، مما يعبد من دون الله ، وينكر جميع المعتقدات والبدع الكفرية كمعتقد القاديانية والرافضة وغيرها ، ويعرف بالمحافظة على الصلاة وعدم التساهل بشأنها لكونها عمود الإسلام وتركها كفر أكبر على أصح قولي العلماء . كما ينبغي تهيئة مكان في المسلخ خاص للصلاة يؤدي فيه الجزارون وغيرهم الصلاة في أوقاتها .

نرغب اليكم الإطلاع والحرص على تنفيذ ما تضمّنه خطاب سماحته .

ولكم تحياتنا .

وزير الشؤون البلدية والقروية
ابراهيم بن عبد الله العنقري
١٤ / ٢ / ١٤٠٩ هـ

حضرة صاحب السمو الملكي أمير المنطقة الشرقية المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد

إن جلالة والدكم المعظم قد أشرككم أمر هذه المنطقة حين وجد في سموكم الرجل الكفء لحمل الأمانة والقيام بمهام المسؤولية . فهنا [illegible] بهذه الثقة السامية لأن سموكم يتمتع بحيوية [illegible] [illegible] العلم . وهو في ذات الوقت يحمل رأي هذه الأمة . فهو بالتالي أقدر على حقوقها [illegible] التوجيه . ويجري سموكم على تقويم هذه المجموعة وهو حريص على إشاعة العدل بعدم الاستمرار الحكم في ظل تشريع الله تبارك وتعالى . ومن هنا لا زالت الأفراح تعم الجميع متمثلة في الاحتفاء والتكريم وإظهار الولاء الدائم من الجميع . وبإدراك من ذلك بادرنا بأول فرصة لطرح قضايانا ومشاكلنا أمام سموكم [illegible] واستمر الصبر والسلوان يأخذ مجراه في شكل اجتماعات ومقابلات وكتب وبرقيات وأوصينا نفوسنا الثقة بأن يكون الانفراج على يد سموكم المباركة لأولئك الذين [illegible] كما تكتسبه [illegible] صفة المواطنة . حتى كان آخر اجتماع بسموكم في آخر شهر رجب عام ١٤٠٥هـ فكان سموكم في توجيه لما عرضناه من قضايا [illegible] في الإطالة والشمول والوعي بأهمية الاستجابة . ومع أن شيئا منها لم يتحقق مع مرور الزمن وقد أخذ معنا التعامل يأخذ منعطفا خطيرا جدا . وأهم ما يتمثل فيه :

أولا - سلب صلاحية محكمة الأوقاف والمواريث . حتى في تناولها العلاقات الزوجية فقد [illegible] كالنظر في دعاوى الأوقاف والمواريث وأن المحاكم لا تقيم أي وزن لما يصدر منها [illegible] المواضيع الخاصة بقضايا الشيعة .

٢ - أما عدم الاعتراف من قبل المحاكم وكتاب العدل والدوائر الأخرى بجميع الأحكام الصادرة والتي تصدر منها والتي صدرت من قضاة الشيعة السابقين . والحقيقة أننا لا نعرف تفسيرا لهذا . الذي نعرفه أن قضاة الشيعة السابقين ومحكمة الأوقاف والمواريث الحالية معتمدون من الدولة [illegible] الشيعة وطبق مذهبهم . وإذا كانت بعض آرائهم الفقهية لا تتوافق آراء المذاهب الأخرى فهم لم يخرجوا عن كونهم مسلمين لهم [illegible] وشعائرهم وهم لا يختلفون عن بقية الفرق الإسلامية في الاختلاف فيما بينها في الآراء الاجتهادية والفقهية . [illegible] آرائهم [illegible] على الأخذ [illegible] وتصرفات وأحواله الشخصية . [illegible] على الأخذ بالاجتهاد [illegible] ثم إن الإصرار على نبذ صكوك الشيعة يضعنا في كارثة لا مخرج منها ويؤدي بالتالي إلى مصادرة المصالح العائدة إلى أصحابها [illegible] البلدية وإدارة [illegible] بانتظار أن يتقدم أصحابها إلى تلك الجهات بصكوك [illegible] كاتب العدل [illegible] الأملاك والأوقاف التي انتزعت منذ [illegible] [illegible] صكوكا والمحاكم لا تعترف بشرعية إثباتنا وهذه حسب

رابعا - منعنا من الاستمرار في بناء المساجد والحسينيات رغم أنها كانت قائمة قبل وبعد دخول الملك عبد العزيز - رحمه الله - وما زال [illegible] منها قائما [illegible] عهد قريب . وهل الحسينيات إلا [illegible] تعليم لتعاليم الإسلام وإرشاد لاتباع تعاليمه وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر . ولم نجد ما يقال فيه مبررا يمكن حمله على غير ما هو عليه .

سلب قضاء الشيعة صلاحياته .

رسالة الى امير الشرقية تكرر الإعتراض في ١٨ / ٥ / ١٤٠٦ هـ .

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة صاحب السمو الملكي أمير المنطقة الشرقية المحترم .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد . . .

إن جلالة والدكم العظيم قد استرعاكم أمر هذه المنطقة حيث وجد في سموكم الرجل الكفء لحمل الأمانة والقيام بمهام المسؤولية ، وتباشر ابناؤها بهذه اللفتة السامية ، لأن سموكم يتمتع بحيوية الشباب المؤمن ، ويتحلّى بروح العلم . وهو في ذات الوقت نجل راعي هذه الأمّة . فهو بالطبع أحرص على حقوقها .... وحرص سموكم على حقوق هذه المجموعة هو حرص على ديمومة العدل ودعم لاستمرار الحكم في . تشريع الله تبارك وتعالى .

ومن هنا لازالت الأفراح تعمّ الجميع ممثلة في الإحتفاء والتكريم وإظهار الولاء الدائم من الجميع .

وبإدراك من ذلك بادرنا بأول فرصة لطرح قضايانا ومشاكلنا أمام سموكم بوضوح وإخلاص وتجرّد ، واستمر العرض والبيان يأخذ طريقه في شكل اجتماعات ومحادثات وكتب وبرقيات ، وقلوبنا تغمرها الثقة بأن يكون الإنفراج على يد سموكم المباركة لأولويات هي في منتهى البداهة كحق يكتسبه المواطن بصفة المواطنة . حتى كان آخر اجتماع بسموكم في آخر شهر رجب عام ١٤٠٥ هـ .فكان سموكم في تفهمه لما طرحناه من قضايا قمّة في الإحاطة والشمول والوعي بأهمية الإستجابة .

وحيث أن شيئاً ـ ما ـ لم يتحقق مع مرور الزمن ، وقد أخذ معنا التعامل منعطفاً خطيراً جداً ، واهم ما يتمثل فيه :

أولاً : سلب صلاحية محكمة الأوقاف والمواريث ، حتى في نظرها للعلاقات الزوجية فضلاً عن اي موضوع آخر ، كالنظر في دعاوى الأوقاف والمواريث ، وأن المحاكم لا تقيم أي وزن لصك صادر منها ؛

أي موضوع من المواضيع الخاصة بقضايا الشيعة .

ثانياً : عدم الإعتراف من قبل المحاكم وكتاب العدل والدوائر الأخرى بحجج الإستحكام الصادرة او التي تصدر منها أو التي صدرت من قضاة الشيعة السابقين . والحقيقة أننا لا نعرف تفسيراً لهذا . الذي نعرفه أن قضاة الشيعة السابقين ومحكمة الأوقاف والمواريث الحالية معتمدون من الدولة ويحكمون بما يخصّ الشيعة وطبق مذهبهم . وإذا كانت بعض آرائهم الفقهية لا توافق آراءاً فقهية أخرى ، فهم لم يخرجوا عن كونهم مسلمين لهم حقوقهم ومشاعرهم وهم لا يختلفون عن بقية الفرق الإسلامية في الإختلاف فيما بينها في الآراء الإجتهادية والفقهية .

فطرح آرائهم جانباً وحمل ا لشيعي على الأخذ بخلاف مذهبه في وقفه وميراثه وأحواله الشخصية . إكراه له على الأخذ بما لا يعتقد ـ ولا إكراه في الدين ـ . ثم إن الإصرار على نبذ صكوك الشيعة يضعنا في كماشة لا مخرج منها ، ويؤدي بالتالي الى مصادرة المبالغ العائدة الى اصحابها لقاء ما نزعتها البلدية وإدارة الطرق وغيرها ، بانتظار أن يـ[illegible] ـصحابها الى تلك الجهات بصكوك يقبلها كاتب العدل لإفراغ الأملاك والأوقاف التي انتزعت منذ سنتين ولكي يقبض أعواضها ، فكتاب العدل لا تقبل صكوكنا والمحاكم لا تعترف بشرعية أوقافنا .

رابعاً : منعنا من الإستمرار في بناء النوادي الحسينية ـ الحسينيات ـ رغم انها كانت قائمة قبل وبعد دخول الملك عبد العزيز ـ رحمه الله ـ ومازال السماح بها قائماً حتى عهد قريب . وهل الحسينيات إلاّ مواضع تعليم لتعاليم الإسلام وإرشاد لإقتفاء تعاليمه ، وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر . ولم يعد ما يقال فيها سراً يمكن حمله على غير ما هو عليه .

إننا لم نعد نطالب بالإصلاحات الضرورية ، وقد كان ذلك من ذي قبل نحس أن لنا كرامة المواطن المسلم . أما ونحن نعاني ما أشرنا اليه ، الأمر الذي يشكك في إسلامنا وربما انسحب على ولائنا ، فإننا نؤكد حقيقة ساطعة كسطوع الشمس في رابعة النهار هي أننا مسلمون

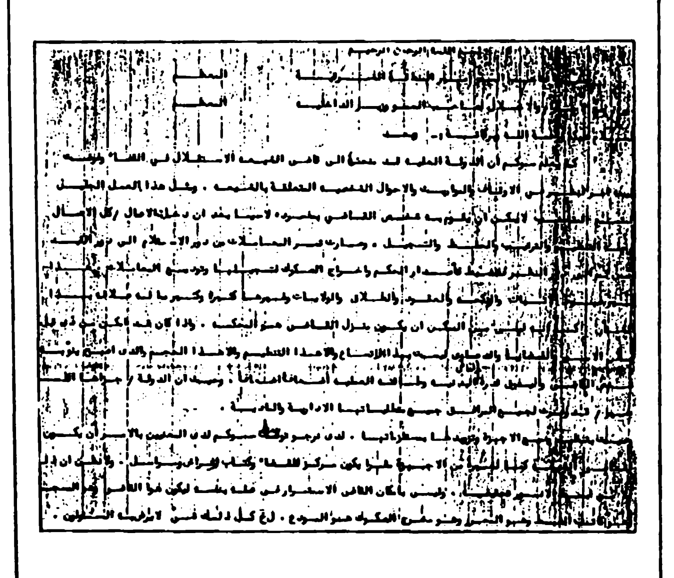
مواطنون مخلصون للدولة السعودية ، لا انتماء لنا سوى هذين .

لذلك نرجو سموكم التدخل السريع بحل مشاكلنا الآنفة الذكر باعتماد الصكوك السابقة واللاحقة وحصر دعاوى الوقف والميراث والأحوال الشخصية بمحكمة الأوقاف والمواريث ، ومنحها إصدار حجج الإستحكام في هذين الفرعين ، والسماح لنا ببناء المساجد على نفقاتنا الخاصة مع الحسينيات .

وتقبلوا سموكم أسمى الإحترام

١٨ ـ ٥ ـ ١٤٠٦ هـ

♦ الوثيقة رقم (٥).



بسم الله الرحمن الرحيم

[illegible] المحترم

[illegible] الداخلية المحترم

[illegible] وبعد

كما يعلم سموكم أن الدولة العلية قد منحت الى قاضي الشريعة الاستقلال في القضاء [illegible] الاوقاف والوصاية والاحوال الشخصية المتعلقة بالشريعة . ويشمل هذا العمل الجليل [illegible] لا يمكن ان يقوم به شخص القاضي بمفرده لانها بعد ان دخلت الاعمال [illegible] الاعمال [illegible] والترتيب والتنظيم والتسجيل . وصارت [illegible] المعاملات من دور الاعلام الى دور [illegible] للضبط واصدار الحكم واخراج الصكوك وتسجيلها وتوزيع المعاملات [illegible] والتركات والعقود والطلاق والولايات وغيرها كثيرا وكثيرا ما [illegible] ان يكون منزل القاضي هو المحكمة . واذا كان قد [illegible] القضايا [illegible] الاتساع والاعداد التنظيم والاعداد الحجم والذي اصبح [illegible] والتنقل [illegible] العليا [illegible] . وحيث ان الدولة [illegible] جميع متطلباتها الادارية والمادية .

[illegible] . لذا نرجو [illegible] سموكم لدى [illegible] بالامر أن يكون [illegible] مركز القضاء [illegible] وكتاب [illegible] . [illegible] وليس بامكان القاضي الاستمرار في عمله [illegible] ليكون [illegible] وهو [illegible] المحكمة هو الموضوع . [illegible] .

. رسالة الى امير الشرقية ووزير الداخلية
تطالبهما بتوفير حقوق القاضي الشيعي اسوة بغيره من القضاة ! .

حضرة صاحب السمو أمير المنطقة الشرقية المعظم
صورة / مع الاحترام والإجلال لصاحب السمو وزير الداخلية المعظم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :ـ

كما يعلم سموكم أن الدولة العلية قد منحت الى قاضي الشيعة الاستقلال في القضاء وفوضت اليه أمر النظر الى الأوقاف والمواريث والاحوال الشخصية المتعلقة بالشيعة . ومثل هذا العمل الجليل المتسع المتشعب لايمكن أن يقوم به شخص القاضي بمفرده لاسيما بعد أن دخلت الأعمال / كل الاعمال مرحلة التنظيم والترتيب والحفظ والتسجيل ، وصارت تمر المعاملات من دور الاستلام الى دور القيد ومن ثم الى دور النظر فالضبط فاصدار الحكم وإخراج الصكوك فتسجيلها وتوديع المعاملات . هذا غير ضبوط الإثبات والإنكحة والعقود والطلاق والولايات وغيرها كثيراً وكثير مما له علاقة بهذا الشأن . كما انه ليس من الممكن أن يكون منزل القاضي هو المحكمة . وإذا كان قد أمكن من ذي قبل فلإن الامور والقضايا والدعاوى ليست بهذا الإتساع وهذا التنظيم وهذا الحجم الذي أصبح ينوء به شخص القاضي ويفوق قدرة القاضي البدنية وطاقته العملية أضعافاً أضعافا . وحيث أن الدولة / جزاها الله خير / قد وفرت لجميع المرافق جميع متطلباتها الإدارية والمادية وعنيت بتنظيم جميع الأجهزة وتزويدها بمستلزماتها . لذا نرجو توسط سموكم لدى المعنيين بالامر أن يكون لقاضي الشيعة كما لغيره من الاجهزة مقراً يكون مركز للقضاء وكاتب وفراش ومراسل ولانظن أن ذلك إلا من ابسط الامور تحقيقه . وليس بإمكان القاضي الإستمرار في عمله بنفسه ليكون هو القاضي وهو المسجل وهو كاتب الضبط وهو المحرر وهو مخرج الصكوك وهو المودع .. الخ كل ذلك شيء لايرض به المسؤولون .

◆ الوثيقة رقم (٦)

بسم الله الرحمن الرحيم

خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز   حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :-

على اثر مايعانيه ابناؤكم المواطنون السعوديون الشيعة من مرارة الحرمان وقسوة المعاناة بابعادهم عن التكسب والعمل في بلادهم رفعنا لمقامكم السامي برقيا برقم ٦٠ وتاريخ ١٤١١/٥/٢٠هـ أوضحنا فيها مايعانونه من البؤس ولذعة الجوع ، وسوء الحالة التي يعيشونها رجالا ونساءا عجزة واطفالا ، بسبب ماقامت به شركة ارامكو وتبعها غيرها من الشركات والمؤسسات بعدم قبول أي شيعي للتوظيف مهما كانت مؤهلاته او شهاداته حتى ولو كان حاملا من حملة البكالوريوس او الماجستير في الوقت الذي يوظف غير الشيعي حتى ولو لم يكن لديه أي مؤهل . ولم تكتف ارامكو بالتوقف عن توظيف الشيعة فقط بل انها ابعدت ذوى القدرات والكفاءات من مناصبهم وانزلت البعض الى وظائف ادنى . مما جعل المواطن الشيعي لايلاقي سوى الرفض وعدم القبول في بحثه عن الوظيفة او العمل . فيعود ادراجه قابعا في بيته يجر اذيال الخيبة يجتر الآمه واحزانه وهو في بلده الذي هو منبع الخير وأصل العطاء . وكنا نعتقد ان مقامكم السامي بمجرد اطلاعه على برقيتنا وعلمه بما آلت اليه أوضاع ابنائه من البؤس والجوع بسبب ايصاد منافذ الرزق والعمل في وجوههم ، اعتقدنا انه سيصدر أمركم السريع الحاسم برفع هذا الحرمان وفتح ابواب العمل لهم على ارضهم وفي بلدهم الذي عاش فيه اباؤهم واجدادهم منذ الاف السنين . وان يعاملوا بالمساواة كغيرهم من بقية المواطنين دون فرق بين شيعي او سني نظرا لما نعتقده في شخصكم من صفة الحاكم العادل الذي هو مسئول عنا امام الله سبحانه ، لاننا وبقية المواطنين نعيش تحت ظل حكومتكم المظلة . لذلك استغربنا من تمادي شركة ارامكو وغيرها من الشركات والمؤسسات في التعنت واصرارها على التمييز والتفرقة بين مواطن وآخر دون سبب سوى انهم شيعة فقط . وكأن هذا المذهب الذي هو أحد المذاهب الأسلامية جريمة لاتغتفر . وهذا تعد سافر وظلم فظيع لانرضونه لانكم الحاكم العادل واذا لم نفزع لمقامكم السامي وانتم المسئول عنا بعد الله سبحانه فالى من نفزع ؟ والى من نلجأ لبث شكوانا الا اليكم . لذا نعود لمقامكم والثقة تملأ قلوبنا . والأمل يغمر نفوسنا لانقاذ هذا البلد الغالي من معاناته ومحنته ورفع هذا الظلم الواقع عليه باصدار أمركم القاطع الحاسم والعاجل لأرامكو وغيرها من الشركات والمؤسسات بان تعامل الشيعة كمعاملة بقية المواطنين في افساح المجال امامهم للعمل وان يكون وضعهم او توظيفهم خاضعا لنفس الشروط والمقاييس التي يخضع لها غيرهم تحقيقا للعدالة ودرءا للمفاسد والأخطار المترتبة على تفشي البطالة والعوز والحاجة وكيلا يحس ابناء هذا الوطن باليأس والأحباط وهم يرون خيرات ارضهم تعم القاصي والداني لافي داخل المملكة وحسب بل وفي البلاد العربية والاسلامية وهم منها محرومون . وختاما نجدد ونكرر مرة اخرى برقيتنا باصدار امركم الكريم بالغاء اى نوع من انواع التفرقة والتمييز بين أبناء هذا الوطن الغالي علينا جميعا حفظكم الله ذخرا لهذا البلاد . وحفظها له من كل سوء .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ...

احتجاج يقدّمه اعيان الشيعة الى الملك بشان عدم توظيف المواطنين الشيعة في ارامكو والمؤسسات الحكومية والاهليّة الاخرى .

خادم الحرمين الشريفين فهد بن عبد العزيز حفظه الله

السلام عليكم ورحمة اللهوبركاته :ـ

على اثر ما يعاني أبناءكم المواطنون السعوديون الشيعة من مرارة الحرمان وقسوة المعاملة بابعادهم عن التكسب والعمل في بلادهم رفعنا لمقامكم السامي برقيا برقم ٦٠ وتاريخ ١٤١١/٥/٣٠هـ أوضحنا فيها مايعانونه من البؤس ولذعة الجوع ، وسوء الحالة التي يعيشونها رجالا ونساءا عجزة وأطفالا ، بسبب ما قامت به شركة أرامكوا وتبعها غيرها من الشركات والمؤسسات بعدم قبول أي شيعي للتوظيف مهما كانت مؤهلاته أو شهادته حتى ولو كان جامعيا من حملة البكلوريوس أو الماجستير في الوقت الذي يوظف غير الشيعي حتى ولو لم ي[illegible] أي مؤهل ، ولم تكتف أرامكو بالتوقف عن توظيف الشيعة فقط بل إنها ابعدت ذوي القدرات والكافاءات عن مناصبهم وأنزلت البعض الى وظائف أدنى ، مما جعل المواطن الشيعي لايلاقي سوى الرفض وعدم القبول في بحثه عن الوظيفة أو العمل ، فيعود أدارجه قابعا في بيته يجر أذيال الخيبة يجتر الامه وأحزانه وهو في بلده الذي هو منبع الخير وأصل العطاء ، وكنا نعتقد أن مقامكم السامي بمجرد اطلاعه على مرفوعنا وعلمه بما آلات إليه اوضاع أبناءه من البؤس والجوع بسبب إيصاد منافذ الرزق والعمل في وجوههم ، إعتقدنا أنه سيصدر أمركم السريع الحاسم برفع هذا الحرمان وفتح أبواب العمل لهم على أرضهم وفي بلدهم الذي عاش فيه آبائهم وأجدادهم منذ آلاف السنين ، وأن يعاملوا بالمساواة كغيرهم من بقية المواطنين دون فرق بين شيعي أو سني نظراً لما نعتقده في شخصكم من صفة الحاكم العادل الذي هو مسؤول عنا أمام اللهسبحانه ، لأننا وبقية المواطنين نعيش تحت علم حكومتكم الخفاق ، لذلك إستغربنا من تمادي شركة أرامكوا وغيرها من الشركات والمؤسسات في التعنت وإصرارها على التمييز والتفرقة بيين

مواطنن وآخر دون سبب سوى انهم شيعة فقط ، وكأن هذا المذهب الذي هو احد المذاهب الإسلامية جريمة لاتغتفر ، وهذا تحد سافر وظلم فظيع لاترضونه لانكم الحاكم العادل وإذا لم نفزع لمقامكم السامي وأنتم المسؤول عنا بعد الله سبحانه فإلى من نفزع ؟ وإلى من نلجأ لبث شكوانا وآلامنا . لذا نعود لمقامكم والثقة تملأ قلوبنا ، والأمل يغمر نفوسنا لإنقاذ هذا البلد البائس من معاناته ومحنته ورفع هذا الظلم الواقع عليه باصدار أمركم القاطع الحاسم والعاجل لأرامكوا وغيرها من الشركات والمؤوسسات بأن تعامل الشيعة كمعاملة كبقية المواطنين في إفساح المجال أمامهم للعمل وأن يكون رفضهم أو قبولهم خاضعا لنفس الشروط والمقاييسس التي يخضع لها غيرهم تحقيقا للعادلة ودرءاً للمفاسد والأخطار المترتبة على تفشي البطالة والعوز والحاجة وكي لا يحس ابناء هذا الوطن باليأس والاحباط وهم يرون خيرات أرضهم تعم القاصي والداني لافي داخل المملكة فحسب بل وفي البلاد العربية والإسلامية وهم منها محرومون وعنا مبعدون ، نكرر مرة أخرى صرختنا باصدار أمركم الكريم بإلغاء أي نوع من أنواع التفرقة والتمييز بين ابناء الوطن الغالي علينا جميعا حفظكم الله ذخرا لهذا البلد وحصنا له من كل سوء .

◆ الوثيقة رقم (٧)

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة صاحب السمو الأمير الأجل الشيخ سعود بن جلوي المو قر

بعد رفع عظيم الأحترام و رحمة الله و بركاته على الدوام . ياصاحب السمو

ان الحكومة الجليلة لما كانت تعطي المواطنين حرية المعتقد . و كما في عهد الخاصيات ترفع للحكومة ما تحسه صحيحا بمثابة السلطة سلمت لها معتقدها كسائر الأمم الأسلامية فتجد استجابة مطلقة . لذا لانرى مانعا من ان نرفع لسمو كم الكريم بصدد الكتب التي تسرد لهذه البلاد . فقد اصبحت هيئة الرقابة على الكتب و كأنها لاترى الأمة الشيعية الا أمة ليست من الأسلام في شيء . لأن الهيئة اصبحت تمنع الكتب حتى الرسائل العملية الفقهية و مناسك الحج التي يتداولها الشيعة . فاذا كانت هيئة الرقابة تشرف على الكتب السياسية او التي تتعرض للدين الأسلامي فليس من حقها ان تتعرض للشيعية فتدخل لأمر فيها . ان الحكومة ذاتها لاتفرض على مواطنيها اعتناق مذهب و ترك آخر . فكيف بهذه الهيئة التي اصبحت تتحدى الشيعة بصورة فاضحة شنيعة . و الأنكى من ذلك بدلا من اعادتها للكتب المنوعة حتى يختفي الناس عليها . هو حرق بعض الكتب التي ترد . في حال ان مر ودها سيعيدها بارجاعها الى محلها تماما ـ الى الخارج ـ

ياصاحب السمو . ان الكتب التي صادرتها هيئة التفتيش الزاهرة و هي تقارب الألف و الأربعمائة كتاب و قد صادرتها الرقابة . بعد طلب ارجاعها للخارج الآن حتى الآن . ما زال قاضي الظهران مصرًّا على حرقها . و هذا شيء لايرضي الحكومة لأنه يجرح عواطف المذكورين و الناس و يحط بسمعتها . و الحكومة هي التي تشجع الناس و ترفع مستواهم . فاذا كانت الكتب لاتوافق رأي الهيئة فانه من الممكن عدم حرق الكتب و مصادرتها لم يكن بمثابة نفع ترجى لها . و مادام قد استعد بارجاعها فلا مبرر لحرقها . لذا نرجو من سمو كم حسن النظر السماح له بارجاعها كما سبق ان امر سمو كم بذلك . جعل الله عهدكم عهد سعادة و السلام عليكم ...   / ٥ / ١٣٧٤

الكتاب الشيعي ممنوع أنى كان محتواه .. في الوثيقة احد المواطنين جلب نحو ١٤٠٠ كتاب ،فتمّت مصادرتها من قبل هيئة الرقابة ،واصرّ قاضي الظهران على حرقها رغم ان صاحبها ابدى استعداده لإعادتها من حيث اتى بها . وجهاء الشيعة وعمدهم احتجوا على ذلك في جمادى الأولى من عام ١٣٧٤ هـ لدى أمير الشرقية سعود بن جلوي .

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة صاحب السمو الأمير الأجلّ الشيخ سعود بن جلوي ، الموقر

بعد رفع عظيم الإحترام ورحمة الله وبركاته على الدوام ..

يا صاحب السمو

إن الحكومة الجليلة قد كفلت لجميع المواطنين حرية المعتقد .. وكنا في عديد المناسبات نرفع للحكومة ما نحسّه مجحفاً بحقنا كجماعة مسلمة لها معتقدها كسائر الأمم الإسلامية فنجد استجابة مطلبنا .. لذا لا نرى مناصاً من أن نرفع لسموكم الكريم بصدد الكتب التي ترد لهذه البلاد ، فقد أصبحت هيئة الرقابة على الكتب وكأنها لا ترى الأمّة الشيعية إلاّ كأمّة ليست من الإنسانيّة في شيء ..لأن الهيئة أصبحت تمنع الكتب حتى الرسائل العملية الفقهية ومناسك الحج التي ترد الى الشيعة .

فإذا كانت هيئة الرقابة تشرف على الكتب السياسية أو التي تتعرض للدين الإسلامي ، ليس من حقها أن تتعرض لكتب شيعية تدخل لأناس شيعة . إن الحكومة ذاتها لا تفرض على مواطنيها اعتناق مذهب وترك آخر ، فكيف بهذه الهيئة التي أصبحت تتحدّى الشيعة بصورة فاضحة مشينة ،والأنكى من ذلك ، بدلاً من اعلانها للكتب الممنوعة حتى يتجنّب الناس جلبها ، هو حرق جميع الكتب التي ترد ، في حال أن موردها مستعد بإرجاعها الى محلاتها ، الى الخارج .

يا صاحب السمو

إن الكتب التي جاءت لعبد الحميد الزاير ، وهي تقارب الألف والأربعمائة كتاب ، وقد منعتها هيئة الرقابة ، قد طلب إرجاعها

للخارج ، إلّاأنه حتى الآن ومازال قاضي الظهران مصرّاً على حرقها ، وهذا شيء لا يرضي الحكومة ، لأنه يضرّ بحالة المذكور المالية ويحط بمعاملته ، والحكومة هي التي تشجع الناس وترفع مستواهم . فإذا كانت الكتب لا توافق رأي الهيئة فإنه من المسيء جداً حرق الكتب ، وصاحبها لم يكن يعلمْ بمنع دخولها ، ومادام قد استعد بارجاعها ، فلا مبرر لحرقها .

لذا نرجو من سموكم حسن النظر ، والسماح له بإرجاعها كما سبق أن أمر سموكم بذلك .

جعل الله عهدكم عهد مساواة والسلام عليكم .

.. / ٥ / ١٣٧٤ هـ

الموقعون : عمدة صفوى ـ سلمان عبد الهادي ، عمدة الجارودية ـ صالح السليمان ، عمدة حلّة محيش ـ ابراهيم العجيان ، عبد الله الشماسي ،أحمد سنبل ، عبد الكريم الخنيزي ، حسن المرزوق ، سعيد عمران ، محمد علي الشماسي ، عبد الرؤوف السنان ، منصور الشماسي ، فوزي الجشي ، صالح بن عباس ، أحمد الزاير ، محمد سعيد الخنيزي ، عبد الواحد الخنيزي ، عبد الرسول صالح الجشي ،أنور الجشي ، عبد الكريم سنان ، حسن السنان ، وغيرهم .

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة صاحب السمو الملكي ولي العهد والنائب الاول لرئيس مجلس الوزراء وزير الداخلية فهد بن عبد العزيز المعظم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد.

كما لا يخفى على سموكم انه كلما امتد زمن الحكم للدولة ازداد التفهم العميق والتجاوب الصادق بين الحاكم والمحكوم اذا كانت الدولة تشعر بشعور من تحكمهم وتنتهج سبيل العدل الذي امر الله سبحانه وتعالى به والانصاف ذلك انها بحكم الزمن المتطاول والممارسة الحكمية تعرف جيداً سلوك ونفسية وطقوس وعادات من تحكمهم.

وحكومتنا الجليلة قد جمعت الصفات التي تتوفر فيها مثل تلك المعطيات، فهي والحمد لله، تمرست بالحكم مدة طويلة والى ما شاء الله، وهي تشعر بشعور من تحكم وهي فوق ذلك تمارس تعاليم الاسلام الخالصة.

باننا اهل القطيف كجزء من الشعب السعودي الكريم نعتقد بان الدولة تعرفنا جيداً سلوكاً وعقيدة.

سلوكاً في تعاوننا مع المسئولين منذ بداية العهد. وعقيدة طائفة مسلمة تتمذهب بالمذهب الجعفري. فهم شيعة امامية / اثنا عشرية وكان شعورنا يتوكد الاحساس لدينا بأن الحكومة الرشيدة كلما امتد بها الزمن اعطتنا من نفسها وضعاً يجعلنا نعيش نحن شيعتها وامالة النظر فيما يخصنا باننا طائفة كجزء من الامة المحكومة لها حقوقها الاجتماعية والمذهبية، وانها لذلك تعيش الطمأنينة لديه والاستقرار النفسي. غير انه — والالم يعصر نفوسنا — نأسف ان نقول انه كلما تطاولت الايام تبدلت نظرة المسئولين وتغيرت معاملتهم نحونا بما يقلق كثيراً من تخوفنا على اهم ما يحرص عليه المرء في حياته ذلك هو كوننا جماعة تحت رعاية حكومة اسلامية.

لقد كان العالم الشيعي في بداية العهد السعودي الكريم والى عهد غير بعيد هو المفتي في كل فروع الفقه الاسلامي في العقود والاحوال وغيرها. وكان الرجل الشيعي يتنقل كامل العدل وكان الفرد الشيعي يشعر بالمساواة مع اخيه السني وكانت القطيف مركز ثقل في المنطقة. وشيئاً فشيئاً اخذ شيئاً فشيئاً يتقلص مما كان عليه حتى آل الامر بأن اصبحنا في نظر المسئولين نحكم في قضايانا بغير ما أنزل الله — والعياذ بالله — وذلك واضح تمام الوضوح في اللائحة التي صدرت لتنظيم القضاء الجعفري.

فماذا يعني عرض الحكومة الصادر من قضايانا على رئيس المحكمة الشرعية ليماري عليها ((طالما تتطرق والعقيدة الاسلامية))؟

واذا لم نعرض لمستقبل زمن التفضيل والتمييز وعلى كل أهل القطيف بمشاكلها العائلية ومعاملتها المتعددة واملاكها المتعددة بالتلف والضياع والنزاع. اذا احتجنا لبحث الامر على ضوء التعاليم الاسلامية. فبأي رأي نأخذها ؟ والمذاهب الاسلامية كثيرة والمشهور منها في العالم الاسلامي خمسة مذاهب. معلوم أن المسلمين كانوا يلتقون في دعائم الاسلام واصوله. فكلهم بما فيهم الشيعة يشهدون الله بالتوحيد وللرسول بالنبوة ويؤمنون بالمعاد ويرون ان الصلاة والزكاة والحج والصيام والجهاد أركان الاسلام. ويرون جميعاً ان القرآن الكريم والسنة الشريفة قولاً وفعلاً وتقريراً هما مصدر التشريع في الاسلام. كل ذلك متفق عليه بين المسلمين ولكن الخلاف في امور كثيرة وفي فروع فقهية واسعة. قد يكون الطريق الى معرفة سنة الرسول هو احد طرق الخلاف. بل هو اكثرها خلافا. وقد يكون الفهم للنص القرآني والحديث هو الآخر مصدر الخلاف. وهو كذلك وقد يكون النظر في طلب وجه من احكام سبباً لاختلاف الرأي. وهو بسبب ذلك تفرعت الفروع خلفية نشأة المذاهب متعددة منشعبة.

رسالة من علماء الشيعة الكبار الى فهد في اواسط ١٣٩٥ هـ تحتج فيها على سلب القضاء الشيعي صلاحياته عبر اصدار لائحة من قبل مشايخ الوهابية رفضها الشيعة بقوة .

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة صاحب السمو الملكي ولي العهد والنائب الأول لرئيس مجلس الوزراء ووزير الداخلية ، فهد بن عبد العزيز المعظم .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد .

كما لا يخفى على سموكم ، أنه كلما امتدّ زمن الحكم للدولة ازداد التفهّم العميق والتجاوب الصادق بين الحاكم والمحكوم ، إذا كانت الدولة تشعر بشعور من تحكمهم وتنهج سبيل العدل الذي أمر الله سبحانه وتعالى به وباتباعه . ذلك أنها بحكم الزمن المستطيل والممارسة الحكيمة ، تعرف جيداً سلوك ونفسية وطقوس وعادات من تحكمهم .

وحكومتنا الجليلة قد جمعت الصفات التي تتوفر فيها مثل تلك المبتنيات ، فهي والحمد لله ، تمرّست بالحكم مدّة طويلة والى ما شاء الله ، وهي تشعر بشعور من تحكمهم وهي فوق ذلك تترسم تعاليم الإسلام السامية .

وإننا أهل القطيف كجزء من الشعب السعودي الكريم ، نعتقد بان الدولة تعرفنا جيداً سلوكاً وعقيدة .

سلوكاً في تجاوبنا مع المسؤولين منذ بداية العهد . وعقيدة طائفة مسلمة تتمذهب بالمذهب الجعفري . فهم شيعة إماميّة إثنا عشرية . وكان شعورنا يؤكد الإحساس لدينا بأن الحكومة الرشيدة كلما امتدّ بها الزمن أعطتنا من تفهمها وتجاوبها ، وعمق تجربتها ، وأصالة النبل فيها ، ما يطمئننا بأننا طائفة كجزء من الأمّة المحكومة ، لها حقوقها الإجتماعية والمذهبية ، وأنها لذلك تعيش الطمأنينة والإستقرار النفسي .

غير أنه ـ والألم يعتصر نفوسنا ـ نأسف أن نقول أنه كلّما تطاولت الأيام تبدّلت نظرة المسؤولين وتغيّرت معطياتهم الفكرية نحونا بما يلقى

ظلالاً من تخوفنا على أهم ما يحرص عليه المرء في حياته ، ذلك هو كوننا شيعة تحت رعاية حكومة إسلامية .

لقد كان العالم الشيعي في بداية العهد السعودي الكريم ، والى مدة غير قليلة ـ يقضي في كل فروع الفقه الإسلامي ، في العروض والأموال وغيرهما . وكان الرجل الشيعي يشغل كتابة العدل ، وكان الفرد الشيعي يشعر بالمساواة مع أخيه السنّي ، وكانت القطيف مركز الثقل في المنطقة . وشيئاً فشيئاً أخذ منها ما تتمتّع به .... ، حتى آل الأمر بأن اصبحنا في نظر المسؤولين نحكم في قضائنا بغير ما انزل الله ـ والعياذ بالله ـ وذلك واضح تمام الوضوح في اللائحة التي .رت لتنظيم القضاء الجعفري .

فماذا يعني عرض الصكوك الصادرة من قضاتنا على رئيس المحكمة الشرعية ليصادق عليها « ما لم تتعارض والعقيدة الإسلامية » ؟ . وإذا لم تُعرض فستبقى رهن التعطيل والتحجير ، ويبقى كل أهل القطيف بمشاكلها القائمة ومشاريعا المجمّدة ، وأملاكها المهددة بالتلف والضياع والنزاع .

وإذا جئنا لنبحث الأمر على ضوء التعاليم الإسلامية ، فبأي راي نأخذها ؟ والمذاهب الإسلامية كثيرة ، والمشهور منها في العالم الإسلامي خمسة مذاهب . معلوم أن المسلمين كافة يلتقون في دعائم الإسلام واصوله ، فكلهم ـ بما فيهم الشيعة ـ يشهدون لله بالتوحيد وللرسول بالنبوة ، ويقرّون بالمعاد ، ويرون أن الصلاة والزكاة والحج والصيام والجهاد أركان الإسلام . ويرون جميعاً ان القرآن الكريم والسنّة النبويّة ـ فعلاً وقولاً وتقريراً ـ هما مصدر التشريع في الإسلام .

كل ذلك متفق عليه بين المسلمين ، ولكن الخلاف في أمور كثيرة وفي فروع فقهية واسعة ، قد يكون الطريق الى معرفة سنّة الرسول هو أحد طرق الخلاف ، بل هو اكثرها خلافاً . وقد يكون الفهم للنصّ القرآني والحديث هو الآخر مصدر الخلاف ، وهو كذلك . وقد يكون النظر في ما جدّ ويجدّ من احكام سبباً لإختلاف الراي ، وهو ما حدث . ولذلك تفرّعت الفروع الفقهية ونشأت المذاهب وتوسّعت سبيلها .

ولم تكن الشيعة ولا المذهب الشيعي وليد اليوم أو الأمس ، بل هو

من لدن فجر الرسالة ، ولم تكن الشيعة في القطيف وافدة من عقد من السنين ، بل المنطقة بأسرها شيعية منذ فجر الإسلام ، ولقد دخل المغفور له مؤسس هذه الدولة والدكم جلالة الملك عبد العزيز البلاد بترحيب من أهلها ، وهو يعرف أنهم شيعة ، وأعطى لهم ضمان الحرية المذهبيّة .

إن سموكم والمسؤولين تعلمون أننا شيعة جعفرية ، والشيعة تختلف في كثير من الفروع الفقهية ـ كما قلنا ـ مع غيرها من المذاهب ، كما تختلف المذاهب أنفسها .

فالشيعة ترى صحة الوقف على الرسول وآله ، لإقامة ذكرى مواليدهم ووفياتهم وغيرها ، وغيرها لا يرى صحّة ذلك . والشيعة لها رأي يختلف ـ نوعاً ما ـ مع بعض المذاهب في الإرث .

فإذا عرض صك من هذا القبيل على المحكمة فهل ترون سموكم أن رئيسها سيصدق على صحته ؟ إذن فإنه سيخالف مذهبه . وإذا نقضه ، هل يلزمنا ذلك ونبطل مذهبنا ؟ .

ثم وقد حصر المسؤولون نظر القاضي الشيعي في أوقاف ومواريث وعقود وطلاق الشيعة أنفسهم . لماذا لا يعترف بصكوكهم في الجهات الرسمية ، ولماذا يطلب منهم عرضها على المحكمة ليبطل ما يبطل ويصحّح ما يصحح ؟ أليس قاضي الشيعة قاضياً للشيعة ؟ أوليس الشيعة جزء من المملكة لهم حق رعاية مذهبهم ؟ . وكيف يعطى لأحد المتداعين الشيعيين حق النظر في المحكمة الشرعية السنيّة إذا طلب ذلك فيما يتعلّق بمختصات الشيعة ؟ . فهل الى القاضي الشيعي مثل ذلك الحق ؟ . إن سموكم وهو ممثل جلالة الملك المعظم وولي عهده الأمين تعرفون تمام المعرفة أننا شيعة منذ القدم ولنا رأينا المذهبي وطقوسنا المذهبية وعاداتنا الأصيلة .

وسموكم خير من يعي أهمية الإصلاح والصلاح .

لذا نتقدم لسموكم راجين التكرم بإلغاء اللائحة جملة وتفصيلاً ، وإعادة حقوقنا القضائية الجعفرية كما كانت عليه سابقاً مع رعايتنا في بقية الأمور الأخرى ، وأنتم وكل المسؤولين مسؤولون أمام الله . وإذا كان أحد يشك في صدق نوايانا أو يودّ أن يناقشنا فيما يظن عنا أو فيما

نعتقد فنحن عند حسن ظن الجميع .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أهـالي القطيف : عبد الحميـد الخطي ، علي يحي ،فـرج العمران ،أحمد آل سيف ،سيد حسن العوامي ، السيد حسين العوامي ، عبد الله حسن المطوع ، علي مكي المعلم ،سيد محمد العوامي ، عبدالجليل محمد الزهيري ،علي محمد الشيخ ، محمد المهدي ، سعيد الشيخ علي ابو المكارم ، وغيرهم .

◆ الوثيقة رقم (٩).

محضر اتلاف رقم (٨٧ ج)

محضرنا نحن الموقعين أدناه بعد عرض الطرد رقم (بدون) الوارد من (امريكا)

المرسل منه وعنوانه : p.o. Box No. 19272 Dallas TX 76018

المرسل اليه وعنوانه : عيسى لطيف ص.ب ٦٠١٢٠ الدمام ٣١٥٧٦

محتويات الطرد :

١- واحد كتاب الياس والامل في مفهوم الاسلام + اربعة كتاب المسائل المنتخبة
- كتاب الامام جعفر بن محمد الصادق + واحد كتاب الامام زين العابدين + واحد كتاب في
- الانتظار + واحد كتاب الدعوة والدولة + واحد كتاب احكام الحج + واحد كتاب
- ... ام الحسين + مجلد كتاب للعالم الاساسية للرسالة الاسلامية + واحد كتاب الحج
- ... كتاب القيادة والزهد في الاسلام + واحد كتاب العبودية + واحد كتاب لغز [illegible]
١٠- واحد كتاب [illegible] + واحد كتاب لعلماء [illegible] + واحد كتاب خطوط تفصيلية + واحد كتاب
- بدون + ثلاثة كتابات بحث حول الولاية

مع مراقب الاعلام المنتدب بالطرود البريدية بالدمام بتاريخ ١٦ / ١٠ / ١٤٠٦ هـ والذي
أوصى بعدم الموافقة على تسليم الطرد الى صاحب الطرد والذي يحتوي على الاتي :

١- اثنين وعشرين كتاب
٢-
٣-
٤-
٥-

بناء على ذلك تم اتلافها حرقاً بالنار بجميع محتويات الطرد وملحقاته اليوم / / ١٤ هـ
الموافق / / ١٩ م .

وعلى هذا جرى التوقيع ...

مراقب الاعلام	مندوب الامن	مراقب الجمارك
الاسم / [illegible] محمد السعيد	الاسم / سالم علي [illegible]	الاسم / أحمد محمد علي
التوقيع /	التوقيع /	التوقيع /
التاريخ / / ١٤٠٦ هـ	التاريخ / / ١٤٠٦ هـ	التاريخ / / ١٤٠٦ هـ

وصيد /

مندوب عرض الطرود
الاسم / شجيد عبد العزيز
التوقيع /
١٦ /

يعتمد ،
مدير الطرود البريدية بالدمام
١٦ / ١٠
محمد محمد الخباز

صورة للمرسل اليه : ج

في ١٦ شوال ١٤٠٤ هـ .

محضر إتلاف رقم ٢٨٧

بحضورنا نحن الموقعين أدناه بعد حرق الطرد رقم (بدون) الوارد من (امريكا)

المرسل منه وعنوانه : P.oBOX No. 191272 Dllas TX. 76018

المرسل إليه وعنوانه : فهمي لطيف ص . ب ٣٠٦٠ راس تنورة .

محتويات الطرد :

اليأس والأمل في مفهوم الإسلام ، كتاب المسائل المنتخبة (٤ نسخ) ، الإمام جعفر الصادق ، الإمام زين العابدين ، الزهراء ، الدعوة والدولة ، أحكام الحج ، الإمام الحسين ، المعالم الاساسية للرسالة الإسلامية (نسختان) القادة والزهد في الإسلام ، العبودية ، دعاء كميل ، نفحات رسالية ، خطوط تفصيلية ، بحث حول الولاية .

من مراقب الإعلام المنتدب للطرود البريدية للدمام بتاريخ ١٦/١٠/١٤٠٤هـ والذي أوصى بعدم الموافقة على ما في . / جزء من الطرد . والذي يحتوي على الآتي :

١/ اثنان وعشرون كتابا .

وبناء على ذلك تم إتلافها حرقاً بالنار بجميع محتويات الطرد ومتعلقاته وعلى هذا جرى التوقيع .

مراقب الإعلام / صالح محمد السعود

مندوب الأمن / سالم علي القحطاني

مراقب الجمارك / أحمد محمد

♦ الوثيقة رقم (١٠).

مدير شرطة راس تنورة يؤكد صدور امر سام كريم بمنع قصاب من مزاولة مهنته ، لكونه رافضي ، ! . التاريخ ٧ / ١١ / ١٣٧٣ هـ .

صاحب السعادة امير راس تنوره الموقر

بعد الاحترام بناءً مع ما تقدم به المستدعي علي بن مهدي القصاب التاروتي لسمو سيدي الأمير سعود بن جلوي المعظم وما صدر به الامرالكريم على استدعائه المرفق القاضي بالسماح للمذكور لمزاولة مهنتة الا اذا هناك مانع خلاف ما ذكر منه .

واعرض انه منع المذكور بموجب قرار فضيلة قاضي الظهران المرفوع من سمو سيدي الامير عبد المحسن بن جلوي المعظم وصدر الامر السامي الكريم على ان ينفذ قرار فضيلة قاضي الظهران ويجرى تنفيذ ذلك بمنع القصاب المذكور لكونه رافضي وقدمت الاوراق لسعادتكم منا برقم (١٢٩٩٥) ٥/ ١١/ ٧٣ هذه الحقيقة اقدمها لكم سيدي. ٧ / ١١ / ٧٣ .

مدير شرطة راس تنوره .

صاحب السعادة امير راس تنوره الموقر

بعد الاحترام بناء مع ما تقدم به المستدعي علي بن مهدي القصاب التاروتي لسمو سيدي الامير سعود بن جلوي المعظم وما صدر به الامر الكريم على استدعائه المرفق القاضي بالسماح للمذكور لمزاولة مهنته الا اذا هناك مانع خلاف ما ذكر منه

واعرض انه منع المذكور بموجب قرار فضيلة قاضي الظهران المرفوع منه لسمو سيدي الامير عبد المحسن بن جلوي المعظم وصدر الامر السامي الكريم على ان ينفذ قرار فضيلة قاضي الظهران ويجرى تنفيذ ذلك بمنع القصاب المذكور لكونه رافضي وقدمت الاوراق لسعادتكم منا برقم ١٢٩٩٥ ٥/١١/٧٣ هذه الحقيقة اقدمها لكم سيدي ٧/١١/٧٣

مدير شرطة
راس تنوره

♦ الوثيقة رقم (١١)

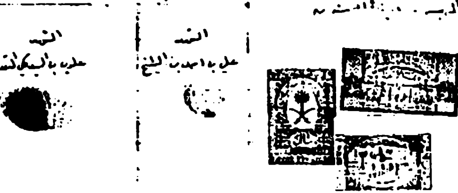
إثنان من القصّابين الشيعة يجبران على التعهد في ٢٦ / ٣ / ١٣٧٤ هـ ببيع لحم الذبيحة التي ينحرها « مسلم / وهابي » ! . ولن لا ينحرها هو ، باعتباره مشركاً كافراً .

نحن الموقعين اسماءنا ادناه: علوي بن السيد مكي القصاب وعلي بن احمد بن الشيخ جميعاً القصابين نتعهد على انفسنا اننا لا نذبح الذبيحة بايدينا لبيعها بالسوق . بل نجعل احد القصابين يذبح الذبيحه بيده ونتعهد لأدارة البلدية بجميع اللوازم المطلوبة منا كجاري من القصابين حسب النظام وعلى هذا نوقع . ٢٦ / ٣ / ٧٤ هـ .

لايمكن ذبحكم بالتعقب والاشعار .

مديـر الرسـوم

عبد الرحمن



♦ الوثيقة رقم (١٢).

. رسالة من شيخ وهابي في ١٩ / ٣ / ١٣٦٩ هـ موجّهة لامير راس تنورة بمنع احد القصّابين الشيعة من الذبح .

في ١٩ / ٣ / ٦٩هـ

حضرة صاحب السعادة المكرم أمير راس تنوره الموقر . بعد التحية وفايق الأحترام السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام ... لجنابكم من قبل حنا جماعة من المسلمين مستقيمين في رأس تنوره وعندنا جزار من أهل القطيف رافضي وهو الذي ينحر ويذبح ومع العلم تفهمون أن ذبح الرافضه غير حلال فحنا نطلب من جنابكم تمنعونه من الذبح وتكلفونه يؤجر إنسان من المسلمين يكون يذبح والرافضي يمنع من النحر وحنا مسلمين وعوام وفي ذمة الله ثم ذمة جنابكم وأحببنا اشعاركم والأمر لله ثم لكم والله يحفظكم ويرعاكم والسلام .

شيخ جماعة مسجد راس تنورة .

امام المسجد حسن الوهيبي . ومسفر بن جوثان الهاجري . وهذال بن فهد الخالدي .

في ١٩/٣/٦٩ هـ
بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة صاحب السعادة المكرم أمير راس تنوره الموقر
بعد التحيه وفايق الأحترام السلام عليكم ورحمة الله
وبركاته على الدوام نرفع لجنابكم من قبل حنا جماعة
من المسلمين مستقيمين في راس تنوره وعندنا جزار
من أهل القطيف رافضي وهو الذي ينحر ويذبح ومع
العلم تفهمون أن ذبح الرافضه غير حلال فحنا
نطلب من جنابكم تمنعونه من الذبح وتكلفونه
يؤجر انسان من المسلمين يكون يذبح والرافضي
يمنع من النحر وحنا مسلمين وعوام وفي ذمة الله ثم
ذمة جنابكم واحببنا اشعاركم والامر لله ثم لكم والله
يحفظكم ويرعاكم والسلام شيخ جماعة مسجد راس تنوره
امام المسجد حسن الوهيبي
مسفر بن جوثان
هذال بن فهد الخالدي

المصادر

✧ ابن ابي الحديد:

شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط٢ ـ ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٥م.

✧ ابن بابويه القمي:

من لا يحضره الفقيه، التحقيق بإشراف السيد حسن الموسوي الخراساني، دار صعب/ دار التعارف / بيروت، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.

✧ ابن الصلاح:

مقدمة ابن الصلاح، دار الكتب العلمية ط١ ـ ١٤١٦هـ.

✧ ابن حجر العسقلاني:

هدى الساري، رئاسة ادارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، السعودية.

✧ ابن حجر الهيثمي:

الصواعق المحرقة، تعليق، عبدالوهاب عبداللطيف، شركة الطباعة المتحدة، القاهرة ط٢ ـ ١٣٨٥هـ.

✧ ابن خلدون:

المقدمة، تحقيق علي عبدالواحد وافي، دار نهضة مصر، القاهرة.

✧ ابن خلكان:

وفيات الأعيان، تحقيق إحسان عباس/ دار صادر بيروت.

✧ ابن كثير:

التفسير، دار القلم/ لبنان، تصحيح الشيخ خليل الميسى.

✧ ابن قيم الجوزية:

زاد المعاد، دار الكتاب العربي/ بيروت.

✧ ابن ماجة:

سنن ابن ماجة، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، دار الكتب العلمية، بيروت.

✧ ابن منظور:

لسان العرب، ط١ / ١٤٠٨هـ، تعليق علي شيري، بيروت / لبنان.

✧ ابن المواز:

حجة المنذرين علي تنطع المنكرين، مخطوط الخزانة العامة، الرباط/ المغرب.

✧ ابن النديم:

الفهرست، ط١، دار قطري بن الفجاءة ١٩٨٥م.

✧ ابن هشام:

السيرة النبوية، دار الجيل/ بيروت.

✧ إحسان إلهي ظهير:

ـ الشيعة والسنة/ دار طيبة الرياض.

ـ الشيعة والقرآن/ ادارة ترجمان السنة، لاهور/ باكستان، ط١ ـ ١٤٠٣هـ.

ـ الشيعة وأهل البيت: ادارة ترجمان السنة، لاهور/ باكستان، ط٣ ـ ١٤٠٣هـ.

ـ الشيعة والتشيع: ادارة ترجمان السنة، ط١ ـ ١٤٠٤هـ.

✧ أحمد بن حنبل:

المسند، دار صادر / بيروت.

✧ أبو داود:

السنن، دار الجنان، بيروت ١٩٨٨م.

✧ أبو رية:

اضواء على السنة المحمدية/ مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ط٥.

✧ البخاري:

الصحيح، دار إحياء التراث العربي/ بيروت.

✧ البلاذي:

انساب الأشراف، مؤسسة الأعلمي / بيروت ١٣٩٤هـ.

✧ البيهقي:

سنن البيهقي/ ط الهندي ١٣٥٤هـت.

✧ الحاكم:

المستدرك على الصحيحين، ط. باشراف يوسف عبدالرحمان المرعش، دار المعرفة ـ بيروت.

✧ الجبهان:

تبديد لظلام وتنبيه النيام/ ادارة البحوث اللمية الإفتاء/ ط٣ ـ ١٩٩٨م.

✧ الذهبي:

ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق علي البجاري، دار إحياء الكتب العربية القاهرة ط١ ـ ١٣٨٢هـ.

✧ الرازي (الفخر):

التفسير الكبير، الناشر دار الكتب العلمية، ط٢ طهران.

✧ الزمخشري:

الكشاف، نشر أدب حوزة، إيران.

✧ السيوطي:

الاتقان في علوم القرآن: مطبعة أمير، ط٢ ـ ١٢٤٢هـ /ش.

✧ **السيد سابق:**

فقه السنة ط٨، دار الكتاب العربي، بيروت ـ ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

✧ **الطبرسي:**

مجمع البيان: ط٢ ـ ١٤٠٨هـ.

✧ **الطبري:**

ـ جامع البيان، دار الفكرن بيروت.

ـ تاريخ الطبري، دار المعارف القاهرة.

ـ المبسوط المكتبة الرضوية لإحياء الآثار الجعفرية.

✧ **الطوسي:**

ـ الاستبصار تحقيق حسن الخرسان، دار صعب، دار التعارف، بيروت.

ـ تهذيب الأحكام، تحقيق حسن الخرسان، دار الكتب الإسلامية، ط٣ ١٣٩٠هـ طهران.

✧ **الكليني:**

الكافي، الناشر دار الكتب الإسلامية / تاريخ انتشار: تابستان ١٣٦٢هـ.

✧ **المجلسي:**

ـ بحار الأنوار: مؤسسة الوفاء، دار إحياء التراث العربي، ط٣ ـ ١٤٠٣هـ.

ـ مرآة العقول: دار الكتب الإسلامية، ط٣.

✧ **المظفر:**

ـ أصول الفقه، مؤسسة اسماعيليان قم ط٣ ـ ١٤٠٨هـ.

ـ عقائد الإمامية، دار الحوراء ، ط٨ ـ ١٤٠٩هـ، بيروت.

✧ **المفيد:**

اوائل المقالات، دار الكتاب الإسلامية، طهران.

✧ النجاشي:

الرجال، ط ـ إيران.

✧ النسفي:

التفسير، دار الكتاب العربي، بيروت ١٤٠٢هـ.

✧ النووي:

شرح صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢ ـ ١٣٩٢هـ.

✧ الحجوي (مهدي):

صفاء المورد في عدم القيام عند سماع المولد/ مخطوط، الخزانة العامة، الرباط/ المغرب.

✧ جلال كشك:

السعوديون والحل الإسلامي، ط٤.

✧ الخوئي:

معجم رجال الحديث، منشورات، مدينة العلم، إيران، ط٣ ـ ١٤٠٣هـ بيروت.

✧ الحكيم (السيد محمد تقي):

الأصول العامة للفقه المقارن، ط١، دار الأندلس / بيروت.

✧ حمزة الحسن:

الشيعة في المملكة السعودية، مؤسسة البقيع لإحياء التراث، ط١ ـ ١٤١٣هـ.

✧ محمد بن الحسن الثعالبي الفاسي:

الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، المكتبة العلمية/ المدينة المنورة.

✧ محمد الغزالي:

دفاع عن العقيدة والشريعة ط٤ ـ ١٩٧٥م.

✧ محمد مال الله:

الشيعة والمتعة، ط٣/ رمضان/ ١٤٠٩هـ، مكتبة ابن تيمية.

✧ محمد بن جمال الدين مكي العاملي:

اللمعة الدمشقية، باشراف السيد كلانتر، دار احياء التراث العربي، ط٢ ـ ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م، بيروت.

✧ مالك ابن أنس:

الموطأ، دار النفائس، بيروت ١٩٩٤م.

✧ ميرزا محسن آل عصفور:

نهجنا في الحياة، اصدار مجمع البحوث العلمية ١٤١٤/٦/١٢هـ ت.

✧ عبدالرحمان الجزيري:

الفقه على المذاهب الأربعة، دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٩هـ.

✧ عبدالله بن أحمد:

السنة، ط١ ـ ١٩٨٥ دار الكتب العلمية، بيروت.

✧ مرتضى العسكري:

ـ ابن سبأ وأساطير أخرى.

ـ دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان.

✧ مسلم ابن الحجاج:

الصحيح، دار أحياء التراث العربي/ بيروت.

✧ مسلم القريشي:

مسند الطيالسي ط١، الهند ١٣٢١هـ.

✧ د. ناصر عبدالله بن علي القفاري:

أصول مذهب الشيعة الإمامية الأثني عشرية، ط١، ١٩٩٣م.

✧ عبدالله محمد الغريب:

وجاء دور المجوس، ١٩٨١، لا عنوان للناشر.

✧ النسائي:

سنن النسائي، دار أحياء التراث العربي، بيروت.

✧ هبة الله الشهرستاني:

مصادر نهج البلاغة، ط٢ ـ ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٣م، مؤسسة الوفاء ـ بيروت.

✧ الهندي:

كنز العمال، ط. دائرة المعارف، حيدر أباد / ١٣١٢هـ.

الفهرس

الباب الأول

• الفصل الرابع:

الباب الثاني

الباب الثالث